الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة –
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

بلاغة المعاني في سورة سبأ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل م د) في اللغة و الأدب العربي

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالبتين :
- جبيرة لقرع
- هاجر بن مسعي

إشراف الأستاذ:
- عبد العزيز جدي

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
رشيد منصر	أستاذ محاضر " ب "	العربي التبسي – تبسة –	رئيسا
عبد العزيز جدي	أستاذ مساعد " أ "	العربي التبسي – تبسة –	مشرفا و مقررا
نور الدين بعلوج	أستاذ مساعد " أ "	العربي التبسي – تبسة –	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2019/2018

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

دعـــــــاء

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت

و لا باليأس إذا أخفقت، و ذكرني إلهي

أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق

النجاح، اللهم إذا أعطيتني النجاح فلا

تأخذ تواضعي و إذا أعطيتني تواضعا فلا

تأخذ اعتزازي بكرامتي.

شكر وعرفان

إن قدسته أو سجدته أو مجدته فهو الذي علمني ،إن حمدته أو كبرته فهو الذي ألهمني،إن عبدته أو ذكرته أو شكرته فهو الذي أكرمني و انطلاقا من حمد الله تعالى أهدي هذا العمل إلى سيدي رسول الله محمد – **صل الله عليه وسلم** – عربون محبة و ولاء وأملا في شفاعته يوم القيامة.

ما أصعب أن نجازي من كان فضله علينا كبيرا، لأن الإنارة بالمعرفة ليس لها ثمن في التعبير عن الكلمات العاجزة عن الشكر و الامتنان، نتقدم بالشكر لأستاذنا الفاضل " **عبد العزيز جدي** " المشرف على مذكرتنا هذه، على قبوله الإشراف لهذا البحث، ولما قدمه لنا من نصح ،وتوجيهات قيمة، الذي كان له الفضل في اقتراح الموضوع، فوجدناه نعم الأستاذ ونعم العون للطالب، إذ كان معنا متحملا عنت السؤال ، وندعو الله أن يغمره بالصحّة والعافية، وحسن التوفيق.

ونتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير لعضوي لجنة المناقشة لتفضلهما بقبول قراءة هذا البحث وتقويمه وتصويبه، ونشكرهما لجهودهما الخيرة في إسداء النصح والإرشاد، فجزاهما الله خير الجزاء.

ونتوجه بالشكر الجزيل أيضا إلى من كانوا مصابيح نور اهتدينا بهم في مشوارنا الطويل أساتذتنا في قسم اللغة والأدب، لهم منا كل الشكر والتقدير.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

ونسأل الله تعالى أن يحقق لنا الأمل والتوفيق والسداد.

« اللّهم اجعل أول هذا العمل صلاحا، وأوسطه فلاحا، وآخره نجاحا »

مقدمـــــــة

مقدمة:

الحمد لله محي القلوب بأسرار معرفته ،كما أحيا الأرض البوار بغيث رحمته ،الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، و الصلاة والسلام على معلم البشرية ،وأفصح من نطق بالعربية ، سيدنا محمد – **صلى الله عليه وسلم** – وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور الدّجى ،أمّا بعد :

إنّ القرآن الكريم مصدر أساسي للإسلام ،وهو معجزة خالدة لا يزيدها التقدم العلمي والتكنولوجي،وفي كمال هدايته أيضا أنه نزل بلغة لا تغلبها لغات أخرى في العالم، وهي لغة مختار تأتي من لغة قريش بعد أن تم لها التغلب على اللّهجات العربية الأخرى وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب، وهي أفصح وأبلغ ما في لغات بقية القبائل العربية ،و ما هي إلا اللغة العربية.

كما يعدّ الدّرس البلاغي من أهمّ ما عني به الدارسون قديما وحديثا ،وذلك راجع إلى نشأته في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،كما أنّ البلاغة تحمل بمفهومها العام جمال وقوة تأثير البيان، وهذا ما نجده في الكلام الجيد إلى أن أصبحت علما قائما بذاته ذا قواعد ومباحث وعلوم، حيث تجلّت هذه الأخيرة في ثلاثة علوم هي :

علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني.

فعلم المعاني علم جليل ،ومقامه مقام عظيم بين أصناف العلوم ،فتميز القول، بلاغة الكلام وروعة البيان راجعة إليه ابتداء ،أمّا علما البيان والبديع، فهما كالوشي على أصل الثوب ،حيث لا يمكن تصوّر وشي من غير ثوب ،فالثوب هو علم المعاني، والوشي مكمل له يبدأ من حيث ينتهي الأصل، والكل صار متيقّنا أنّ طريقة نظم الكلام هي التي تحمل بذور خلوده، وسحر تأثيره ، من تقديم وتأخيره وحذف وذكر، وإيجاز وإطناب، ووصل وفصل ،كل ذلك متزامن مع ظروف إنتاج ذلك الكلام، وسياق المقام، الذي تعارف عليه أهل هذه الصّنعة باسم مقضى الحال، وهل الجمال، والرّوعة إلاّ هذا.

وعلى هذا الضوء أردنا لموضوع بحثنا أن يُقرّ على ظاهرة لغوية تتجلّى في بلاغة المعاني في سورة سبأ.

وقد طبّقنا مباحث علم المعاني على سورة من سور كتاب الله الكريم وهي سورة سبأ، قمنا بمراجعة السورة مراجعة دقيقة، متأملين سياقاتها، واقفين على سبب نزولها، وبعدها عمدنا على جرد ما ظهر لنا أنّه ينضوي تحت مسمّى علم المعاني، مستعينين ببعض التفاسير، وكتب البلاغة، وكان لتفسير ابن عاشور –**رحمه الله** – القدْح المعلّى في ذلك ،حيث استفدنا منه كثيرًا، ولله الحمد والمنة.

والسبب الرئيسي لاختيارنا هذا الموضوع هو شدة ميلنا للدّراسات اللّغوية خاصة ما تعلّق منها بالبلاغة وعلم المعاني داخل النّص القرآني لما له من بلاغة وإعجاز.

وكذلك من جملة الأسباب التي دفعتنا إلى دراسة بلاغة المعاني في صورة سبأ ما يلي:

أولا: شرف البحث في القرآن الكريم ،وما أعدّه الله تعالى من ثواب عظيم لمن خدم كتابه وعلّمه وتعلّمه ،فما البحث في كتاب الله والتدبر في آياته إلّا كشجرة طيبة تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربّها.

ثانيا: إبراز جماليات بلاغة المعاني من خلال النّص القرآني بالضبط في سورة سبأ.

ثالثا: أردنا أن نعضّد الدّراسة البلاغية بنصوص من القرآن الكريم للاستفادة منها، كما أردنا أن تكون الدّراسة شاملة لأهم أساليب المعاني في هذه السورة حتى لا يبتغي أحد مطلبا إلّا وجده فيه.

رابعا:عدم وجود دراسات سابقة ومفصّلة لبلاغة المعاني وإن وجدت كانت مجرد إشارات طفيفة، وهذا ما جسدناه من خلال تطبيقنا على سورة سبأ، فكانت هذه الدوافع جملة من الأفكار تجول في مخيلتنا.

وتكمن **أهمية الدّراسة:** في أنّه موضوع شمل دراسة أهم علوم البلاغة الثلاثة، كما اعتمدت الدراسة أهم كتب البلاغة لما معروف عن أصحابها من الدّقة و الإتقان في مناقشة مسائل البلاغة، بالإضافة إلى أنّه عمل اعتمد في تطبيقه على سورة من سور القرآن الكريم.

وللقيام بهذه الدراسة كان لابدّ أن تؤسس بإشكالية محورية تكون الإجابة عليها غاية الدراسة ،وهي:

- هل توفرت سورة سبأ لضروب البلاغة العربية (علم المعاني) ؟
- أيّ أساليب الكلام غلبت في سورة سبأ ولماذا ؟
- وفيما تتجلّى أغراضه البلاغية ؟
- وهل أدّت جمل سورة سبأ المعنى المقصود بأقل من العبارة المتعارف عليها ؟
- وهل عبّرت عن تلك المعاني التي تجول في الذهن وعن العواطف التي يجيش بها الصدر ؟

والإجابة كانت بإتباع الخطّة الآتية:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تشتمل في خطتها على: مقدمة، وتمهيد "وهو مختصر عن مفهوم البلاغة ومفهوم علم المعاني، ولمحة عن السورة " ،وقسمنا هذه الدّراسة لفصلين كل فصل به جانب نظري وآخر تطبيقي أما **الفصل الأول** بعنوان : الخبر والإنشاء فقد خصصنا الدّراسة فيه عن الخبر ودراسته تطبيقيا في سورة سبأ والإنشاء ودراسته تطبيقيا في سورة سبأ ،وأما **الفصل الثاني** والموسوم بالجملة وأحوالها كالتّقديم والتّأخير والحذف والذكر والإيجاز والإطناب... إلخ، خاتمين هذا الفصل بالدراسة التطبيقية في سورة سبأ.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تتضمن أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدّراسة معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي لعرض بلاغة أساليب المعاني أي الأغراض البلاغية لهذه الأساليب في سورة سبأ.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

- القرآن الكريم .
- كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- المفتاح العلوم لأبي يعقوب السّكاكي.
- الإيضاح في علوم البلاغة لخطيب القزويني

إضافة إلى أهم التفسير :

- الكشاف للزمخشري.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.

أما الصعوبات التي اعترضتنا فكانت نفسية بالدرجة الأولى لأننا شعرنا بالتردد والخوف في البداية كون الدراسة متعلقة بمصدر التشريع الأول « **القرآن الكريم** ».

ثانيا : كون سورة سبأ لم تدرس من قبل.

ثالثا : كثافة المادة التطبيقية.

رابعا : ضيق الوقت.

بالإضافة إلى قلة المراجع التي تتناول بلاغة المعاني في سورة سبأ، ولكن حاولنا الخوض في هذا الموضع والإلمام بمعظم ما يتعلق ببلاغة المعاني.

وفي الختام نسأل الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع و أن ينفع به كل باحث مشرئب لطلب العلم.

تمهيـــــد

تمهيد :

تعدّ البلاغة من علوم اللغة العربية و هي اسم مشتق من الفعل بلغ بمعنى حسن البيان و قوّة التأثير [1] و قد عرّفها ابن منظور (ت 711) بأنّها من « بلغ الشيء يبلغ بلوغا وصل و انتهى و أبلغه إبلاغا و بلغه تبليغا و البلاغة و الفصاحة و البَلَغُ و البَلْغُ: البليغ من الرجال، و رجلٌ بليغٌ و بلغ : حسنُ الكلام فصيحه و يبلغُ بعبارة لسانه كنَّه ما في قلبه و الجمع بلغاء و قد بلُغ (بضم) بلاغة أي صار بليغًا و قول بليغ: بالغ و قد بلغ».[2]

فالبلاغة تدلّ في اللغة على إيصال معنى بالخطاب كاملا إلى المتلقي سواء أكان سامعا أم قارئا، فالإنسان حين ما يمتلك البلاغة يستطيع إيصال المعنى إلى المستمع بإيجاز، و لها أهمية كبيرة في إلقاء الخطب و المحاضرات و وصفها النبي- **صلى الله عليه وسلم**- في قوله :"**إن من البيان لا سحرا**". رواه البخاري

إنّ البلاغة علم من علوم الآلة، و هي الاحتراز من الخطأ و حصول التأثير بين متكلم و مخاطب و عرّف أبو هلال العسكري (ت 395) البلاغة فقال: « أنها مأخوذة من قولهم : بلاغة الغاية إذا انتهيت إليها، فهي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن»[3]. فالبلاغة عنده إيضاح المعنى و تحسين اللفظ معا [4].

و قد أورد ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) في كتابه العمدة هي: «إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع».[5]

و هي عند الجاحظ (ت 255 هـ) مطابقة الكلام لمقتضى القول فكلام الناس في طبقات كما أنّ الناس أنفسهم هي طبقات فمن الكلام البليغ و القبيح و السخيف و مقتضى هذا القول بأن مقامات الكلام العربي تبعا لمقتضى الحال و السّياق، و قد فصّل القول الباحث عبد الوهاب صديقي في دراسة مركزة أكّد فيها ارتباط الخطاب ببلاغته في الثقافة العربية بسياق .[6]

تأسيسا على هذا الطرح فإنّ الكلام لا يوصف في البلاغة إلّا إذا كان مؤثرا في المخاطب إلّا إذا استوفت شروط المقام، فمقامات الكلام متفاوتة التنكير يباين مقام التعريف، و مقام الإطلاق يباين مقام التقييد، و مقام

---

[1] – مجمع اللغة العربية : معجم المعاني الجامع المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 2004 م، ص 70.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير و آخرون، ط1، ج 2، ص 56.

[3] – أبو هلال العسكري: الصناعتين، تح علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ . ص 19.

[4] عبد المتعالي الصعيدي:البلاغة العالية علم المعاني،مكتبة الآداب و مطبعتها الجماميز ، ط 2، 1411 هـ – 1991 م، ص 8

[5] – ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر و نقده،تح محمد محي الدين، دار الجيل بيروت، ط1، 1401، 1981 ، ج 1 ، ص 387.

[6] – عبد الوهاب صديقي: الخطاب و السياق في لسانيات التراث، مجلة جذور، عدد 40 يناير 2015، السعودية، ص 160.

التّقديم يباين مقام التّأخير، و مقام القصر يباين مقام خلافه، و مقام النكر يباين مقام الحذف، و مقام الوصل يباين مقام الفصل، و مقام الإيجاز يباين الإطناب و المساواة و كذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي.[1]

وقد اختلف البلاغيون في نسبة البلاغة للّفظ أو المعنى فالجاحظ مثلا في كتابه "البيان و التبيين" يرى أنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي و العجمي و البدوي و القروي و إنّما بالبلاغة تكمن في حسن اللفظ و صناعته[2]، لكن الجرجاني يرى أنّ المعنى مرتبط بالنظم الذّي هو توفي معاني النحو العربي [3] و يجمع الدارسون أنّ البلاغة العربية القديمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام و هي علم البيان، و علم البديع و علم المعاني.

و يعدّ علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بأحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، و ما يحيط به من القرائن أو هو علم يبحث في الجملة و ما يطرأ عليها من تقديم و تأخير، أو ذكر و حذف، أو تعريف و تنكير، أو قصر، أو فصل و وصل، أو إيجاز و إطناب و مساواة، و ما إلى ذلك و ليس في كتب البلاغة الأول إشارة إلى هذا العلم، و لا نعرف أحد استعمله و يسمّى به قسما من موضوعات البلاغة قبل السّكاكي (ت 626 هـ) و كان الأوائل يستعملون مصطلح (المعاني) في دراستهم القرآنية و الشعرية، فيقولون: معاني القرآن، أو معاني الشعر، و يتّخذون من ذلك أسماء لكتبهم، و ليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها.

و لعلّ أقدم الإشارات إلى هذا العلم وردت في قول السيرافي (ت 386 هـ) « معاني النحو منقسمة بين حركات اللّفظ و سكناته، و بين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها و بين تأليف الكلام بالتّقديم و التّأخير و توخّي الصواب في ذلك و تجنب الخطأ لا من ذلك ».

فعلم المعاني هو فرع من فروع علم البلاغة الثلاثة (المعاني و البيان، و البديع) و يختصّ بعنصر المعاني و الأفكار، فهو يرشدنا إلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على بالفكرة التي تخطر في أذهاننا، و هو لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة و لكنّه يمدّ نطاق بحثه إلى علاقة كل جملة بالأخرى، و إلى النّص كلّه بوصفه تعبيرا متصلا عن موقف واحد، إذا أرشدنا إلى ما يسمّى: الإيجاز و الإطناب، و الفصل و الوصل على سبيل المثال. [4]

---

[1]– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط 1 ، 1424 هـ، 2003 م، ج 5 ص 19.

[2] – الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ ،ج 3، ص67.

[3] – عبد العزيز بن علي العربي: البلاغة المسيرة، دار بن حزم، ط 2، 1432 هـ-2011 م ، ص 57.

[4]– الخطيب القروينى: في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 م – 1424 هـ ص 4-5.

تمهيـــــــــــــد

إذا فموضوعه: اللّفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف و الخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال.

و فائدته: إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصّه الله به من جودة السّبك و حسن الوصف و براعة التراكيب و لطف الإيجاز و ما اشتمل عليه من سهولة التركيب، و جزالة كلماته، و عذوبة ألفاظه و سلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، و حارت عقولهم أمام فصاحته و بلاغته.

- و الوقوف على أسرار البلاغة و الفصاحة في منثور كلام العرب و منظومه كي تحتذيَ حذوه، و تنسج على منواله، و تفرق بين جيّد الكلام و رديئه.

و استمداده: من الكتاب الشريف و الحديث النبّوي و كلام العرب و اعلم أنّ المعانيَ جمع معنى، و هو في اللّغة المقصود، و في اصطلاح البيّانيّين: هو التّعبير باللّفظ عمّا يتصوّره الذّهن، أو هو الصّورة الذّهنيّة من حيث تقصد من اللّفظ .[1]

[1] – السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط ،د.س، ص ص 48.47.46.

تمهيـــــــــــــد

سورة سبأ:

معنى السورة :

"سبأ [1]: في الأصل : اسم رجل من قحطان بن يعرب بن قحطان، و اسمه : عبد شمس و " سبأ" لقب له ... و إنّما لقب به لأنّه أول من سبأ و ولد له عشرة أولاد ...تيامن ستة منهم – أي سكنوا اليمن – وقيل أيضا: بنو سبأ: هم أولاد يشجب بن يعرب من قبائل اليمن .. و سمّيت سبأ باسم بانيها – باني البلدة – و "سبأ" اسم يقع للتذكير و التأنيث .. و التذكير – كما يقول سيبويه – أول لأنه الأصل و الأخف و هو اسم يصرف – أي ينون آخره – و قيل : الاسم يمنع من الصرف إلا أن الاختيار عند سيبويه هو الصرف"[2].

تسمية السورة :

لقد خصّ الله تعالى هذا الاسم و كرمه بتسمية إحدى سور التنزيل الكريم به و هو قوله تعالى في سورة "سبأ"﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ : 15].

و « جنتان » بمعنى: جماعتان من البساتين، و قد وردت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم مدة في هذه السورة الشريفة و هي في الآية الكريمة المذكورة آنفا فيها و مرة في سورة " النمل " و قد ورد قوله تعالى في هذه السورة الكريمة على لسان هدهد سليمان ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ : 22]، أي يا نبّي الله – يقصد سليمان – جئتك من بني سبأ بخبر يقين، ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ : 23].

أي تملك بني سبأ – يقصد بلقيس بنت شَرْحَبِيلْ – و كانت ملكة سبأ أرسل لها النبي سليمان كتابا جاء فيه : من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، السلام على من اتّبع الهدى .. أمّا بعد، فلا تعلوا علي و أتوني مسلمين، و كانت كتب الأنبياء – **عليهم السلام** – جملا لا يطيلون و لا يكثرون، و طبع الكتاب بالمسك و ختمه بخاتمه. و كانت بلقيس هي و قومها مجوسا يعبدون الشمس: و كان أبوها ملك أرض اليمن و لم يكن له ولد غيرها.[3]

---

[1] – سبأ لغة : سَبَأَ الخَمْرَ يَسْبَؤُها سَبْأً وسِباءً ومَسْبَأً واستَبَأَها: شَراها.

[2] – بهجت عبد الواحد الشيخي: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ، ط 1، 1422-2001، مج 8، ص 186.

[3] – بهجت عبد الواحد الشيخي:المرجع نفسه ، ص 187.

في قول إنها مكية :

هي مكّة و حكي اتفاق أهل التفسير عليه، و عن مقاتل أن آية ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [سبأ : 6]، نزلت بالمدينة، و لعلّه بناء على تأويلهم أهل العلم أنّما يراد بهم أهل الكتاب الذّين أسلموا مثل عبد الله بن سلام، و الحق أنّ الذيّن أوتوا العلم هم أصحاب محمد **– صلى الله عليه و سلم –** و عزي ذلك إلى ابن عباس أو هم امة محمد، قاله قتادة، أي لأنّهم أوتوا بالقرآن علما كثيرا قال تعالى : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ [العنكبوت : 49] ، على أنّه لا مانع من التزام أنّهم علماء أهل الكتاب قبل أن يؤمنوا لأنّ المقصود الاحتجاج بما هو مستقر في نفوسهم الذّي أنبأ عنه إسلام طائفة منهم كما بيّنه عند قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ [سبأ : 6] إلى آخره.

و هي السورة الثامنة و الخمسون في عدّاد السور، نزلت بعد سورة لقمان و قبل سورة الزّمر كما في المروي عن جابر بن زيد و أعتمد عليه الجعبري كما في الإتقان، و قد تقدّم في سورة الإسراء أنّ قوله تعالى فيها ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [الإسراء : 90] إلى قوله ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء : 92] . إنّهم عنوا قوله تعالى في هذه السورة ﴿ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سبأ : 9]،فأقتضى أنّ سورة سبأ نزلت قبل سورة الإسراء و هو خلاف ترتيب جابر ابن زيد الذّي يعد الإسراء متمما الخمسين و ليس يتعين أن يقول قولهم ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء : 92]. معنيا به هذه الآية لجواز أن يكون النبي**– صلّى الله عليه وسلّم –** هددهم بذلك في موعظة أخرى و عدد آياتها أربع و خمسون في عد الجمهور و خمس و خمسون في عد أهل الشام.[1]

مناسبتها لما قبلها:

تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة:

الأول : أنّ هذه السورة افتتحت ببيان صفات الملك التام و القدرة الشاملة التي تناسب ختام السورة السابقة في تطبيق العذاب و تقديم الثواب: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب : 73].

[1] – الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، مج 22، ص 133-134.

الثاني : كان آخر الأحزاب: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب : 5] ،و مطلع سبأ في فاصلة الآية الثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُور ﴾ [سبأ :2].

الثالث : في سورة الأحزاب سأل الكفار عن الساعة استهزاء، و في هذه السورة حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة.[1]

فضل قراءة السورة:

قال النّبي المصلح محمد – **صلى الله عليه و سلم** – « **من قرأ سورة سبأ لم يبقى نبيي و لا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقا و مصافحا** » صدق رسول الله.[2]

سبب نزول السورة:

سبب نزول سورة سبأ هو حدوث قصة بين رجلين شريكين، حيث خرج أحدهما إلى الساحل و ظلّ الآخرفي مكانه فلمّا بعث النبّي، و بعد أن بعث الله نبيه – **عليه السلام** – بعث بمكتوب إلى صاحبه فرد إليه: " إنّه لم يتبعه أحد من قريش إلّا رذالة الناس و مساكينهم " فترك الرجل تجارته و أتى صاحبه فطلب منه أن يدله على الرسول – **عليه السلام** – فقال له : دلني عليه، و كان يقرأ الكتب فأتى النبي فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا و كذا قال: أشهد أنك رسول الله قال: ما علمك بذلك ؟ قال : انه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس و مستضعفيهم و مساكينهم، فنزلت هذه الآيات فأرسل إليه النبي: إنّ الله قد أنزل تصديق ما قلت " أمّا الآية المدنية في السورة، فقد نزلت في قتلى المشركين في غزوة بدر الكبرى.[3]

أغراض هذه السورة:

من أغراض هذه السورة إبطال قواعد الشرك و أعظمها إشراكهم آلهة مع الله و إنكار البعث فابتدأ بدليل على انفراده تعالى بالإلهية و نفي الآلهية عن أصنامهم و نفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها، موضوع البعث، و عن مقاتل: أن سبب نزولها أن أبا سفيان لما سمع قوله تعالى:

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ ﴾ (الآية الأخيرة من سورة الأحزاب) قال لأصحابه: كأن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت و اللات و العزى لا تأتينا الساعة أبدا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا

[1] – وهيبة الزيلعي: التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دار الفكر، دمشق ، ط 10، 2009 ، مج 11، ص 456.

[2] – بهجت عبد الواحد الشي خي: بلاغة القرآن الكريم في الاعجاز، ص 187.

[3] – مقاصد سورة سبأ: "www.islam web.net"

تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ [سبأ :3] و عليه فما قبل الآية المذكورة من قوله ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ :1] إلى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [سبأ :2]، تمهيد للمقصود من قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾.

و إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات و ما في الأرض فما يخبر به فهو واقع و من ذلك إثبات البعث و الجزاء.و إثبات صدق النبي – **صلى الله عليه وسلم** – فيما أخبر به و صدق ما جاء به القرآن و أن القرآن شهدت به علماء أهل الكتاب.

و تخلّل ذلك بضروب من تهديد المشركين و موعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركين من قبل، و عرض بأن جعلهم الله شركاء كفر فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله و اتقوه فأوتوا خير الدنيا و الآخرة و سخرت لهم الخيرات مثل داود و سليمان، و بمن كفروا بالله فسلطت عليه الأرزاء في الدنيا و أعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ و حذروا من الشيطان، و ذكروا بأن ما هم فيه من قرة العين يقربهم إلى الله، و أنذروا بما سيعلقون يوم الجزاء من خزي و تكذيب و ندامة و عدم النصير و خلود في العذاب، و بشر المؤمنون بالنعيم المقيم.[1]

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984،مج22 ، ص 135.

الفصل الأول

I / المبحث الأول : الأسلوب الخبري

المطلب الأول : مفهوم الخبر :

أ – لغة :

لقد تعددت معاني و دلالات مادة "خبر" في المعاجم اللغوية العربية و الكتب المتداولة و الصياغات و الأساليب المتناولة من خلال الخطابات الواردة و الموجودة في السياقات المختلفة، و هذا راجع لاختلاف الأغراض و الأضرب المراد الوصول إليها، و المقاصد التي بصدد تبلغيها لذلك قد اتفق علماء البلاغة في تعريفهم للأسلوب الخبري في معناه و اختلفوا في الكلمات.

يعني الإعلام حسب ما ورد في تعريفات علماء اللغة، عرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) مادة خبر بقوله « أخبرته و الخبر النبأ و يجمع على أخبار و الخبير العالم بالأمر و الخبر علمك بالشيء».
فالخبر عند الخليل هو العلم بالشيء هذا و المعنى نجده يتكرر عن بعض اللغويين.[1]

و عرّفه ابن فارس (ت 395 هـ) بقوله: « أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام تقول أخبرته و أخبره و أخبر هو العلم: و هو إفادة المخاطب أمر في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو : قام زيد و يقوم زيد و قائم زيد».[2]

و أورد كذلك الفيروز أبادي (ت 817) في معجمه: فقد أكّد المعنى نفسه حين قال الخبر لنبأ جمع أخبار .... و المخبرة هي العلم بالشيء » فالخبر العلم بالشيء.[3]

من خلال هذه التعريفات يتضح أن المعنى الرئيسي للخبر هو النبأ و العلم بالشيء و هذا ما اتفق عليه أصحاب المعاجم.

ب – الخبر اصطلاحا:

الكلام إمّا خبر أو إنشاء لأنه: إمّا أن يكون له نسبة خارجية تطابقه و لا تطابقه، أو لا يكون له خارج فالأول الخبر و الثاني الإنشاء، فالكلام الذي يكون له مضمون يمكن أن يتحقق و لا يتحقق فحيث نقول:

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي :معجم العين، مادة ، (خ ب ر).

[2] – ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، مادة خبر ،1997 ،ص 133.

[3] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : قاموس المحيط، مكتبة الهيئة العلمية ،الرمالة، محمد نعيم العرقوبي، ط 8 ،بيروت لبنان، 2005 ،مادة خبر.

"السماء صافية" تضمنت الجملة حكما هو: نسبة الصفاء إلى السماء و قولنا قطف الولد الزهرة تضمنت الجملة حكما هو نسبة القطف إلى الولد، و يمكن أن يكون الكلام صدقا إذا صدقه الواقع أو كذبا إذا لم يصدقه لذلك يقولون أنّ الخبر هو الذي يتحمل الصدق و الكذب لذاته فإذا صدقه الواقع كان صادقا فإذا لم يصدقه كان كاذبا.[1]

و عرّفه العلوي (ت 2012 م) بتعريف شمل فيه الطلب، لكونه يتحقق فيه الإسناد و فرّق بينهما من حيث المطابقة، فالإنشاء لا تعتبر فيها المطابقة و عدمها، فقال: هو (إسناد أمر إلى غيره، إما على جهة المطابقة أو خلافهما) فإسناد أمر إلى غيره يعمّ الطلب و الخبر، لأنّ كل واحد منهما لابدّ فيه من الإسناد، و قولنا إما على جهة المطابقة أو غيرها تخرج عن الأمور الإنشائية، فإنه لا يعتبر فيها عدم المطابقة و لا ثبوتها بحال.[2]

أمّا الصاحبي فيقول: أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام تقول: «أخبرته أخبره ».

و الخبر العلم و أهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه و هو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم نحو :" قام زيد " ، " و يقوم زيد " "وقائم زيد" ثم يكون واجبا و جائزا و ممتنعا فالواجب قولنا:" النّار محرقة "، و الجائز قولنا: "لقي زيد عمرا" و الممتنع " حملت الجبل".[3]

و الخبر عند فضل حسن عباس (ت 2011) ما احتمل الصدق و الكذب، و أن الإنشاء مالا يحتمل صدقا أو كذبا.

و هناك تعريف آخر، و هو أنّ الخبر لا يتوقف تحققه و وجوده على قول المتكلم أمّا الإنشاء، فهو ما يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم به.

عندما أقول: عمر خليفة عادل، فإنّ وجود هذه القضية ليس متوقفا على تلفّظي بها، لكن إذا قلت للطالب: اقرأ موضوع التشبيه، فإن تحقق هذا الشيء – القراءة – متوقف على تلفّظي به.

---

[1]- الخطيب القزويني: في علوم البلاغة، المعاني و البيان و البديع، ص 24 .

[2]- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب النموذجية بيروت، ج 3، ص 140.

[3]- أحمد بن فارس: في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنة العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط 1، 1418 هـ - 1997 م ، ص 133.

فأنا لا أستطيع أن أقول لمن أمر بشيء أو نهى عن شيء، أو تمنى شيئا، أو استفهم عن شيء، أو نادى أحدا، لا أستطيع أن أقول له: هذا صدق أو كذب، لأن الصدق و الكذب، إنما يوصف بهما الشيء الذي ادّعينا وقوعه، و الحكم الذي أثبتناه لشيء ما.[1]

ومن خلال جل هذه التعريفات المدروسة المدوّنة و غير المدوّنة نجد الخبر ينحصر بين الصدق و الكذب و الوساطة بينها.

ج – الخبر الصادق و الكاذب:

و نقلا عن الجاحظ في هذا العنوان الجزئي (أنّ الخبر غير منحصر في القسمين: الصادق و الكاذب فيرى أن أقسامه ثلاثة : "صادق و كاذب و وساطة بينهما" لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد المخبر انه مطابق فهو صدق، و إن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه غير مطابق فهو كذب، و غير هذين ليس بصدق و لا كذب.)، فالأخبار الواجبة الصدق، كأخبار الله و أخبار رسله و الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة، و البديهيات المقطوع بصدقها أو كذبها.[2]

المطلب الثاني:

أضرب الخبر :

و يراد به دراسة الخبر من حيث مخاطبته لحال المخاطب، فالمخاطب إمّا خالي الذهن من الحكم أو متردّد فيه، أو منكر له، فيقال: جائني زيد و أكرمت عمر لخالي الذهن، لأنّ هذا الخبر يتمكّن في نفسه من غير توكيد لمصادفته إياه خاليا، لأنّ إلقاء الخبر يجب أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدا عنها، لئلا يكون عبثا، و لا ناقصا يخل بالغرض" الإفصاح و البيان" لذلك تختلف صور الخبر باختلاف أحوال المخاطب، و هي ثلاثة أضرب :

أ – الضرب الأول:

الابتدائي:

و هو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه و من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾[الأنبياء: 63].

---

[1] – فضل حسن عباس: البلاغة فنونها و أفنانها علم المعاني، دار الفرقان، للنشر و التوزيع، جامعة اليرموك، الأردن، ط 1 ، ط 2 ط 3، ط4، ص 100.

[2] - القزويني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ط1، 1904،ص 39.

ب – الضرب الثاني:

الطلبي: و هو الخبر الذي يتردّد المخاطب فيه و لا يعرف مدى صحتّه، أو هو كما قال السّكاكي: « و إذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللاّم في الجملة أو "إنّ"، و منه قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص :20].

و قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف: 08]. و منه قول جرير:

إن العيون التي في ظرفهما حور ** قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

ج – الضرب الثالث:

الإنكاري: و هو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكّد بأكثر من مؤكّد لقوله تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [ياسين: 13-14-15-16].

و للخبر مؤكّدات كثيرة منها :

إنّ، و أنّ، و كأنّ و لكنّ و لام الابتداء و الفصل ،و إمّا ، و قد و السّين، و القسم، و نونا التوكيد، و لن و الحروف الزائدة و حروف التنبيه.

المطلب الثالث:

أغراض الخبر:

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد الغرضين:

- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة و يسمى ذلك فائدة الخبر.
- إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم، و يسمى ذلك لازم الفائدة.

فالغرض الأول هنا و هو « **فائدة الخبر** » يقوم في الأصل على أساس أن يلقى إليه الخبر، أو أن يوجّه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، و يراد إعلامه أو تعريفه به.

و هذا الغرض الذي يسميه البلاغيون **فائدة الخبر** يتمثل في جميع الأخبار التي ينبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء يجهلها، كذلك يتمثل في الأخبار المتعلقة بالحقائق التي تشتمل عليها الكتب في العلوم و الفنون المختلفة، أو الحقائق العلمية التي تلقى على المتعلمين كأن أقل لمن أخاطب: العربية لغة الإيجاز فقد أفدته الحكم الذي تضمنته الجملة .

أمّا الغرض الثاني من الخبر فهو ما سماه البلاغيون **لازم الفائدة** و هو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه أي المتكلم، عالم بحكم الخبر، أي مضمونه، كقولك لمن نجح في الامتحان: لقد اجتزت الامتحان و يسمى هذا لازم الفائدة.[1]

و لكنّ الخبر كثيرا ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر فينزل غير السائل منزلة السائل و ينزل غير المنكر منزلة المنكر و ينزل المنكر منزلة غير المنكر، و له معاني مجازية كثيرة تحدث عنها البلاغيون و دارسوا علوم القرآن.

الخبر للاسترحام:

من قول إبراهيم بن المهدي مخاطبا المأمون:

أتيت جرما شنيعا ** و أنت للعفو أهل

فإن عفوت فمنّ ** و إن قتلت فعدل

و قول آخر :

فمالي حيلة إلاّ رجائي ** لعفوك إن عفوت و حسن ظني.

الخبر لإظهار التّحسر:

منه قول أعرابي يرثي ولد:

و لما دعوت الصّبر بعدك و الأسى ** أجاب الأسى طوعا و لم يجب الصّبر

و قول المتنبي :

أقمت بأرض مصر فلا ورائي ** تخبّ بي الركاب و لأمامي

الخبر لإظهار الضّعف :

منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا.﴾ [مريم:4].

[1] – عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط 1 ، 1430 هـ 2009م، ص 51-50.

و قول الشاعر:

إن الثمانين – و بلغتها – ** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

- **الخبر للإنكار:**

منه قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدّخان : 49]. و هذا للتبكيت، أما الإنكار من غير ذلك فمثل: " ماله عليّ حق ".

- **الخبر للتحذير :**

منه قوله – **صلى الله عليه وسلم** – « **أبغض الحلال عند الله الطلاق** ».[1]

- **الخبر لتحريك الهمة:** منه قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : 26].

- **الخبر للتعظيم:** منه « سبحان الله ».

- **الخبر للتمني:** منه « وددتك عندنا ».

- **الخبر للتوبيخ:** من ذلك قولنا لتارك الصلاة:« الصلاة ركن من أركان الإسلام ».

- **الخبر للتوعد:** كقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة: 34].

- **الخبر للدعاء:** قال المبرد: " تقول: « غفر الله لزيد »".

واللفظ لفظ الإخبار، والمعنى معنى الدعاء« ومنه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة 5]، أي أعنا على عبادتك .

- **الخبر للفخر:** منه قول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ ** تخرّ له الجبائر ساجدين

- **الخبر للمدح:**

فإنّك شمس والملوك كواكب ** إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

- **الخبر للنفي :** منه :« لا بأس عليك ».

- **الخبر بالنّفي والإثبات:** نحو قولهم :« ما هو إلاّ كذّاب » « وإن هو إلا كذّاب » ، ويستعمل في الأمر الذي ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة، قال الرازي:« فلا يصح استعمال هذه العبارة في الأمر الظاهر فلا تقول للرجل الذي ترفقه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم :« ما هو إلا أخوك .»

- **الخبر للنهي:** منه قوله تعالى :﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ .﴾ [الواقعة 79].

---

[1]– أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ،ص 480.

الخبر للوعد: منه قوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ [فصلت 53].

الخبر للوعيد: منه قوله تعالى : ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ .﴾ [الشعراء :227].

دراسة الأسلوب الخبري في سورة سبأ:

اعتمد البلاغيون في أبحاثهم اللغوية في دراسة القرآن الكريم من أجل توضيح المعنى الحرفي للآية و المقصود الشرعي لها على دلالتين هما:

- دلالة وضعية.
- دلالة فنية.

أما الدلالة الوضعية فهي التي تقدم للمخاطب كلاما يفهم منه إخبارا في مسألة معينة خاليا من اللمسة الفنية أو الجمالية فوظيفته مجرّد الإخبار لا غير.

و تحقق هذه الدلالة غرضين هما :

- **الفائدة:** حين يقوم الخبر بإيصال حقيقة ما إلى المتلقي كان يجهلها فقد قدم له فائدة في ذلك الإخبار كقولك: لمن لا يعلم ذلك.
- **لازم الفائدة:** إذا قدّم المتكلم للمتلقي حكما عالما به الغاية منه إخبار المتلقي بأن المتكلم يعلم ذلك الحكم فقد تحقق لازم الفائدة.

و في تقدير الباحث أن مثل هذا الأسلوب ليس له نصيب من علوم البلاغة العربية بل يدرس في ميادين أخرى كعلم المنطق و النحو و ما إلى ذلك، أما إذا خرج الخبر عن هاذين الغرضين فقد دخل – و لاشكّ – في الدلالة الثانية في الفضاء الرحب و العطاء الخصبي في الدلالة الفنية التي هي هدف الدرس البلاغي و غايته، و لولا هذا المسمى لما ميّزنا نقيس الكلام من خسيسه و لا رفيعه من وضيعه، و هذا هو ميدان دراستنا في سورة **سبأ** نستخلص منها هذه الجواهر و نبرز اللطائف التي خرج بها الخبر عن ظاهر الإخبار.

و القرآن الكريم في مجمله دلالات فنية تنطوي على إشارات و نكت و لطائف من أجلها عُدِلَ إلى هذه الدلالات، و قد كان لسورة **سبأ** كأي سورة من سور القرآن نصيب وافر منها نأخذ على سبيل المثال لا الحصر هذين النّموذجين:

1 /: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ ﴾[1] بعد أن انتهى السياق القرآني في الآية السابقة بقوله تعالى:

[1] – سورة سبأ: الآية 10.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [1] ناسب في هذا المقام أن يورد ذكر داود – **عليه السلام** – بعد هذه الآية، لأنه اشتهر بالإنابة ،علّق ابن عاشور على قول للطّيبي بخصوص هذه الآية بقوله: « يريد الطيبي أن داود من أشهر المثل في المنيبين بما اشتهر به من انقلاب حاله بعد أن كان راعيا غليظا إلى أن اصطفاه نبيّا و ملكا صالحا مصلحا لأمه عظيمة.

فهو مثل المنيبين كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [2] ، و قال:

﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[3] فلإنابته و تأويبه أنعم الله عليه بنعم الدنيا و الآخرة و باركه و بارك نسله، و في ذكر فضله عبرة للناس بحسن عناية الله بالمنيبين تعريضا بضدّ ذلك للذين لم يعتبروا بآيات الله و نلاحظ لفظة (منّ) وردت في هذا الموطن علما أن كلمة (آتينا) فيها غنى عن ذكرها و لكن لما كان المقام مقام تبيان للمَنِّ الذي منحه الله لآل داود ناسب ذكرها هنا تأكيدا على مرجعية هذا الفضل و أنه من عند الله و ما كان عند الله فله شأن عظيم، و هذا من مواطن الذكر، و تنكير الفضل هنا فيه تعميم و تعظيم[4].

يقول ابن عاشور :« وتنكير فضلا لتعظيمه وهو فضل النّبوءة وفضل الملك . وفضل العناية بإصلاح الأمة وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سعة النعمة عليه ، وفضل اغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع دروع الحديد ، وفضل إيتائه الزبور ، وإيتائه حسن الصوت ، وطول العمر في الصلاح وغير ذلك.»[5]

وأجمل الآلوسي وجوه جمال النظم بقوله:« وأنا أرى الفضل لتفسير الفضل بالإحسان وتنكيره للتفخيم ومنّا أي بلا واسطة لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية .... وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ليتمكن في النفس عند وروده فضل تمكن. »[6]

2/ ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.[7]

---

[1] – سورة سبأ: الآية 09.

[2] – سورة ص: الآية 17 .

[3] – سورة ص: الآية 24 .

[4] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير: الدار التونسية للنشر، تونس، د–ط، 1984، مج 22،ص 155.

[5] – محمد الطاهر بن عاشور: المرجع نفسه، ص 156.

[6] – شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسني الآلوسي: روح المعاني في الكتب العلمية، و السبع المثاني، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1415 هـ، مج ،11ص 287.

[7] – سورة سبأ :الآية 39.

تتضمن هذه الآية الحث على الإنفاق وقد جاءت بصيغة الشرط والجواب والملفت للنظر أن الشرط لما كان متعلقا بالإنسان جاء على صيغة الفعل والذي يدل على التجدّد والحدوث، وهذا يتناسب مع طبيعة الإنسان وطبيعة هذه الصفة التي لا تكون ملازمة للمنفق في سائر أوقاته ،ولما كان الجواب منسوبا إلى الله جاء على صيغة الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والملازمة ،أي أنّ الخلاف ثابت لا يحتاج إلى معالجة وتجدّد فهو مضمون وزاد من توكيدها تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي فحصل عندنا ثلاث مؤكدات : الشرط ،والجملة الاسمية وتقدم المسند إليه على المسند الفعلي مما يبعث على الاطمئنان على مصير الأموال التي تنفق في سبيل الله، ثم ذيّل الآية بقوله: ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المؤمنون: 72]. للترغيب والوعد بزيادة ،لبيان أنّ ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق.[1]

⬅ الإسناد الخبري بين صيغتي الاسم والفعل :

الجملة الاسمية والفعلية في نظر النحوي ما هما إلاّ مصطلحان معروفان في علم النحو **الأوّل** يبدأ باسم و **الثاني** بفعل، وإلى هذا الحد ينتهي الأمر ، بينما يذهب البلاغي إلى أبعد من ذلك فيغوص في ثنايا كلّ من الجملتين ليستخرج منهما الأبعاد الدلالية وما تنطوي عليه من لطائف وأسرار ،ونتيجة لاستقراء ،كلام العرب وجدوا أن الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت والاستقراء ، بينما تدلّ الفعلية على التجدّد والحدوث[2].

وقد تحقق لدنيا في سورة **سبأ** من هذا الإسناد نماذج نسوق منها:

1 / ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[3]

نلاحظ أن الآية تعالج شيئين معروفين بطبيعتهما هما (الحق) ،و (الهداية) وطبيعة الحق ثابت متكاملة لا تحتاج إلى تجزؤ ومعالجة، بينما قضية الهداية بطبيعتها تحتاج إلى معالجة و حدوث حتى تصل إلى مستواها المطلوب وتستقر في النفس، لذا جاء النظم في هذه الآية ملبيا مطالب كل من الطبيعيتين ف (الحق) جاء بصيغة الاسم الذي يدل على الثبوت المناسب له، في حين جاءت الهداية بصيغة الفعل (يهدي) المضارع ليفيد تجدّد وذلك وحدوثه مرّة بعد أخرى في كل زمان ومكان. ويقول ابن عاشور « والعدول عن الوصف إلى صيغة المضارع لإشعارها بتجدّد الهداية وتكرّرها.»[4]

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 220.

[2] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني: دلائل الإعجاز ،تح : محمود محمد شاكر أبي فهر دار المدني بجدة ،ط 3، مطبعة المدني بالقاهرة ،1992 ص 174.

[3] – سورة سبأ الآية :6.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، مج 22 ،ص 146.

2/ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٢١﴾ ﴾[1] لدينا في هذه الآية صلتان (من يؤمن) و(من هو منها في شكّ الأولى جاءت على صيغة فعلية(يؤمن) والثانية جاءت على صيغة اسمية (هو منها في شك) . يقول الألوسي: وكان الظاهر إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن لا يؤمن بها وعدل عنه إلى ما فيه النظم الجليل لنكتة وهي أنه قوبل الإيمان بالشك ليؤذن بأنّ أدنى مراتب الكفر مهلكه، وأورد المضارع في الجملة الأولى إشارة إلى أن المعتبر في الإيمان الخاتمة ولأنه يحصل بنظر تدريجي متجدّد ، وأتى بالثانية اسمية .إشارة إلى أن المعتبر الدوام والثبات على الشك إلى الموت»[2].

هذه الآية الكريمة صوّرت – وبدقّة- طبائع الناس الذين جاءهم النذير من الله ،فلما فاجأتهم الدعوة الجديدة طرأ عليهم عاملات ، **الأول** الإيمان و**الثاني** الشك،والشك مستلزم للفكر ، فلمّا كان الإيمان طارئ على كفرهم السابق المتأصل في نفوسهم و لا يأتي إلاّ بمعالجة وتجدّد وحدوث ناسب أن تأتي صلة هذه الطائفة بالصيغة الفعلية، في حين نرى صلة الطائفة الثانية هي الصيغة الاسمية ، لأن الشّك هو الأصل أمام فكرة الآخرة والبعث بعد الموت وهذا أمر متأصّل في نفوسهم فكان مقتضى الحال أن يكون بصيغة تدل على الثبوت .

3/ ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[3] الملاحظ على هذه الآية الكريمة أن خبر المبتدأ (الظالمون) جاء اسما(موقوفون) في حين أن الحال جاء بصيغة الفعل (يرجع) فالمتأمل لسياق الحال يجد أنّ النظم القرآني كان معجزا في رصده وموافقته لمقتضي هذا الحال ،كما نتلمّس دلالات وظلالا يوحيها لنا هذا السياق حيث يكتشف لنا عن طول مدة الوقوف في ذلك اليوم مذهولون ﴿ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾[4] وهذا المعنى مستوحي من الصيغة الاسمية للمسند (موقوفون) الذي يدل على الثبوت والملازمة فلما انتقل السياق القرآني لرصد تحاورهم فيما بينهم وكيف يلوم بعضهم بعض جاء بصيغة الفعل (يرجع بعضهم إلى بعض القول) والفعل هنا لا ينافي للوقوف الطويل بل يضفي عليه نوعا من التصوير المرعب الذي يخلع القلوب من مخادعيها ،ويكثّف حالة الذعر والضجر الشديد الناتجة عن جهل المصير في موقف يعلمون أنّهم مسؤلون فيه عما كانوا يعلمون،وجاء الفعل بصيغة المضارع لمحاكاة ذلك الحدث في ذلك الموقف الرعيب فكان

---

[1] – سورة سبأ :الآية 21.

[2] – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : مج 11 ، ص 308.

[3] – سورة سبأ: الآية 31.

[4] – سورة إبراهيم: الآية 43 .

النظم القرآني لآية في الانجاز والفخامة والروعة وهو يصوّر هذا الموقف ، يقول ابن عاشور :« وحي بالمضارع في قوله:يرجع بعضهم إلى بعض القول لاستحضار الحالة كقوله تعالى :﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ [إبراهيم 74].

⬅ توكيد الخبر:

معلوم أن البلاغيين جعلوا المتلقي للخبر بين ثلاث مراتب: إمّا أن يكون خالي الذهن أي لا يعلم عن الخبر شيئا ، أو متردّدا في تصديقه ، أو منكرا له وجاحدا، وبناءا على ذلك قسّموا الخبر على ثلاثة أقسام هي:[1]

1 /الخبر الابتدائي: هو الذي يناسب خالي الذهن فلا يحتاج إلى شيء من المؤكد أن ،هذا النوع من الإخبار تجسد في سورة سبأ موضع دراستنا في كثير من المواطن ، نكتفي منها بهذا النموذج على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[2].

فجملة (قل الله) خبرية بغضّ النظر عن فعل الأمر (قل) ، إن الرسول **–صلّى الله عليه وسلّم–** مكلّف بمخاطبة الكافرين الذين هم مظنة الشّك والجحد ، ومع هذا نرى أن الجملة خالية من التوكيدات ،بل أن النظم جاء على حذف المسند، ومعلوم أنّ الحذف في جملته يتنافى مع التوكيد، وسبب ذلك أنّهم لم يكونوا منكرين لحقيقة أن الله هو الذي يرزقهم بدليل قولهم في آية آخري : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[3].

فلو جيء بالتوكيد في هذا الموضع لقُيِّدَ النص بقيود الهجنة ولكان ذلك من الحشو ، وكلام الله منزه عن ذلك.

2 /الخبر الطلبي: وهذا الخبر متناسب مع الصنف الثاني من أصناف المتلقين للخبر ،وهم الذين بعتورهم الشّك والتردّد ،لذا يصحب هذا النوع مؤكد واحد لدفع هذا التردّد ، ومثاله من سورة سبأ قوله تعالى:

---

[1] – يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السّكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب : مفتاح لعلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط 2، 1897، ص 170 – :171.

[2] – سورة سبأ: الآية 24.

[3] – سورة يونس: الآية 31.

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] بعد أن بيّنا أنّ الكافرين لم يكونوا يشكّون أنّ الله هو الذي يرزقهم ، ولكن قضية الغنى والفقر كان لديهم فيها نظر، وذلك بأنّه قد يكون للحنكة والدراية والدربة ، دور في تحصيل الرّزق عن طريق التجارة وغير ذلك ،فيدخل العنصر البشري عاملا في الإثراء وعدمه في تصورهم ونقيض هذه القضية يحتمل الشكّ والتردّد، لذا أتيح في هذا المقام إلى تأكيد واحد بالحرف المؤكد(إنّ) ليدفع ما قد يوهمهم خلاف ذلك ،وهو أنّ الذي يغني ويفقر هو الله وحده ولا دور للعنصر البشري في ذلك من قريب أو بعيد ،وهذه القضية لا تتنافى الأخذ بالأسباب في تحصيل الرزق.

3 /الخبر الإنكاري: وهو الذي يلقى على المنكر الجاحد، لذا يحتاج غلى أكثر من توكيد كي يبطل هذا الإنكار فعلى قدر تصور المتلقي يكون الخطاب من حيث التوكيد أو عدمه وخير مثال نضربه لذلك من سورة سبأ قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾[2] في هذه الآية ينكر الكافرون مجيء الساعة، وهذا نقض لأقوى عرى الإيمان بالله ، فالذي ينكر الساعة لاشكّ ينكر البعث والنشور الذي سيقع في هذا اليوم للحساب والجزاء على الكفر والإيمان ،فلما كان هذا التصريح جريئا من قبل الكافرين كان الرد قويّا يتناسب مع عظم هذا الإنكار ، فنلاحظ أن الآية الكريمة احتوت على عدّة توكيدات **أوّلها** لكلمة (بلى) وهو حرف جواب مختص بإيصال النفي ،**ثانيها** القسم بالرّبّ مضافا لضمير النبي-**صلّى الله عليه وسلّم**-،ليدل على شدة القسم[3] ،و **ثالثها** لام التوكيد في الفعل (لتأتينّكم) ، وأخيرا نون التوكيد الثقيلة ، فتحقق لنا لذلك أربعة توكيدات مسوقة جميعها لإثبات مجيء الساعة وإبطال تصور هؤلاء إبطالا لا يقوم معه إثبات، والتوكيد هنا ليس لإقناعهم بذلك بل لترويعهم. يقول ابن عاشور :« وأكّد ما اقتضاه بلى من إثبات إتيان الساعة بالقسم على ذلك للدلالة على ثقة المتكلم بأنّها آتية وليس ذلك لإقناع المخاطبين وهو تأكيد يروع السامعين المكذبين »[4].

---

[1] – سورة سبأ :الآية 36 .

[2] – سورة سبأ: الآية 3 .

[3] – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ص 208 .

[4] – الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير ، مج 22. ص 139 .

II / المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي

القسم الأول: الإنشاء الطلبي

تعدّ سورة **سبأ** بآياتها طابعا بلاغي و أدبي مثل باقي الآيات الأخرى لما لها أهمية بالغة في الإعجاز القرآني.

حيث تعد سورة **سبأ** من السور القرآنية التي تتضمن معنى حرفي و عند تحليله و التعمق فيه نصل إلى المعنى الدلالي اللغوي أي أن هذه السورة تحوي على أساليب خبرية و إنشائية كل من هذه الأساليب أغراض و أهداف متعددة الغرض منها إيصال معنى مباشر أو غير مباشر من خلال مقاصد السورة حيث نجد: سورة **سبأ** تتضمن في ثناياها ما يصنف بالأساليب الإنشائية و التي تنقسم إلى أساليب إنشائية طلبية و أساليب إنشائية غير طلبية و الأساليب الإنشائية تضم عدة أساليب بصيغها و أدواتها المتتالية.

و الإنشاء الطلبي هو ما استلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب و يقع هذا الإنشاء في خمس أنواع رئيسة و هي :

الأمر و النهي، التمني و الاستفهام و النداء.

المطلب الأول: الاستفهام و النداء

أ و لا:الاستفهام

1 /مفهوم الاستفهام:

أ – لغة: اتفق اللّغويون في معجمهم على أنّ الاستفهام هو معرفة الشيء و فهمه حيث جاء في معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ): « فهمت الشيء فهما عرفته و عقلته، فهمت فلانا و أفهمته: عرفته...»[1]

و قد عرّفه الجوهري (ت 393 هـ) بقوله: « فهمت الشيء فهما و فهامية، و فلان فهم و قد إستفهمني الشيء و فهمته تفهيما»[1].

[1] – الخليل ابن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مادة فهم، ص 344.

و قد جمع كل ما سبق ذكره في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) « فافهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما و فهامة علمه و الأخيرة عن سيبويه فهمت الشيء عقلته و عرفته و فهمت فلانا، و أفهمته و تفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء، و استفهمه سأله أن يفهمه، و قد استفهمني الشيء فأفهمته و فهمه تفهيما».[2]

من خلال ملاحظتنا للتعريفات السابقة نجد أن معظم اللغويين اتفقوا على أنّ الاستفهام هو فهم الكلام و معرفته و هو استفسار للوصول إلى فهم الكلام و إيصال ما يقصده المتكلم إلى المتلقي و من هنا يمكننا القول أن الاستفهام هو طلب الفهم.

ب – اصطلاحا:

فقد كان للاستفهام نصيب من الاهتمام عند اللغويين في معاجمهم وكان كذلك عند البلاغيين الذين كانت لهم نظرتهم الخاصة حول هذا المفهوم ونذكر من بينهم :

سيبويه (ت 180 هـ) الذي تحدث عنه في مواضع جمّة وألمّ به إلماسًا كبيرا وقد عرفه بقوله :« طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عما سأل عنه »[3] .

كما يعرفه السّكاكي(ت 626 هـ) بقوله :« و الاستفهام الطلب الحصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إمّا أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون ،والأول هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين ،والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق ... »[4].

ويعرّفه الإمام يحي بن حمزة العلوي(ت 749هـ) بقوله: « ... والاستفهام معناه طلب المراد من الغير على وجه الاستعلاء ،فقولنا طلب المراد عام فيه،وفي الأمر وقولنا ،على جهة الاستعلام يخرج منه الأمر فإنه طلب المراد على جهة التحصيل و الإيجاد، و آلاته على نوعين : أسماء وحروف».[5]

وتحدّث البلاغيون في العصر الحديث عن الاستفهام ومن بينهم السيد أحمد الهاشمي الذي عرف الاستفهام بقوله:« الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداء من إحدى أدواته ».[1]

---

[1] – إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة و صحاح العربية، تر أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3 1404 هـ، 1984 م، مادة فهم، ص 2005.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مادة فهم ،ص 459.

[3] – سيبويه : الكتاب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 9، 1988 ، ص 88.

[4] – تح نعيم زرزور :مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 303 .

[5] – يحي بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، ص 158 .

فلأسلوب الاستفهام أهمية بالغة في اللغة العربية وتكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر وله معنيين معنى حقيقي و معنى غير حقيقي ،فالمعنى الحقيقي يكون إذا طلب به معرفة شيء كان مجهولا من قبل ،وأمّا المعنى الغير حقيقي فهو الذي يقصد به طلب معرفة شيء ويؤتى به للتعبير عن أغراض أدبية بلاغية أخرى كثيرة .

2/ أدوات الاستفهام: للاستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان:

الأول: حرفان: وهما الهمزة وهل . وتستعمل الهمزة لطلب التصديق وهو إدراك النسبة أي تعيينها مثل : « أقام محمد.» ؟ الجواب عنهما يكون بـ:

" نعم " أو " لا" وللتصور وهو إدراك المفرد أي تعيينه مثل:" أقام محمد أم قعد" ؟ والجواب عنهما يكون بتحديد المفرد أي قام أو قعد.

أمّا هل فلا يطلب بها غير التصديق مثل:" هل قام محمد" ؟ والجواب عنهما يكون بـ "نعم" أو" لا".

الثاني: أسماء، ولا يطلب بها إلاّ التصور وهي:

1/ ما: يطلب بها شرح الشيء مثل : ما البلاغة؟

2/ منْ: للسؤال عن الجنس مثل: منْ هذا ؟

3/ أيّ: للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما مثل: أي الثياب عندك؟

4/ كم: للسؤال عن العدد مثل: كم كتابا عندك؟

5/ كيف: للسؤال عن الحال مثل:كيف محمد؟

6/ أين: للسؤال عن المكان مثل:أين كنت؟

7/ أنّى:تستعمل تارة بمعنى "كيف" كقوله:﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ [البقرة : 259]. وتارة بمعنى " من أين": كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: 37] و تارة بمعنى " متى " مثل: " أنّى تسافر؟"

8/ متى :للسؤال عن الزمان مثل:متى جئت؟

9/ أيّان: للسؤال عن الزمان كقوله تعالى:﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾ [القيامة:6] وكقوله:﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ ﴾ [الذاريات: 12] .

[1] – السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، المكتبة العصرية .بيروت لبنان، د.ط ،ص 78 .

و الأغراض التي يخرج الاستفهام إليها كثيرة ، وقد ذكر المتقدمون كسبيويه والفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة والمبرد قسما كبيرا منها ولكن البلاغيين المتأخرين كالسّكاكي و القزويني و شراح تلخيصه، والذين ألفوا في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي جمعوها مرتبة في مباحث الاستفهام.

- **استفهام الإثبات** : ويأتي للإثبات مع التوبيخ كقوله تعالى :﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: 97].
- **استفهام الإخبار** :سماه بهذا الاسم أبو عبيدة ، ومثل له بقوله تعالى:﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠ ﴾ [ياسين: 10] وسماه البلاغيون" استفهام التقرير" أما استفهام الإخبار فقد مثل له السيوطي

بقوله:﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾ [النور: 50].[1]

- **استفهام الاستبطاء**:مثل له السيوطي بقوله: ﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 214].
- **استفهام الاستبعاد**:مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣﴾.

[الدّخان: 13].

- **استفهام الاسترشاد**:مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة:30] والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين وإنما فرق بين العبارتين أدبا :

وقيل : هي هنا للتعجب.

- **استفهام الافتخار** :مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ ﴾ [الزخرف: 51].
- **استفهام الاكتفاء**: مثل له السيوطي بقوله تعالى :﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:60].
- **استفهام الأمر**: ذكره الغراء ومثل له بقوله تعالى:﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡ ﴾ [آل عمران: 20] وقال :« وهو استفهام ومعناه أمر» .
- **استفهام الإنكار** : والمعنى فيه النفي وما بعده منفي ولذلك تصحبه (إلاّ) كقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: 35] وعطف المنفي عليه كقوله:﴿ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩ ﴾

[1] – أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص، 109- 110 .

[الروم: 29] أي : لا يهدي وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعني " لم يكن " وفي المستقبل بمعنى " لا يكون" كقوله تعالى:﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ [الإسراء: 40] أي لم يفعل ذلك.

- **استفهام الإياس:** ذكره الزركشي ومثل له بقوله تعالى:﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التكوير: 26].
- **استفهام الإيناس:**مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [طه : 17] وقيل هي للتقدير

فيعرف ما في يده حتى لا ينفرّ إذا انقلبت حية.

- **استفهام التأكيد:** أي التأكيد لما سبق من معني أداة الاستفهام قبله ومثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزمر: 19] أي ، من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه.
- **استفهام التبكيت:** ذكره الزركشي ومثل له بقوله تعالى:﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ ﴾[المائدة : 116].
- **استفهام التجاهل:** مثل له السيوطي : بقوله تعالى:﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا ﴾ [ص:08].
- **استفهام التحذير** : ذكره الزركشي ومثل له بقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المرسلات: 16] أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم.[1]
- **استفهام التحضيض** : وهو الطلب برفق، وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى :﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة: 16]
- **استفهام التحقير** : مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ [الأنبياء : 16].
- **استفهام التذكير** : وفيه نوع اختصار ، وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [ياسين: 60].
- **استفهام الترغيب** : مل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [**البقرة:**245].
- **استفهام التّسهيل** : وهو للتخفيف ، وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ ﴾ [النساء : 39].

[1] – المرجع السابق: ص 111 – 112 .

- **استفهام التّسوية**:وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها، كقوله تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾. [البقرة: 06] وهو استفهام الإخبار الذي ذكره أبو عبيدة.
- **استفهام التشويق**: جمعه السيوطي مع استفهام الترغيب ومثل لهما بقوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: 245].
- **استفهام التعجب**:و يقال له استفهام التعجيب وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾[البقرة: 28. ونهم من جعله للتنبيه.
- **استفهام التّعظيم**: مثل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة :225]
- **استفهام التفجّع**: ذكره الزركشي ومثل له بقوله تعالى:﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ﴾ [الكهف: 49] ولعله التفخيم الذي ذكره السيوطي لأن الآية لا تشعر بالتفجّع كما تشعر بالتعظيم والتفخيم.
- **استفهام التفخيم** : مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ [الكهف: 49] هذه الآية شاهدة للتفجيع وليس فيها تفجع[1].
- **استفهام التقرير**: ومعناه أن تقرر المخاطب بشيء ثبت عنده لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام لقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٌ ﴾ [الملك : 08] فإن الغرض منه ،إقرارهم بمجيء النذير لكنه أخرجه بصورة الاستفهام وذلك لما فيه من حجة دامغة[2].

كما ذكر الجرجاني (ت 471 هـ) التقرير بقوله :" فإذا قلت : أأفعلت ذاك؟ كان غرضك أن تقرره :بأنه الفاعل يبين ذلك قوله تعالى:حكاية عن قول نمرود:﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

- **استفهام التكثير** : مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَـٰهَا ﴾ [الحج : 45].
- **استفهام التّمني** : مثل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾ [**الأعراف** : 53].

---

[1] – أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ،ص 113 – 114.

[2] – أحمد مطلوب :المرجع نفسه، ص 115.

[3] – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ،مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط 5 ،2004 م، ص 145.

- **استفهام التّنبيه:** و هو من أقسام الأمر، و قد مثل له السيوطي بقوله تعالى :﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: 40].
- **استفهام التهديد** : ويكون للوعيد وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المرسلات: 16].
- **استفهام التهكّم:** ويكون للاستهزاء ،وقد مثل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ ﴾ [هود: 87].
- **استفهام التّهويل:** و يكون للتخويف، و قد مثل له السيوطي بقوله تعالى:﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾ [الحاقة: 1- 2] و قوله: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ ﴾ [القارعة: 1 - 2].
- **استفهام التوبيخ** : وجعله بعضهم من قبيل الإنكار ألا أن الأول إنكار أبطال وهذا الإنكار توبيخ والمعنى أنّ ما بعده واقع جدير بأن ينفى،فالنفي بالتقريع أيضا ومنه قوله تعالى:﴿ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾ [طه : 93].

وقوله: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[1] [الصافات: 95].

- **استفهام الدّعاء:** و هو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى و منه قوله تعالى﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف: 155] أي لا تهلكنا.
- **استفهام العتاب:** لقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : 16].
- **استفهام العرض:** و هو الطلب بشق، و لقوله تعالى:﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [النور : 22].
- **استفهام النّفي:** كقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمان: 60]
- **استفهام النّهي:** كقوله تعالى:﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ [التوبة: 13] بدليل قوله: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: 44].
- **استفهام الوعيد:** قال السيوطي: « و منه الوعيد كقولك لمن يسيء الأدب، ألم أؤدّب فلانا ؟ إذا كان عالما بذلك»،[2] و منه قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المرسلات : 16].

---

[1] – أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ص 115 .

[2] – أحمد مطلوب :المرجع نفسه، ص 116 .

ثانيا: النداء

1 /مفهوم النداء:

أ – لغة: النداء هو الصوت مثل الدعاء و الرّغاء و قد ناداه و نادى به، و ناداه مناداة و نداء أي صاح به و أندى الرجل إذ أحسن صوته، و قال الزّجّاج: (ت 923 هـ) و الندى: بعد الصوت، و رجل نديّ الصوت بعيده، و الإنداء: بعد مدى الصوت، و ندى الصوت: بعد مذهبه، و النداء ممدود الدعاء بأرفع الصوت، و قد ناديته نداء، و فلان أندى صوتا من فلان أي أبعد مذهبا و أرفع صوتا، إذن النداء هو الصوت.–[1]

و في معجم الوسيط عرضه إبراهيم مصطفى بـ (نادى) الشيء مناداة، و نداء ظهر و يقال: نادى النبت: بلغ و التفى. و فلانا: دعاه و صاح بأرفع الأصوات و يقال: نادى به و جالسه في النادي و شاوره و فاخره و يسّره أظهره عليه، تنادى القول: نادى بعضهم بعضا و اجتمعوا في النادي.[2]

أما في معجم الوجيز وردت مادة نداء على النحو التالي: نادى فلانا: دعاه و صاح بأرفع الأصوات و يقال: نادى به (و تنادى) القول: نادى بعضهم بعض.[3]

و عليه يمكن القول أن النداء في اللغة، مصدر للفعل نادى ينادي، مناداة بمعنى الصوت، و الدعاء و الصراخ فهي ثلاث مترادفات بمعنى واحد و هو النداء.

ب – النداء في الوضع الاصطلاحي:

– النداء عند النحاة:

النداء هو الدعاء بياء أو إحدى أخواتها، أو هو طلب الإقبال بإحدى أدواته، و النداء أسلوب إنشائي في حقيقته[4].

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ص 227.

[2] – إبراهيم مصطفى و آخرون: معجم الوسيط، ص 912.

[3] – مؤسسة عبد الحفيظ البساط لتجليد و تصنيع الكتاب: المعجم الوجيز، بيروت، لبنان، ص 595.

[4] – محمد نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ، دار الفرقان، بيروت، لبنان، ط 1، 1980 م، ص 219.

و المراد بالنداء أيضا توجيه الدعوة إلى المخاطب، و تنبيهه للإصغاء و سماع ما يريده المتكلم[1]، و هذا ما ذهب إليه الزركشي (ت 1392 هـ) في البرهان حيث يقول: « النداء هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص »[2] و بهذا يتجلى لنا أن دلالة النداء لا تخرج عن إطار الدعوة و الإقبال.

حروفه: ثمانية عند المتأخرين، و هي الهمزة بنوعيها المقصورة و الممدودة: أيُّ، أيَّ، يا، أيّا، هيّا، وا و يستعمل بعضها للقريب و الآخر للبعيد.

حذفها: تتعرض (الياء) للحذف، و هذا يقصر عليها دون غيرها، و تقدر عند الحذف وحدها، و هناك مواضع يمتنع فيها الحذف ، ومواضع يقل فيها ، ومواضع يجوز فيها الحذف.

أنواع المنادى و أحكامها: يقسم النحاة المنادى من حيث البناء و الإعراب إلى قسمين:

مبني و يضم العلم، و النكرة المقصودة، و معرب و يضم المضاف و الشبيه به، و النكرة غير مقصودة، كما يقسم المنادى أيضا من حيث نوعيه الى قسمين: حقيقي و مجازي.[3]

حذف المنادى: أجاز أغلبية النحاة حذف المنادى، و أنكر بعضهم هذا الحذف، و لكل منهم حجته.

تابع المنادى: لم يقف النحاة عند التركيب الندائي بل تجاوزه إلى دراسة ما يتبعه، لما هذا التابع من علاقة وطيدة به، و فصلوا أحكامه، كما تتبعوا الحالات التي يخرج إليها النداء.[4] و هي المعروفة، كالتخصيص و الإغراء، و التحذير، و الدعاء، و التعجب و التوجع و التأسف، و التحسر و الندبة، الاستغاثة، و ما يتعرض له المنادى من حذف و هو الترخيم.[5]

و خلاصة القول أن النحاة تتبعوا التركيب الندائي تتبعا دقيقا شاملا كاملا، و تمكنوا من تقديم دراسة وافية حوله.

---

[1] – عباس حسن : النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1974 م، ص 4.

[2] – بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، د.ط، د.س ص 323.

[3] – مبارك تريكي: مجلة حوليات التراث النداء عند النحويين و البلاغيين، المركز الجامعي المدية، مستغانم، الجزائر، 2007 م ص 140.

[4] – المرجع نفسه، ص 141.

[5] – إبراهيم عبود السامرائي: الأساليب الإنشائية في العربية النمط و الاستعمال، دار المناهج، ط 1، 2008 م، ص 19.

– النداء عند البلاغيين:

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء و هو أيضا دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو و نحوه، كما قيل فيه أيضا هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك [1] كما عرفوا النداء أيضا بأنه طلب الإقبال أو تنبيه المنادى، و حمله على الالتفات بأحد حروف النداء، أو أنه ذكر اسم المدعو بعد حرف من حروف النداء.[2]

و أما حروف النداء فهي ثمانية و هي: "الهمزة" و "أيْ" لنداء القريب، و "يا" و "أيّ" و "أيّا"، و "هيّا" و "آ"، و "وا"، و هذه جميعا لنداء البعيد، و يمكن أن يتحقق النداء دون استعمال الأداة.

خروج هذه الأحرف عن أصل وضعها: قد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى عندها بالهمزة، و أيّ للإشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم، صار كالحاضر معه لا يغيب عن القلب و كأنه ماثل أمام العين و مثاله قول الشاعر:

أساكن نعمان الأراك تيقنوا * * بأنكم في ربيع قلبي سكّان.

و قد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بغير (الهمزة، و أيْ) لأغراض منها: الإشارة إلى علو مرتبته، فيجعل بعد المنزلة كأنه بعيد في مكان كقول أبي نواس:

يا رب إنّ عظمت ذنوبي كثرة ** فلقد علمت بأن عفوك أعظم.

و الإشارة إلى انحطاط منزلة و درجته، و يتجلى ذلك في بعد هذه الدرجة و انحطاطها كقول الفرزدق:

أولئك أبائي فجئني بمثلهم ** إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

و الإشارة إلى المنادى لغفلته و شرود ذهنه، كأنه غير حاضر مع المنادى في مكان واحد.

كما قال الشاعر:

يا جامع الدنيا لغير بلاغة ** لمن تجمع الدنيا و أنت تموت؟

و قد تخرج أيضا ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق،[3] نذكر منها:

الإغراء: كقولك: لمن أقبل يتظلم: يا "مظلوم"، فإنه ليس لطلب الإقبال لكونه حاصلا، و إنما الغرض إغراؤه على زيادة التظلم و بث الشكوى.[1]

---

[1] – المرجع نفسه: ص 142.141.

[2] – أحمد مصطفى المداني: علوم البلاغة البيان المعاني البديع، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 3، 1993 م، ص 81.

[3] – محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة البديع البيان المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، بيروت، لبنان، د.ط، د.س، ص 306.

- **الندبة،** كقول الشاعر:

فواعجباكم يدعي الفضل ناقص ** و أسفاكم يظهر النقص فاضل.[2]

- **التعجب:** كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يسن:30].

- **التحسر والتوجع:** كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾ [الزمر: 56].

- **التحذير:** كما في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَـٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ [الشمس: 13].

- **الدعاء:** كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[مريم:4].[3]

وبهذا فقد اختلف البلاغيون في طريقة المعالجة لموضوع النداء عن النحويين وذلك يعود إلى طبيعة درسهم البلاغي الذي يعنى بمقتضى الحال والمقام ،إذا لم يعنوا في معالجتهم بتقسيمات النحويين وتفصيلاتهم، حيث تناولوا مفهوم النداء وأدواته ،ومواضع استعمالها ،وحذفها ،وانتقلوا إلى معالجة أغراضه البلاغية ضامّين جهودهم إلى جهود النحويين،وبذلك وجدنا الفريقين يشيران في معالجتهم للجملة الندائية إلى هذه الأغراض ، التي خرج فيها النداء عن أصله ليدّل عليها،كالتعجب والاستعانة والندبة والاختصاص والترخيم،وهي أغراض مشتركة بين النحويين والبلاغيين.

2 /أدوات النداء:

حروف النداء ثمان تنقسم إلى قسمين : قسم لنداء القريب ،وقسم لنداء البعيد ،وهي:

1– يا:[4] أكثر شيوعا ،وتستخدم للقريب والبعيد ،والمتوسط البعد.

2– أ: نحو: أشامتا ،أأحبابنا

3– أي : تستعمل لمنادى القريب.

4 – أيّا: وهي لنداء البعيد، كما في قول قيس بني الملوّح(مجنون ليلى):

---

[1] – السامرائي: الأساليب الإنشائية في العربية النمط و الاستعمال، ص 89.

[2] – الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، ص 118.

[3] – المرجع نفسه : ص 89– 90.

[4] – يوسف أبو العدوس:مدخل إلى البلاغة العربية المعاني البيان البديع ،دار النشر عمان،الأردن ،ط1،2007م ،ص 163.

أيا جنلبى نعمان بالله خليّا ** كنسيم الصّبا يخلص إلىّ نسيمها.

وقد ذكر الجوهري في الصحاح أنها للنداء القريب والبعيد[1]

5– هيا: تستخدم لنداء البعيد ،مثل : هيا يهود فلسطين ! والله ليأتين يوم يعز فيه ضعفاء المسلمين ويذل أعداء الدين

6– وا : تستعمل لنداء المندوب،مثل قول الشاعر في الرثاء:

وا محسنا ملك النفوس بيده ** وجرى إلى الخيرات سيقا الخطا[2]

7– آ: تستخدم للمنادى البعيد،مثال :آصديقي.

8– آي: تستعمل للمنادى البعيد، مثل: آيْ خالد لا تحزن،[3] وهي أقل استعمالا من سابقاتها[4].

ويمكن القول أن أدوات النداء هي أدوات تنبيه بها المنادى المحتاج إليه من أجل الجواب ،وتختلف ارتفاعا وانخفاضا بحسب القرب والبعد.

3 /أغراض النداء ودلالاته:

أ – الاستغاثة:

➢ **تعريفها:** يقصد بها نداء من يخلّص من شدة،أو يعين على مشتقه بواسطة (يا) ،ولابد فيها من مستغاث ومستغاث له.

➢ **أركانه:** هي حرف النداء(يا) ،وبعده (المستغاث به) وهو المنادي الذي يطلب منه العون والمساعدة ،ويسمّى أيضا (المستغاث) ،وهذا الاسم أكثر شيوعا هنا ،ثم:(المستغاث له) وهو الذي يطلب له العون،لنصره وتأييده ومثال ذلك : مناداة الغريق حين يشرف على الموت فيصرخ :(ياللناس للغريق) ، ومناداة الحارس زملاؤه حين يرى جمعا من الأعداء مقبلا فيرفع صوته : (ياللحراس للأعداء) . فهو الدافع للاستغاثة، بمعاونته، أو لمقاومته.[5]

---

[1] – إبراهيم حسن إبراهيم :أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، مطبعة الفجالة،القاهرة، مصر، د.ط، 1978م ،ص 11.

[2] – أيمن أمين عبد الغني: النحو الكافي ،دار التوفيقية للتراث ،القاهرة،مصر، د.ط، د.س، ص 161،162.

[3] – أحمد مطلوب: البلاغة والتطبيق، ص141.

[4] – فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان، ط3، 1992 م، ص164.

[5] – عباس حسن : النحو الوافي، ص 77.

➢ **شروط الاستغاثة:** الأداة (يا)، التي تدخل على المستغاث مجرورا بـ : لام مكسورة، كقولك: يا لزيد لدهر جائر فإذا عطفت على المستغاث و كررت (يا) فتحت اللام الثانية أيضا، نحو: يا لزيد و يا لمحمد لإنسان محتاج.[1]

➢ **الأحكام الخاصة بكل ركن من أركان الاستغاثة:**

لابد من مراعاة هذه الأحكام التي تتركز فيما يأتي:

ما يختص بحرف النداء: يتعين هنا أن يكون حرف النداء هو: (يا) دون غيره من أخواته، و أن يكون مذكورا دائما، نحو: يا لأحرار للمستضعفين ... فإن تختلف أحد هذين الشرطين لم يكن الأسلوب أسلوب استغاثة.

ما يختص بالمستغاث (و هو المنادى): الغالب على المستغاث أن تسبقه لام الجر الأصلية، و متى وجدت كانت مبنية على الفتح وجوبا [2]. نحو: يا للطبيب للمريض.[3] و وجود هذه اللام ليس واجبا، و إنما الواجب فتحها حين تذكر ... و يستثنى من بنائها على الفتح حالتان، يجب فيهما بناؤها على الكسرة:

الأولى: أن يكون المستغاث (يا المتكلم) نحو: يا لي للملهوف.

الثانية: أن يكون المستغاث غير أصيل، و ذلك بأن يكون غير مسبوق بـ : (يا) و لكنه معطوف على مستغاث آخر مسبوق بها، فيكتب من السابق معنى الاستغاثة، و المراد منها نحو: يا للوالد و للأخ للقريب المحتاج، فكلمة (الأخ) ليست مستغاثا أصيلا لعدم وجود حرف النداء (يا) معها، و لكنها استفادت معنى الاستغاثة من المعطوف عليه المستغاث الأصيل الذي قبله[4] ، (يا) و هو الوالد ففي هذه الصورة و التي قبلها يجب كسر اللام الداخلة على المستغاث.

ما يختص بالمستغاث له:

- يجب تأخيره عن المستغاث
- و يجب جره بلام أصلية مكسورة دائما.كالأمثلة السابقة- إلا في حالة واحدة، و هي: أن يكون المستغاث له ضميرا لغير ياء المتكلم فتفتح لام الجر نحو: يا للناصح لنا، و يا للمخلص لكم ... بخلاف: يا للرائد لي، لأن الضمير ياء المتكلم[5]، و في جميع الصور تتعلق اللام و مجرورها بحرف النداء (يا)

---

[1] – هادي نهر: نحو الخليل من خلال معجمه، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، د.ط، 2006 م ، ص 49.

[2] – المرجع نفسه: ص 78.

[3] – محمود مطرجي: النحو و تطبيقاته، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2000 م، ص 407.

[4] – محمود مطرجي: المرجع نفسه ، ص 407.

[5] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 84.

- يجوز حذفه إن كان معلوما و اللبس مأمونا.
- يجوز – عند قيام قرينة – الاستغناء عن هذه اللام، و الإتيان بكلمة: (من) التعليلية عوضا عنها، بشرط أن يكون المستغاث له مستنصرا عليه، (أي: أن يكون القصد من الاستغاثة التغلب عليه و إضعاف أمره ...)[1] فإن لم يكن مستنصرا عليه بأن كان مستنصرا له لم يصح مجيء (من) و تعينت اللام.

➤ **بعض أحكام عامة أهمها:**

- جواز وقوع المستغاث به و المستغاث له ضميرين، نحو: يا لك لي، يقولها من يستغيث المخاطب لنفسه.
- جواز أن يكون المستغاث هو المستغاث له من معنى، كقولك في النصح الرقيق لمن يهمل، و اسمه علي مثلا: يا لَعَليّ، لِعَليّ، أي: أدعوك لتنصف نفسك من نفسك.
- إذا وقع بعد (يا) اسم مجرور باللام ،لاينادى إلا مجازا ،لأنه لا يعقل وليس بعده ما يصلح أن يكون مستغاثا ،جاز فتح اللام وكسرها ، نحو: يا للعجب ،أو ياللمروءة... يا للكارثة ...فالفتح على اعتبار الاسم مستغاثا به ، مجازا ، لتشبيه بمن يستغاث به حقيقة، أي ياعجب، أو:يا مروءة... أو : ياكارثة... ،أو:احضري فهذا (وقتك) والكسرة على اعتبار الاسم مستغاثا له ، والمستغاث له والمستغاث محذوف فكأنك دعوت غيره لتنبيه على هذا الشيء ،والأصل مثلا: يالقومي للعجب ،أوللمروءة أو للكارثة.

أما في مثل:(يالك) بكاف الخطاب : للعاقل وغيره ،فاللام واجبة الفتح ،ولكنّ الكاف تصلح أن تكون مستغاثا به أو مستغاثا له ،على الاعتبارين السالفين[2]

ب– النداء المقصود به التعجب:

إذا أخرج النداء في حال كونه استغاثة عن معنى الأصلي،وهو طلب الغوث إلى قصد آخر ،وهو التعجب،يسري عليه كل ما يسرى على المستغاث من أحكام.

➤ **التعجب بالنداء:** التعجب بالنداء على وجهين : أحدهما أن ترى أمرا كثيرا فتتعجب من كثرته بنداء جنسه كقولك : ياللماء، ياللدواهي، متعجبا من كثرتهما ،والآخر أن ترى أمرا تستعظمه فتنادي من له نسبة إليه أو مكانة فيه ، نحو ياللعلماء.[3]

---

[1] – المرجع نفسه: ص 84.

[2] – عباس حسن النحو الوافي ،ص 84.

[3] – إبراهيم حسن إبراهيم : أسرار النداء في لغة القرآن الكريم ،ص 109 .

ويأتي المتعجب منه على الصور التي يأتي عليها المستغاث ،ويتفق معه في الأحكام التي سبق ذكرها فيقال: ياللعجب ،يا عجب له ،ويقال في إعرابه ما قيل في إعراب المستغاث ،ومثال عن التعجب : كقولنا : يالجمال الطبيعة ويالطيبة الرجل ، ويالعظمة سلوكه.

كما أن التعجب إذا انصرف الاسم الواقع بعد (يا) للتعجب أي : غير صالح أن يكون مستغاثا به جاز في لامه:

- الفتحة: متابعة لأسلوب الاستغاثة نحو : ياللعجب ياللذل[1]
- الكسرة: باعتباره مستغاثا له، والمستغاث محذوف والتقدير : ياقومي لِلأسف ،نحو: ياللأسف ،ياللعجب.
- الجار والمجرور: متعلق بحرف النداء ،أو فعل النداء ،-تعجب- المحذوف ،وعند حذف اللام يعوض عنها بألف تلحق آخر الاسم ولا يجوز اجتماع الألف واللام وهذا المسمي أسلوب التعجب وصورته الشكلية ، على صورة الاستغاثة نحو : يا عجب ،يا للعجب يا عجبَا .

المتعجب منه: وهو ما أثار إعجابك من شيء ، تقول مثلا: (ياللجمال !) و (ياللخضرة)[2]

ويلاحظ جرّ المتعجب منه بلام مفتوحة كالمستغاث به ولهذا يعامل المتعجب منه معاملة المستغاث.

ج – الندبة:

➢ **تعريف الندبة:** الندبة نوع من أنواع النداء ،ويختص بنداء المتفجّع عليه لفقده حقيقة ، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف: 84]

أو لتنزيله منزلة المفقود ، كقول عمر وقد أخبر بحدب أصاب العرب: واعمراه واعمراه ، أو نداء المتوجع منه ، نحو : وامصيبتاه[3] .

وقول الشاعر:

فو اعجباكم يدعّي الفضل ناقصٌ ** ووا أسفاكم يظهر النقص فاضل [4]

➢ **أداة النداء في الندبة:**

وتتحقق الندبة بأداتين هما:

---

[1]- محمود مطرجي: في النحو وتطبيقاته ،ص425،426.

[2]- عبد الله بن يوسف الجديح : المنهاج المختصر في عملي النحو والصرف ،مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط 3، 2007م ص 94.

[3] - محمد نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص 218.

[4] - توفيق الفيل : بلاغة التراكيب دارسة في علم المعاني ، مكتبة الأدب ، القاهر، مصر، د. ط، 1991م، ص 216.

1- الواو : وتستعمل بدون قيد وهي أصل في الندبة.

2- يا : شريطة ألا يكون هناك التباس في استعماله بين المنادى العادي والمندوب[1] .

ويقول سيبويه في هذا السياق :« لأن الندبة كأنعم يترنمون فيها ومن شأنهم أن يزيدوا حرفا إذا نادوا بعيدا ولا أبعد من المندوب فإذا وقفوا قالوا: يا زيداه و اعمراه فيقفون على ماء لحفاء الألف، فإن واصلوا النداء بكلام أسقطوا الهاء، و إذا لم تلحق الألف قلت: وا زيد و يا بكر، و الألف تفتح ما قبلها مضموما كان أو مكسورا، تقول: وا زيد فتضم، فإن أدخلت الألف قلت: وا زيداه، فإن أدخلت الألف قلت: و اغلام زيداه وحذفت التنوين لأنه يلتقي ساكنان» .[2]

ويقول الأخفش (ت830م) أيضا:« الندبة لا يعرفها كل العرب،وإنما هي من كلام النساء،فإذا أرادوا السجع وقطع الكلام بعضه من بعض أدخلوا ألف الندبة على كلام يريدون أن يسكتوا عليه،وألحقوا الهاء لا يبالون أي كلام كان»[3] .

ومنه نفهم من كلام الأخفش أن الندبة هي أسلوب خاص بالنساء،لأنه فعل يقام أثناء التفجع على الميت بسب ضعفهن على احتمال المصائب.

وقال قوم من النحويين : كل ما كان في آخرة ضم أو فتح أو كسر ،ليس يفرق بين شيء جاز فيه الإتباع،مثل : يا رجلانية ، ويا رجلاناه فإذا كانت الحركة فرقا بين شيئين مثل :قمت وقمت ، فالإتباع لا غير،نحو: واقياما قمتوه وقمتاه،وقمتيه.[4]

➢ الغرض من الندبة:

1- إظهار عظمة المندوب ، وبيان أهميته.

2- العجز عن احتمال ما بالإنسان من الآلام[5]

حكم المندوب: يأخذ المندوب حكم المنادى الذي سبق بيانه ،فينصب مضافا وشبيها بالمضاف ونكرة غير مقصودة بالنداء ويبني مفردا علما أو نكرة مقصودة[6].

---

[1] - توفيق الفيل : بلاغة التراكيب دارسة في علم المعاني ، مكتبة الأدب ، القاهر، مصر د. ط، 1991م، ص218.

[2] - أبو بكر محمد بن سهل بن سراج : الأصول في النحو ، تح :عبد الحسين الفتالي، مؤسسة الرسالة ،د.ط، د.س، ص355.

[3] - المرجع نفسه : ص355.

[4] - المرجع نفسه: ص 307.

[5] - أيمن أمين عبد الغني : النحو الكافي،ص 171.

[6] - محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني ،بيروت، لبنان،ط1 ،1989م، ص120.

المطلب الثاني:الأمر والنهي

أولا :الأمر

1/ مفهوم الأمر:

أ – لغة: حددّ ابن منظور الأمر لغة على أنّه:

الأمر نقيض النهي: أمره به وأمره إياه على حذف الحرف يأمره أمرا و إمارا فأتمر أي قبل الأمر قال تعالى:

﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: 71].

وقوله أيضا: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ [النحل : 01][1].

و أما المعجم الوسيط فقد حدد الأمر لغة على أنّه:

أمر عليهم أمرا وإمارة وإمرة صار أميرا عليهم وفلان أمر وإمارة آمرة. كلفه شيئا ويقال أمر به. وآمره إيّاه وأمرته أمرا ما ينبغي لي أن آمره به وأمرته أمر بما ينبغي له من الخير وفلان أشار عليه بأمره والله القوم كثر نسلم وما شيتهم ،ويقال مهرة مأمورة أي كثيرة النتاج، فالأمر هو الحال والشأن منه قوله تعالى:﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[2] [آل عمران: 128] .

أما معجم اللغة العربية المعاصرة فقد حدد الأمر بقوله (أمر. يأمر . أومر/مر أمرا فهو أمر ،والمفعول مأمور للمتعدي. أمر فلان أصدر أمرا أو أعطى تعليقات لشخص ما وأمر على،الناس صار أمير عليهم.)

أمير المؤمنين وأمر فلان في السفر ونحو شاوره فيه وأخذ رأيه وأمر فلان عليهما جعله أميرا وولاّه إمارة وحكما قال تعالى:﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ [الإسراء: 16][3].

---

[1] – ابن منظور :لسان العرب، دار صادر بيروت، ط 1 2 3 ،2004، مج14، ص 254.

[2] –إبراهيم مصطفى عامر ، ع القادر أحمد حسب الزيات وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإعلامية صحيح اللغة العربية المعجمات د ت . د. ط ، ج 1 ،ص 26.

[3] – أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب، القاهرة ،ط.1، 1429هـ ،2008 م، مج 01، ص 117-116.

وما يلاحظ على المعنى اللّغوي لمادة أمر : أنّها من صميم فعل الطلب ولذلك سمي فعل الأمر في لغتنا فعل الطلب.

ب- أمّا في الاصطلاح البلاغي:

فقد حدد أحمد مصطفى المراغي الأمر بقوله:" هو طلب حدوث الفعل على جهة الاستعلاء وجوبا أندبا يتبادل ذلك المعنى إلى فهم السامع عند سماعه هذه الصيغة ويعتبر التبادل إلى الفهم أقوى دلائل الحقيقة غالبا "[1].

وما يفهم من هذا التعريف هو إشارة الباحث إلى إحدى تفاصيل الأمر كأسلوب قائم بذاته يتقاسمه كل الآمر والمأمور من حيث وجوب الالتزام والاستجابة وهذا ما تحدث عنه الكثير من علماء البلاغة عندما أشاروا إلى طبيعة العلاقة بين الآمر والمأمور ومالها من انعكاس على معناه الحقيقي أو خروجه إلى معنى فرعي ومجازي يحدّده السيّاق أما عبد الواحد حسن الشيخ فيعّرف الأمر على أنه : الأمر هو طالب حصول الفعل على جهة الاستعلاء والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب في الفعل على وجه اللّزوم وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق نحو قام وسافر وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث.

وهذا المفهوم يحدد الأصل في كونه فعل الطلب على وجه الوجوب والإلزام والاستعلاء.

أمّا الدكتور حميد آدم تويني فقد حدد الأمر في البلاغة العربية بقوله: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجّد الآمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا [2] .

و ما يمكن أن يستفاد من تحديد حميد آدم ثويني أنه يشير إلى طبيعة العلاقة بين الأمر و المأمور و مالها من مساهمة في تحقيق معنى الوجوب على اعتبار أن الأصل في معنى الأمر "الوجوب" و يتحقق في الاعتبار البلاغي إذا كان الأمر أعلى منزلة من المأمور، و إذا كان الأمر أدنى منزلة من المأمور خرج غالبا الأمر إلى غرض الدعاء و التضرع، و هذا خاصة في النصوص القرآنية أما إذا تساوى الآمر و المأمور أو تقاربا في المنزلة فيحدّد معنى الأمر بغرض الالتماس.[3]

2 /صيغ الأمر :

للأمر صيغ تنوب كل منها لأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء و الإلزام و هي:

---

[1] – عبد الواحد حسن الشيخ: درايات في علم المعاني ، مكتبة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية ، د. ط، د.س، ص 78.

[2] – حميد آدم ثويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ، دار المناهج ،عمان، الأردن، ط 01، 2007، ص 88.

[3] – حميد آدم ثويني: المرجع السابق، ص 22.

➢ **فعل الأمر الصريح**: و هي الصيغة الأصلية لأسلوب الأمر و الأكثر استعمالا، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[التوبة: 103] .

و يتجلى هنا الأمر في معناه الحقيقي كأسلوب إنشائي طلبي غرضه الوجوب و الإلزام لأن الله سبحانه و تعالى: "الآمر" أعلى منزلة من المأمور الرسول – **صلى الله عليه و سلم** –.

أما قول الشاعر:

أنشر لقومك ما انطوى من موجزهم ** و أعدّ فخار جدودك القدماء.

فإن الأمر فيه خرج إلى غرض: النصح و التوجيه و الالتماس.[1]

أما قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان : 74] فقد خرج الأمر عن أصل معناه في الوجوب ليكتسب معنى الدعاء و التضرّع، لأن الأمر "العبد" أدنى منزلة من المأمور الخالق عز و جل.

➢ **المضارع المقترن بلام الأمر**: كل فعل مضارع يقترن باللام يتحول إلى فعل أمر، مثل قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [**الطلاق**: 7] ، و منها قول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني:

كذا فلبس من طلب الأعادي ** و مثل سراك فليكن الطلاب.

و ما اتفق عليه في هذه الصيغة أنها تفيد تأكيد الوجوب و ليس فقط تحقيق الوجوب كفعل الأمر الصريح.[2]

➢ **فعل اسم فعل أمر:**

- عليك: بمعنى إلزام.
- مه: بمعنى ألطف.
- صه: بمعنى أسكت.
- أمين: بمعنى استجب.
- بله: بمعنى دع.
- رويدك: بمعنى تمهل .
- هلمّ: بمعنى تعال.
- حي: بمعنى أقبل.

---

[1] – كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، ط 2006.01، ص 290.

[2] – عبده الراجحي: التطبيق النحوي، عامل الكتب القاهرة.ط 2، 2005، ص 293.

كما يصاغ اسم فعل الأمر من الثلاثي على وزن فعال و منه حذر: حذار و منه قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: 105].

➢ المصدر النائب عن الفعل:

قال تعالى: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا ﴾ [البقرة : 83].

فهذه الآية تقديرها في القراءة البلاغية و حتى اللغوية أحسنوا إلى الوالدين.[1]

3 /الأغراض المجازية للأمر:

تخرج ألفاظ الأمر إلى معان غير الوجوب و تعرف هذه المعاني من سياق الكلام و القرائن المصاحبة و حال المخاطب و ما يقتضيه المقام و قد أشار إليها النحاة في دراستهم و أجملها ابن فارس "بقوله: فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فأن يكون أمرا و المعنى مسألة نحو: اللهم اغفر لي".[2]

ويكون الأمر والمعنى وعبد مثل : قوله تعالى:﴿ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُون ﴾ [النحل: 55] ، ويكون الأمر والمعنى تسليم نحو: قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه: 72].[3]

ويبدو أن ما قصد إليه ابن فارس هو أن لفظ الأمر قد يكون واحد مهما تعددت صيغته إلا أن معانيه تتنوع حسب السياق وهذا ما أقرته البلاغة حين حددّت أن الأساليب (وهي مادتها) تستقل بصيغتها ولها الأصل في معناها في الاصطلاح البلاغي وما زادت عن الأصل فهو معنى فرعي مكتسب تمخض عن السياق ولم يقف علماء النحو عند هذه المعاني الثانوية .بل كشفوا لنا سرا من أسرار العربية وهو قدرتها على التعبير عن الأخبار بألفاظ الأمر إذ دلت على ذلك القرائن المصاحبة والسياق قال ابن جني (ت 1002): وقد جاءت ألفاظ الأمر يراد بها الخبر. كما جاءت ألفاظ الخبر يراد بها الأمر. فمن ألفاظ الأمر المراد بها الخبر قوله تعالى:﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم : 75].

ومن ألفاظ الخبر المراد بها الأمر قوله تعالى:﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: 136] [4] .

---

[1] – ينظر عبد الفتاح لاشين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص192.

[2] – ينظر: عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 132.134.

[3] – كريم حسين ناصح الخالدي :نظرية المعنى في الدراسات النحوية دار صفاء ،عمان ،ط1،2006 ، ص 394.

[4] – المرجع نفسه: ص 394.

ومن هذه الأغراض:

- **الدعاء:** وهو الطلب على سبيل العون والتضرع والعفو والرحمة وما أبه ذلك ويسميه ابن فارس المسألة ومنه قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران: 193].
- **الالتماس:** وهو طلب الأمر على سبيل التلطف. ويكون بين الأنداء والنظراء والمتقاربين قدار أو منزلة ، ومنه قوله الشاعر ابن زيدون مخاطبا ولادّة بنت المستكفى:

دومي علي العهد ما دمنا محافظة ** فالحرّ من دان إنصافا كما دين

- **الإباحة:** وهي الإذن بإتيان الفعل أو تركه ومنه قوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ [البقرة: 187] .
- **التمني** : هو طلب الأمر المحبوب الذي يرجي وقوعه إما لكونه مستحيلا وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله .[1]

ومنه قول عنترة بن شداد العبسي:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي ** وعمّي صباحا دار عبلة واسلمي

ومنه أيضا قول امرؤ القيس:

ألا أيّها اللّيل الطويل ألا أنْجلي ** بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فالشاعر هنا لا ينادي الليل لأنه لا يصلح أن يكون منادي" غير عاقل" بقدر ما يتمنى لو أن هذا الليل يسمع حديثه

- **النصح والإرشاد:** هو الطلب الذي يحمل بين طياته الموعظة والنصيحة والإرشاد من ذلك قوله تعالى:﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [البقرة : 282].

فالله سبحانه وتعالى يوجهنا وينصحنا إلى اكتساب الدين حفظا للحقوق ومنه أيضا قول الشاعر:

أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبهم ** فطالما الإستعبد الإنسان إحسانا

- **التعجيز:** وهو أمر المخاطب بما يعجز عنه إظهارا لضعفه عند القيام به ومنه قوله تعالى:﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة: 23] .

ومنه قول الشاعر :

[1] – عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص 294.

أروني بخيلا طال ببخله ** وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

- **التهديد** : طلب فيه قوة وتهديد ووعيد للمخاطب ومنه قوله تعالى:﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [**فصلت**:40].

- **التسخير**: أي جعل الشيء مسّخرا ومنقادا لما أمر به . ومنه قوله تعالى:﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: 65]

- **التخيير** : طلب يقصد به تخيير المخاطب بين أمرين على أنّه لا يحق له أن يأتي بالأمرين معا في وقت واحد ومنه قول المتنبي.

عش عزيا أو مت وأنت كريم ** بين طعن القنا وخفق البنود

- **التحقير**: قيل هو قريب الإهانة وقيل هما معنى واحد ،ومنه قول جرير في تحقير قوم الفزدق

خذوا كحلا ومجمرة وعطر ا ** فلستم يا فرزدق بالرجال

وشموا ريح عبيتكم فلستم ** بأصحاب العناق ولا النزال [1]

- **الجبر**: يتحقق إذا كان لفظ أمر والمعنى جبرا ومنه قوله تعالى:﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾[التوبة : 82].

- **التسليم**: يتحقق إذا جاءت صفة بمعنى التفويض ومنه قوله تعالى:﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه : 72]. أي افعل ما تشاء.

- **التحسير** : قال تعالى :﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾ [آل عمران : 119] أي موتوا حسرة بغيظكم .

- **الاعتبار**: الدعوة إلى أخذ العبرة ممن سبق والتأمل في الخلق وإعمال الفكر ومنه قوله تعالى:﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ [العنكبوت: 20].[2]

وقد ذكر الآمدي رحمه الله في كتابه الأحكام هذه الأغراض بقوله : وقد اتفق الأصوليون على إطلاقها بإزاء خمسة عشرا اعتبارا : الوجوب و الإرشاد كقوله تعالى:﴿ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ [النساء: 15] ،وهو قريب من الندب لاشتراكهما في طلب تحصيل المصلحة .

وغير أن الندب لمصلحة أخروية والإرشاد لمصلحة دنيوية والإباحة كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ ﴾ [المائدة: 02] ، و التأديب وهو داخل في الندب والامتنان كقوله تعالى:﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : 142]

---

[1] – عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص 295.

[2] – محمد أحمد محي الدين: علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني ،المؤسسة الحديثة طرابلس، ليبيا، ط 1 ،2002 ،ص 273.

و الإكرام كقوله ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: 46] و التهديد كقوله : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [فصلت : 40] والإنذار كقوله :﴿ تَمَتَّعُواْ ﴾ [هود : 65] ، وهو في معنى التهديد والتسخير كقوله تعالى:﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: 65] والتعجيز كقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ ﴾ [الطور: 16] والدعاء كقوله تعالى: ﴿ ٱغۡفِرۡ لِي ﴾ [الأعراف: 151] والتمني كقول الشاعر : " ألا أيها الليل الطويل ألا انجل" وكما القدرة كقوله : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [الأنعام: 73]، وقد اتفقوا على أنّها مجازية فيها سوى الطلب والتهديد والإباحة [1]

ثانيا: النهي

1 / مفهوم النهي:

أ– لغة:

النهي: خلاف الأمر تقول: نهيته عنه و في لغة نهوته عنه و النهاية هي الغاية حيث ينتهي إليها الشيء و ما تنهاه عن ناهية أي تكفه عنا كافه و الإنهاء بلاغك الشيء.[2]

أما ابن منظور فعرفه بقوله النهي خلاف الأمر نهاه و ينهاه نهيا فانتهى و تناهى: كفه أنشد سبويه لزياد بن زيد:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده ** أطال فأملي أو تناهى فاقصرا.

و قال في المقل بالألف نهوته عن الأمر بمعنى نهيته، و نفس نهاه منتهية عن الشيء، و تناهو عن الأمر و عن المنكر: نهى بعضهم بعضا و في التنزيل الحكم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.[3]

أما معجم الوسيط فيحدد مادة (نهي) بقوله الشيء إليه نهيا– بلغ يقال نهى إليها لمثل و عن الشيء زجر و يقال، نهى إليها لمثل و عن الشيء زجر و يقال: نهى عن كذا حرّمه.

و من الشيء نهي: اكتفى بما أخذه منه يقال: نهى فلان من اللحم اكتفى منه و شبع و يقال طلب الحاجة حتى نهى منها تركها ففر بها أم لم يظفر، نهى الشيء بلغ نهايته.[1]

---

[1] – الآمدي :الأحكام في أصول الأحكام ،ص 74.

[2] –الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ،ص 85.

[3] – ابن منظور: لسان العرب ،ص 374.

و ما يمكن جمعه من هذين المفهومين هو القاسم المشترك في معنى الكف و الترك و هو ما سيتضح فيما بعد كبعد معنوي قوي الحضور في النهي كأسلوب إنشائي طلبي نقيض الأمر.

ب- أما في الاصطلاح البلاغي العربي: فقد حدد عبد السلام هارون النهي كأسلوب قائم بذاته بقوله هو طلب الكف عن الفعل و الامتناع عنه على وجه الاستعلاء و الإلزام و له صيغة واحدة هي المضارع المقترن بلا الناهية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾ [2] [الحجرات : 12].

أمّا فعل حسن عباس فيحدده على أنه .: طلب الكف على وجه الاستعلاء و ليس له إلا صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية قال عز وجل: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف : 56] .

و مدلوله طلب الكف عن الفعل كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب و قد يستعمل منه معاني أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث نجورا و اتساعا في الاستعمال.[3]

و من التعريفين نستخلص الأصل في معنى النهي و هو طلب الكف عن الفعل على وجه الوجوب و هو عكس الأمر.

2 /صيغة النهي:

للنهي صيغة واحدة هي: لا الناهية + الفعل المضارع المجزوم و بعدها.

و قد علل ابن السراج (ت 929) اقتصار النهي على صيغة واحدة و عدم مجيئه مصدرا أو اسما بقوله: لا تقول ضرب ضربا دالته و تريد إضرب ضربا، و أتق الله و تعلم فهاؤم و إنما لم يجز في النهي أنه لا يجوز أن يقتصر شيئان (لا) و الفعل و لو جاؤوا (لا) وحدها لم يجز أيضا أن يحال بين (لا) و الفعل لأنها عاملة [4] و ما يفهم من تحديد ابن السراج أن إقتران لا الناهية بالفعل في طلب الكف و عدم جواز توسط واسطة بينها هو الذي منع صيغة النهي أن تكون إلا لا الناهية + الفعل المضارع + المجزوم بعدها.

---

[1] – إبراهيم مصطفى حامد: عبد القادر أحمد حسين، الزيات، محمد علي النجار المعجم الوسيط ، ص 960.

[2] – محمد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجميل، بيروت، ط3، د.س، ص 15.

[3] – فضل حسن عباس: البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان، عمان، ط1، 1987 ، ص 158.

[4] – ابن السراج أبو بكر محمد السري: الأصول في النحو ،تح الدكتور عند الحسين الغذلي، مؤسسة الرحالة بيروت ،1985 د.ط، ص 171، نقلا عن نظرية المعنى ص 396.

و نجد بن السراج في مقام آخر يميز بين النفي و النهي ليعيد كل منهما إلى أصله من حيث الخبر و الإنشاء، فيقول: إذا قلت لا تقم أعطك بالتأويل و إلا لم تقم أعطك، فالإيجاب نظيرا الأمر و النفي نظير النهي لأن النهي نفي.[1]

و هنا يكشف لنا بن السراج عن حقيقة و هي أن النفي معنى يدخل في الجملة الخبرية و النهي غير خبر (إنشاء).

و هذا الفارق في المعنى و هذا التمييز كان قد أثار إنتباه النحاة حيث عرضوا إلى لا الناهية على أنها في صيغة النهي عاملة في معمولها الفعل المضارع بعدها بالجزم على عكس لا النافية في الخبر فهي مهمة و الفعل المضارع بعدها في حالته الإعرابية الأصلية و هي حالة الرفع الأصل في المضارع الرفع مل لم يسبق بناصب أو جازم و علامة جزم الفعل المضارع هي :

- **السكون**: إذا كان الفعل صحيحا نحو: لا تجالس العابثين.
- **حذف حرف العلة**: إذا كان الفعل معتلا نحو قول أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق و تأتي مثله ** عار عليك إذا فعلت عظيم

- **حذف النون**: إذا كان الفعل من الأفعال الخمسة نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف : 56] .

و التمييز بين النفي و النهي في المعنى ميز الأسلوبين حتى في التصنيف البلاغي وعلى هذا الأساس فالنفي جملة خبرية في حين أن النهي جملة إنشائية طلبية.[2]

أما سبويه فقد عدا النهي نفيا للأمر، و ذلك في قوله: و تقول كل لحما أو خبزا أو تمرا، كأنك قلت كل أحد هذه الأشياء فهذا بمنزلة الذي قبله و إن نفيت هذا قلت: لا تأكل لحما أو خبزا أو تمرا و كأنك قلت: لا تأكل شيئا من هذه الأشياء.[3]

و يكشف قول سبويه (ت 796) عن علاقة التلازم بين الأمر و النهي، في الوجود مع تناقضها في المعنى. و هذا ما ذهب إليه الكثير من البلاغيين و النحاة حين عرفوا غالبا مفهوم النهي على أنه نقيض الأمر، حتى في المعنى اللغوي مع إشراكها في قاسم واحد و هو وجود فعل طلب في كليهما.

---

[1] – ابن السراج أبو بكر محمد السري: المرجع نفسه ،ص 397.

[2] – ابن السراج أبو بكر محمد السري: المرجع السابق، ص 397.

[3] – سيبويه :الكتاب ،نقلا عن نظرية المعنى ص 396.

أغراض النهي المجازية:

ليس كل صيغة تعني نهيا حقيقيا إذْ أن معنى النهي و غرضه يتحدد وفق أمرين:

أ – طرف الخطاب و هما المتكلم و السامع و طبيعة العلاقة بينهما.

ب – القرائن الحالية للسياق و هي مجموع الدلالات التي تفهم من السياق و من هذه الأغراض :

- **الالتماس:** و منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ [طه: 94].

فقد جاء الخطاب في هذه الآية على لسان هارون يخاطب أخاه موسى عليه السلام و لتقاربهما في المكانة و القدر خرج النهي من معنى الوجوب إلى معنى الالتماس و الالتماس هو الطلب برفق و لين.

- **الدعاء:** و يتحقق في النصوص القرآنية و منه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: 286]، فالنهي هنا أدنى منزلة من المنهي .
- **النصح و الإرشاد:** و منه قول الضفراني:

لا تطمحن إلى المراتب قبل أن ** تتكامل الأدوار و الانبان

- **التوبيخ:** و منه قول أبو الأسود الدؤلي :

لا تنه عن خلق و تأتي مثله ** عار عليك إذا فعلت عظيم.

- **التسليه و التصبر:** نحو قول الذمر بن تولب

لا تجزعي إن منغمسا أهلكته ** فإذا أهلكت فعند ذاك فاجزعي

- **التحقير:** و منه قول الحطيئة للزبرقان بن بور:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ** و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

- **التمني:** و منه قول الخنساء:

أعيني جودا و لا تجهدا ** ألا تبكيان لعجز الندى

- **التيئيس:** و يتضمن معنى التحقير و منه قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة : 66.][1]

المطلب الثالث :التمني

1 /مفهوم التمني:

[1] – عبد العزيز عتيق: علم المعاني دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 84-85-86.

أ- لغة: منى : الرجل الشيء ،وبالشيء : جعله يتمناه تمني الشيء: قدّره وأحب أن يصير إليه. والحديث و الحديث: اخترعه وافتعله.[1]

كذلك جاء في معجم الوجيز: منى الرجل الشيء، وبالشيء: جعله يتمناه تمنى الشيء قدره و أحبّ أن يصير إليه .

الأَمْنِيَةُ و الأُمْنِيَّةُ: ما يتمناه الإنسان، أمان وأماني. [2]

من خلال هذين التعريفين نجد أن دلالة التمني لغة لها نفس المعنى اللغوي.

أما في اللسان العرب **التّمني** : أبو عباس: أحمد بن يحي التمن حديث النفس بما يكون وبما لا يكون قال: والتمني السؤال للربّ في الحوائج .وفي الحديث : إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه، وفي رواية : فليكثر ،قال ابن الأثير : **التمني** : تَّشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون و المعنى إذا سأل الله حوائجه وفضله فليكثر فإن فضل الله كثير وخزائنه واسعة.[3]

فالتمني هو تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون .

ب- اصطلاحا :

نوع من الإنشاء الطلبي وقد عرفه سعد الدين التفتازاني بقوله :« التمني هو طلب حصول شيء علي سبيل المحبة ».

وعرفه ابن يعقوب المغزبي بقوله :« هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية في ذلك الشيء»، فخرج مالا يشترط فيه المحبة ،كالأمر والنهي والنداء والرجاء بناء على أنه طلب، وأما نفي الطماعية فلتحقيق إخراج نوع الرجاء الذي فيه الإرادة وإخراج غيره مما فيه الطماعية .

ومن ذلك يتضح أن التمني : طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله : اما لكونه مستحيلا والإنسان كثيرا ما يحب المستحيل ويطلب ،و إمّا لكونه ممكنا غير مطموع في نيله **فالأول** :وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا ،ومثل قول الشاعر:

أليت الشباب يعود يومًا ** فأخبره بما فعل المشيب

ونحو قول المتنبي:

---

[1] – إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ص 889.

[2] – المعجم الوجيز : مؤسسة عبد الحفيظ البساط التجليد و تصنيع الكتاب، بيروت، لبنان ،ص 579 .

[3] – ابن منظور : لسان العرب ، ص 139.

ليت الحوادة باعتني الذي أخذت ** مني بحملي الذي أعطت وتجربي
فما الحداثة من حلم بما نعة ** قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

والثاني: هو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنا غير مطموع في نيله نحو قوله تعالى: ﴿ يَـٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 79]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ [الزخرف: 38] .

و اللفظ الذي يدل بأصل وضعه اللغوي على التمني هو (**ليت**) وقد يتمنى بثلاثة ألفاظ أخرى للغرض البلاغي و هي كالآتي: هل، لعل. لو، فالغرض البلاغي المنشود من وراء التمني بلفظتي هل ولعل هو إبراز التمني المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول لكامل للعناية به والشوق إليه فمن الأمثلة قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ [الأعراف: 53] .[1]

ومن أمثلة "لعل" قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَـٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي ...﴾ [غافر: 36-37].

والغرض البلاغي من استعمال " لو" في التمني هو الإشعار لعزة المتمني وقدراته، لأن المتكلم يظهر في صورة الممنوع ، إذ أن " لو" تدل بأصل منهما على امتناع الجواب لامتناع الشرط ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٢ ﴾ [الشعراء : 102].

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجبا، وألفاظ الرجاء التي يطلب بها الأمر المحبوب المطموع فيه والممكن حصوله هي "لعل "و "عسى" ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾ [الطلاق: 01].

وقد تستعمل "ليت" في الرجاء لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة بعد نيله ومن أمثلة ذلك:

فليتها والأحبة كان عدلا ** وحمل كل قلب ما أطاق
ليت الملوك على الأقدار معطية ** فلم يكن للدنئ عندها طمع [2]

[1] – الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح ،مختصر سعد الدين التفتازاني :ج 2، ص 239.
[2] – عبد العزيز عتيق: علوم البلاغة علم البيان، المعاني، البديع دار النهضة، ط1، 1430هـ.2009 ،ص 108-111.

- فمعنى التمني عند البلاغيين لا يخرج عن تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وتوقع ؟أمر محبوب في المستقبل.

2 /أدوات التمني:

والأداة الأم التي وضعت للتمني " ليت" ولذلك كثر مجيئها في كتاب الله تعالى ففي التنزيل ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ [يس:26-27]، كما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص : 79]، ومن مشاهد يوم القيامة ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ ﴾ [الفجر: 24]، وفي الحديث يقول ورقة بن نوفل :« **يا ليتني فيها جذعا إذ يخرجك قومك** » وذلك كثير في أقوال البلغاء.

يقول مالك بن ريب (ت 60هـ) :

أ لا ليت شعري هل أبيتن ليلة ** بجنب الغضى أزْجي القلاص النواحيا

لقد كان في أهل الغضى لودنا ** ضرار ولكن الغضى ليس دانيا.

ويقول كذلك المتنبي :

فليت طالعة الشمسين غائبة ** وليت غائبة الشمسين لم تغب

ويقول المتنبي في مدح كافور:

لحي الله ذي الدنيا مناحا لراكب ** فكل بعيد الهم فيها معذب

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ** فلا أشتكي فيها ولا أنعتب

وإذا تأملت الأمثلة السابقة، وجدت أن بعضهما كان تمنيا لأمور مستحيلة وكان بعضهما الآخر لأمور ممكنة ولكنها صعبة التحقق.

وهناك أدوات أخرى للتمني خرجوا بها عن أصل وضعها وهذا الأدوات لعل، وهل، ولو ،و من الأخيرتين ركبت هذه الكلمات (هلاّ) و (لولا)، (لوما) .

- أما (هل) : فهي في أصلها أداة الاستفهام.
- وأما(لو) : فهي حرف امتناع لامتناع.
- وأما (لعل) : فهي للترّجي.

وهم يستعملون هذه الأحرف مكان "**ليت**" وهذا الاستعمال لابّد له من غرض بلاغي و نكتة بيانية.[1]

ف (هل) تستعمل للتمني إذا أردنا أن نبرز المتمني في صورة الممكن الذي لا نجزم بإنتفائه، و ذلك لكمال العناية به قال تعالى: ﴿ فَهَلۡ لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ [الأعراف: 53].

و قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ [الشورى:44].

و قال ذو الرّمة:

أمنزلتي مّي سلام عليكما ** هل الأزمن اللائي مضين رواجع

و إنما كان المتمنى بـ (هل) بصورة الممكن لأن (هل) أداة استفهام و المستفهم عنه أمر ممكن الوقوع.

و من أدوات التّمني (لو) و نأتي بها حينما يكون المتمنى عزيزا – صعب الوقوع بعيد المنال قال تعالى:

﴿ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ ﴾ [الشعراء :102].

و قال سبحانه على لسان لوط عليه السلام: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً ﴾ [هود: 80] ومنه قوله تعالى يحدثنا عن المستضعفين الذين أعطوا الذلة من أنفسهم في الدنيا و قد تبرأ منهم سادتهم: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾ [البقرة: 167-166].

قال حرير:

ولّى الشباب حميدة أيامه ** لو كان ذلك يشترى أو يرجع

و قال صريح الغواني:

و اهّا لأيام الصبا و زمانه ** لو كان أسعف بالمقام قليلاً

و إنما كان المتمنى بـ (لو) – كما قلنا – عزيزا بعيد المنال على عكس المتمنى بـ (هل) لأن (لو) وضعت في حقيقتها لتدلّ على امتناع الشيء، و من هنا كانت حر امتناع لامتناع.

و الدليل على أن (لو) للتمني و أنها خرجت عن أصل الوضع، أن المضارع ينصب بعدها فهي الآية الكريمة ﴿ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ ﴾ [الشعراء: 102].

جاء الفعل المضارع (نكون) منصوبا، و لو أنها بقيت على أصلها حرف امتناع لامتناع، لم ينصب بعدها، نقول: لو زرتني أكْرِمُكَ، برفع الفعل المضارع لأنك لم تقصد التمني.[1]

[1] – فضل حسن عباس: علم المعاني ،ص 157– 158 .

و نذكرك أنه قد تقرّر في علم النحو أن الفعل المضارع ينصب بأن المضمرة بعد الأمر و النهي و التمني و العرض و التّحضيض و الاستفهام و النفي.

و ألحقوا بـ (هل) و (لو): (لا) و (ما)، فقالوا: (هلاّ)، و (لولا)، و (لو ما) يقصدون بها التمني كذلك، قال عنترة بن شداد:

هلا سألت الخيل يا أنية مالك ** إن كنت جاهلة بما لم تعلمني

و قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ ﴾ [يونس: 98]، و قال سبحانه و تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُم ﴾ [هود: 116].

و قال سبحانه: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: 13]، و تقول هلاّ أكرمت صاحبك هلا عملت بنصيحتي.

فهذه الأحرف – كما رأيت – دخلت على الفعل الماضي و الغرض منها عند ذلك التنديم كأنما تريد أن تجعله يندم على فرط منه، فإذا دخلت على المضارع فإن الغرض يكون التحضيض، أي: الحث على طلب الشيء، قال تعالى: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ [الحجر: 7]. و تقول لصاحبك هلا تجتهد فتنجح ، لولا تقوم بواجبك فتشعر بالسعادة.

و من أدوات التمني التي خرجت عن الأصل (لعلّ) فإن أصل وضعها الترجي و الغرض من استعمالها للتمني الدلالة على استحالة الأمر المتمنى بها، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص: 38]. و في آية أخرى: ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: 37- 36].

و قال العباس بن الأحنف: (ت 809)

أسرب القطاهل من يعبر جناحه ** لعلى إلى من قد هويت أطيرُ

و كما استعملت (لعل) مكان (ليت) فقد تستعمل (ليت) على قلّة مكان لعل فيقصد بها الترجي و من ذلك قول قريط بن أنيف:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا ** شنوا الإغارة فرسانا و ركبانا

[1] – فضل حسن عباس: المرجع السابق ،ص 159 – 158.

و هذا يفهم من السياق[1] و إنما التمني بـ "لعل" أمرا مستحيلا، لأنّ لعل وضعت في أصل الوضع للترجي و هو ترقب حصول الأمر، فلو كان المتمنى بها أمرا ممكنا لالتبس الأمر و فهم منها الترجي، لذا لا يتمنى بها إلا الأمر المستحيل، و هذه نكتة بيانية دقيقة تدل على دقة الوضع في العربية و سلامة الطبع لأهلها.

- **فائدة:**

قد تسبق " ليت " بحرف النداء (يا) مثل: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يس: 26].

يا ليتني فيها جذعا، فذهب بعض العلماء إلى أن (يا) هنا حرف نداء و أن المنادى محذوف و لكن ابن مالك رحمه الله اختار قولا آخر، و هو أنها للتنبيه لا للنداء .[2]

القسم الثاني: الإنشاء غير الطلبي

1 / مفهوم الإنشاء غير الطلبي:

وهو مالا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وله أساليب متنوعة ،ومنها : المدح والذم، والتعجب وصيغ العقود،والقسم والرجاء.

- فلو تعجبت من جمال الربيع بقولك:" ما أجمل الربيع !"

فإنّ هذا القول لا يحتمل على الصدق والكذب ،ونحن بهذه الجملة نعرف أنها إنشاء ولكن لا نطلب شيئا معينا به.

2 / دلالة صيغ الإنشاء غير الطلبي:

أ – التعجب: إنشاء غير طلبي يعبّر من خلاله المتكلم عن استعظام صفة في شيء ما ،استحسانا لها أو استقباحا ،وله صيغتان قياسيتان هما **أفعِلْ**، ما **أفعَلْ** وصيغ سماعية مثل **يا، لله درّ،أيّ**....

يمكن التعبير عن التعجب باستعمال فعل عَجِبَ أو أحد مشتقاته كما تعبر بعض أساليب الإنشاء الطلبي عن معنى التعجب كالاستفهام مثال: أ- لله درّه عالما قال تعالى: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: 28].

ب – المدح والذم: أسلوبان إنشائيان غير طلبين يعبر بهما المتكلم عن:

---

[1] – فضل حسن عباس: المرجع السابق ،ص 161- 160.

[2] – فضل حسن عباس: المرجع السابق، ص 161.

➢ **المدح**: تعبير عن موقف الاستحسان وذلك بواسطة فعلي المدح الجامدين اللازمين (نعم وحبذا)

مثل: أ- نعم الرجل أنت.

ب- حبذا حياة الأخلاق.

➢ **الذم**: تعبير عن موقف الاستهجان وذلك بواسطة فعلي الذم الجامدين اللازمين (بئس ، لاحبذا) أو أفعال أخرى تؤدي هذا المعنى مثل : ساء مثل : أ- بئس قولا الكذب.

ب- لا حبذا حياة العذب.

ج – **القسم**: إنشاء غير طلبي يؤكد من خلاله المتكلم المقسم عليه وذلك باستعمال أدوات القسم : الواو،الباء،التاء،اللام أو فعلا يفيد القسم (أقسم ، أحلف ،أعهد.....) أو بعبارة (لعمري).

مثال: أ – ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [الأنعام: 109].

ب – ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23]

د – **الرّجاء**: أسلوب يدلّ على احتمالية حدوث الأمر لكونه غير مستحيل وليس ببعيد المنال ويستخدم معه عسى ولعلّ.

مثال: أ- ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ [النساء: 99].

ب- حرى الملحد أن يؤمن.

هـ – **صيغ العقود**: تدخل في كل بيع وشراء أو عقد أو ضمان أو رهن أو وكالة أو دين أكثر ما تكون صيغة في الماضي.

مثال: – بعت سيارتي.

– اشتريت بيتا.

– وهبت مالا.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني ،لذا لم يهتم بها البلاغيين والإنشاء غير الطلبي لا يوجد أي لم يوظف في سورة **سبأ** لأغراض أخرى قد نجدها في صيغ متعددة مثل : ألأمر والاستفهام والنداء.....[1].

دراسة الأسلوب الإنشائي في سورة سبأ:

[1] – محمود قحطان : علم المعاني ، الإنشاء غير الطلبي.

الفصل الأول : الخبر و الإنشاء

تحدّثنا فيما سبق عن الخبر الذي وظيفته الإجبار والإعلام عن نسبة خارجية قد يطابقها الخبر وقد لا يطابقها لذلك عرّفه علماء البلاغة : بأنه ما كان محتملا للصدق والكذب لذاته [1] ،والآن نشرع في الحديث عن الإنشاء الذي حباه البلاغيون بكثير من الاهتمام والرعاية ، فليس الهدف من الإنشاء الإعلام والإخبار ، إذ ليس له نسبة في الخارج ينظر هل الكلام قد طابقها أو أخالفها كما هو الحال في الخبر، وإنما هي عبارات تصاغ ابتداءا وتنشا إنشاءا ويراد بها الطلب، وتمتاز بالإثارة وتحفيز العقل وتحريك المخاطب ، عرفها أهل البلاغة : بأنها قول : « لا يحتمل الصدق والكذب»[2] وينقسم الإنشاء على قسمين طلبي وغير طلبي ،واقتصر البلاغيون في دراستهم على الإنشاء الطلبي وعلى اعتبار أنه غني بالاعتبارات والملاحظات البلاغية [3] وأساليبه هي:الأمر النهي، التّمني والاستفهام، والنداء، ونشرع الآن بتيان ما وقع من هذه الأساليب في سورة **سبأ**.

أ / الإنشاء الطلبي:

أ – الأمر: وهو صيغة تستدعي الفعل ،أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء [4] وله أربع صيغ: [5]

- فعل أمر
- المضارع المجرور بلام الأمر
- اسم فعل الأمر
- المصدر النائب عن فعل الأمر.

فعل الأمر: ورد في سورة **سبأ** بعدة أفعال لها دلالات مختلفة منها ما يدل على الأمر الحقيقي، و منها ما يخرج إلى دلالات أخرى، أما الأوامر الحقيقية ما عدا الفعل (قلْ) فهي على التوالي:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾[6].

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[7].

---

[1] – السّكاكي :مفتاح العلوم ، ص 166 .

[2] – يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني العلوي الطالبي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز والمكتبة العصرية بيروت،ط1، 1423هـ ،ص 26 .

[3] – بسيوني عبد الفتاح :علم المعاني دارسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة ،القاهرة، د.ط، د.س، ج2 ، ص 82 .

[4] – يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني العلوي الطالبي : الطراز، ص 155.

[5] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص 71 .

[6] – سورة سبأ: الآية 10.

[7] – سورة سبأ: الآية 11.

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1].

﴿ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ ﴾[2].

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3].

﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.[4]

نأخذ من هذه النماذج مثالا على ذلك الفعل (قلْ) ورد في سورة **سبأ** في خمسة عشر موضعا و كلها أوامر حقيقية يوجه بها الله نبيه – **صلى الله عليه وسلم** – لينفذ مقولها، نأخذ مثالا عليها، حيث جاءت متتالية في عدة آيات: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾[5] ، هذه الآيات تناقش أمورا عقيدية، لذا جاء النظم فيها على هيئة التوجيه الذي يتصدره الأمر (قلْ) للدلالة على الحزم فليس للرسول – **صلى الله عليه و سلم** – إلاّ التلقي و التنفيذ، و تكرار هذا الفعل مطلع هذه الآيات يفيد زيادة الاهتمام.[6]

و أما الأوامر التي خرجت عن ظاهر الأمر فهي:

- ﴿ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ ﴾[7]

فالفعل (سيروا) هنا خرج إلى معنى الإباحة لأنه غير ملزم، و منهم من اعتبره أمرا حقيقيا، على معنى التكوين، يقول ابن عاشور: " و هذا القول هو قول التّكوينِ و هو جعلها يسيرون فيها، و صيغة الأمر للتكوين"[8]

---

[1] – سورة سبأ: الآية 13.

[2] – سورة سبأ: الآية 15.

[3] – سورة سبأ: الآية 22.

[4] – سورة سبأ: الآية 42.

[5] – سورة سبأ: الآية 26.25.24.

[6] – الطاهر ابن عاشور: التحديد و التنوير، مج 22، ص 195.

[7] – سورة سبأ: الآية 18.

[8] – الطاهر ابن عاشور: التحديد و التنوير، مج 22، ص 175.

و كأن الله تعالى قال للقرء اجعليهم يسيرون فيك، و لشدة سرعة الاستجابة أسند الأمر إليه مباشرة على اعتبار أن القرى استجابت فما عليكم إلا أن تسيروا.

- ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾[1].

الفعل (باعد) هنا جاء في معنى الدعاء لأنه صدر من الأدنى إلى الأعلى و هناك من أفعال الأمر ما انطوت على دلالات أخرى فضلا عن دلالة الأمر مستوحاة من ملابسات السياق و تجليات الموقف و هي :

- ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2].

أورد عدد من المفسرين معناها ما بين التهكم و التوبيخ يقول الرازي: « و قال لرسوله **صلى الله عليه و آله و سلم** قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على سبيل التهكم ».[3]

أمّا القرطبي فيقول:" وهذا خطاب توبيخ "[4]، وقال ابن عاشور : "الأمر في قوله: ادعوا مستعمل في التخطئة والتوبيخ، أيّ استمروا على دعائكم"[5]، والذي يبدو لنا – **والله تعالى أعلم وأجل** – أن الأمر مستعمل في التحدي ،لأنه يعلم أن هؤلاء الشركاء لا يستطيعون نصرتهم ، لذا قال بعد هذا الأمر:« قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ »[6].

- ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[7] الفعل (أروني) غير مستعمل في حقيقته ،وهو إرادة الرؤية،أنما المراد بعد من ذلك ، يقول الآلولسي: « و المراد أرونيهم لأنظر بأي صفة ألحقتموهم بالله عز و جل الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة أو ألحقتموهم به سبحانه جاعليهم أو مسميهم شركاء، والغرض إظهار خطئهم العظيم، وقال بعض الآجلة : لم يرد من أروني حقيقته لأنه **صلى الله عليه وسلّم** كان يراهم ويعلمهم فهو مجاز وتمثيل ،والمعنى ما زعمتموه شريكا إذا برز للعيون وهو خشب وحجر

---

[1] – سورة سبأ: الآية 19.

[2] – سورة سبأ: الآية 22.

[3] – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج 5 ، ص 203.

[4] – ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع القرآني ،تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصدرية،القاهرة، ط 1964،2،ج14، ص 295.

[5] – الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير، مج 22، ص 186.

[6] – سورة سبأ: الآية 22.

[7] – سورة سبأ: الآية 27.

تمت فضيحتكم ،وهذا كما تقول للرجل الخسيس الأصل اذكر لي أباك الذي قايست به فلانا الشريف ولا تريد حقيقة الذكر وإنما تريد تبكيته وأنه إن ذكر أجاه افتضح [1] ويرى ابن عاشور أنّه مستعمل في التعجيز إذا يقول: " و الأمر في قوله: أروني مستعمل في التعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجة لإشراكهم ،وهو انتقال من الاحتجاج على بطلان إلهية الأصنام بدليل النظير في قوله :"قل من يرزقكم إلى إبطال ذلك بدليل البداهة"[2]

ب – النهي: لم نجد له استخداما في سورة **سبأ**.

ج – التمني: كذلك لم نجد له استخداما في سورة **سبأ** .

د – الاستفهام: " هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية – وهي : الهمزة ، وهل، وما ، ومتى، وأيان، كيف،وأين، وأنى "[3] ،عندما تدخل هذه الأدوات على جملة الخبرية فإنه يُستفهم بها عن أحد أمرين إمّا عن النسبة أي الحكم المفاد من جملة ويسمى(تصديقا) وهو إدراك النسبة بين شيئين ثبوتا أو نفيا ، وإما عن أحد أجزاء[4] الجملة المسند أو المسند إليه ، أوفي أحد المتعلقات ويسمي (تصويرا) لذلك تنقسم أدوات الاستفهام على:[5]

* **ما يطلب به التصور تارة** : والتصديق تارة آخري وهو : الهمزة .

* **ما يطلب به التصديق فحسب وهو**: هل

* **ما يطلب به التصور فحسب وهو**: بقية أدوات الاستفهام المعنى الحقيقي للاستفهام هو طلب الفهم، وقد ورد بهذا المعنى في موضع واحد فقط من سورة **سبأ**، وهو قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾[6] فهنا أستعمل الاستفهام على حقيقته، فهو سؤال صادر من الذين أذن لهم بالشفاعة على الملائكة، وعلى وجه الاستعلام.

وقد يخرج الاستفهام عن هذا المعنى على معاني أخرى هي ميدان الدرس البلاغي، ففيها تتجلى الفكرة و تشرق الرؤية ، ويبرز الإبداع ، وورد أسلوب الاستفهام في سورة **سبأ** في عدة مواضع خرج عن مجرد الاستعلام على تلك الإشراقات الدلالية وهي :

➢ **التعجب**: تجسد في الآيات التالية:

---

[1] – الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 11 ،ص 316 .

[2] – الطاهر ابن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22، ص 196.

[3] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعني والبيان والبديع، ص 78 .

[4] – بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية ،ج2 ،ص 110 – 111 .

[5] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 87.

[6] – سورة سبأ: الآية 23.

1- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۞ ﴾.[1]

نلاحظ أنّ الآية وردت على اللسان الكافرين بصيغة الاستفهام الذي يشوبه التعجب والسخرية، أمّا التعجب فمتأتي من استبعادهم عودة الحياة بعد الموت والتمزق ، وأمّا السخرية ، فنلمحها بتنكير شخص النبي – **صلّى الله عليه وسلّم**- وهو علم عندهم وهذه تعليقات بعض المفسرين على هذه الآية: يقول الزمخشري: " الذين كفروا قريش . قال بعضهم لبعض : هل ندلكم على رجل يعنون **محمدا صلى الله عليه وآله وسلّم** : ويحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق "[2] وعلق الرازي:" ومن غاية اعتقادهم وعنادهم في إبطال ذلك قالوا علي سبيل التعجب: هل ندلكم على رجل يُنَبِّئُكُمْ إذا مزّقتم كل ممزَّق إنّكم لفي خلق جديد وهذا كقول القائل في الاستبعاد، جاء رجل يقول : إن الشمس تطلع من المغرب على غير ذلك من المحالات "[3] في حين ذكر القرطبي أن الاستفهام من خرج على معنى الإنكار ،حيث يقول: " وهذا صادر عن فرط إنكارهم "[4] ومزج سيد قطب بين دلالة التعجب والاستنكار والتشهير فقال : « عل هذا الحد من الاستغراب و الدهش كانوا يقابلون قضية البعث ، فيعجبون الناس من أمر القائل بها في أسلوب حاد من التهكم والتشهيد: « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟» هل ندلكم على رجل عجيب غريب ،ينطق بقول مستنكر بعيد، حتى ليقول: إنكم بعد الموت و البلى و التمزق الشديد تخلقون من جديد و تعودون للوجود؟! و يمضون في العجب و التعجيب، و الاستنكار و التشهير،[5] و ذهب ابن عاشور إلى أن الاستفهام مستخدم هنا في العرض الذي يشوبه التعجب حيث يقول: "و الاستفهام مستعمل في العرض مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾[6] و هو عرض مكنى به عن التعجيب، أي هل ندلكم على أعجوبة من رجل ينبئكم بهذا النبأ المحال ".[7]

---

[1] – سورة سبأ: الآية07 .

[2] – أبو القاسم محمد بن عمرو بن أحمد الزمخشري :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،دار الكتاب العربي. بيروت ، ط 3 1407 هـ ،ج25، ص 194.

[3] – الرّازي : التفسير الكبير،ج25 ،ص194 .

[4] – القرطبي: الجامع الأحكام القرآن ،ج 16 ،ص 262.

[5] – سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 17، 1421 هـ،ج5 ،ص 2894

[6] – سورة النازعات: الآية 18.

[7] – الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير،مج 2، ص 147.

2 – ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝ ﴾[1].

هنا في هذه الآية استمرار الكلام و الكافرين في الآية السابقة مستفتح بقولهم: افترى على الله كذبا؟! فالهمزة هنا للاستفهام أغنت عن همزة الوصل في الفعل (افترى) فحذفت، [2] فالسياق مشحون بحالة التعجب لأنه بتصورهم لا يقول ذلك إلا من كان مفتريا يعقل ما يقول غير أنه لا صحة لما يدعي فهو الافتراء، إذن ، أو أنه لا يعقل ما يقول فهو الجنون لا غير، فبرأ الله نبيه – **صلى الله عليه و سلم** – من هذه التهم فقال: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾[3]، يقول سيد قطب:" و يمعنون في العجب و التعجيب و الاستنكار و التشهير: « افترى على الله كذبا أم به جنة؟ فما يقول مثل هذا الكلام –بزعمهم– إلا كاذب يفتري على الله ما لم يقله، أو مسّته الجن فهو يهذي أو ينطق بالعجيب الغريب"[4]

➤ **التنكير**: تمثل في الآيات التالية:

1– ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾[5]

نحن الآن في مشهد من مشاهد يوم القيامة، الجو مشحون بالخوف و الترقب، و الظالمون موقوفون بين يدي الله يريد كل منهم أن ينسلخ من كل ما يثقل كاهله بل حتى من جلده لو كان يستطيع ذلك فلما تساقطت الأقنعة المزيفة و بدت الوجوه الكالحة على حقيقتها تساقطت معها الهيبة التي كانت تعيق مثل هذا الحوار بين المستضعفين و المستكبرين في الدنيا، فلما فاجأ المستضعفون سادتهم بإلقاء تبعة انحرافهم عن متابعة الحق إليهم، جن جنونهم و طار صوابهم، فجاء الاستفهام سريعا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟! ثم تحويل اللائمة إليهم: بل كنتم مجرمين، حتى أننا لا نرى كلمة (قوما) الموصوف التي عادة ما تكون متقدمة على الوصف (مجرمين) في سياقات أخرى من القرآن، و هذا يعكس الحالة النفسية لدى هؤلاء في التبرؤ من هذه التهم على وجه السرعة و المباغتة، فالموقف جعلهم يذهلون عن كونهم هم المجرمين في إغواء هؤلاء المستضعفين، و كأنّهم نسوا ذلك و حاولوا التنكر له، و هذا نلمحه من صيغة الاستفهام المستعملة في ثنايا النص و المتفاعلة مع الموقف الرهيب في ذلك المقام، و الآن نستعرض تعليقات بعض المفسرين على هذه الآية:

---

[1] – سورة سبأ: الآية 08.

[2] – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 263.

[3] – سورة سبأ: الآية 08.

[4] – سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن، ج 5، ص 2895.

[5] – سورة سبأ: الآية 32.

يقول الزمخشري: " أولى الاسم أعنى نحن حرف الإنكار، لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادّين لهم عن الإيمان و إثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه، و أنهم أتوا من قبل اختيارهم"[1]

و ذهب ابن عطية إلى أن السياق يحتمل التقرير، حيث يقول: " فقال لهم الرؤساء على جهة التقرير و التكذيب أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين."[2] و علق ابن عاشور بقوله: " و همزة الاستفهام مستعملة في الإنكار على قول المستضعفين تبرؤا منه، و هذا الإنكار بهتان و إنكار للواقع بعثه فيهم خوف إلقاء التبعة عليهم و فرط الغضب و الحسرة من انتقاض أتباعهم عليهم و زوال حرمتهم بينهم فلم يتمالكوا أن لا يكذبوهم و يذيلوا بتوريطهم، و أتى بالمسند إليه قبل المسند الفعلي في سياق الاستفهام الإنكاري.

الذي هو في قوة النفي ليفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي على طريقة: ما أنا قلت هذا"[3] و إلى مثل هذا الرأي ذهب كثير من المفسرين.

2- ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[4] راجعت مجموعة من التفاسير بخصوص الاستفهام المستخدم في هذه الآية، فلم أر أحدا منهم يشير إلى معناه سوى ابن عاشور الذي ذكر أن الاستفهام هنا مستعمل في الإنكار[5] و الذي يبدو لنا – و الله أعلم – أن الاستفهام هنا مستعمل في الاستبعاد على ما يحمل من دلالة الإنكار، و أن المعنى المعول عليه هو الاستبعاد على نحو قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ﴾[6] فالمراد هنا هو رسم صورة البعد الشاسع الممتد بينهم و بين ما يتمنون، مما يتولد عنه شعور باليأس و انقطاع الرجاء من تحقق هذه الأمنية، ففيه أيضا دلالة التيئيس و التقنيط.

و كذلك من الآيات المستعملة في دلالة التنكير هاتان الآيتان:

- ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[7] .

---

[1] – الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 584.

[2] – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،1422 هـ.

[3] – الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، مج 22 ،ص 206.

[4] – سورة سبأ: الآية 52.

[5] – الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج 22، ص 243.

[6] – سورة الدخان: الآية، 13.12.

[7] – سورة سبأ: الآية 17.

- ﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.[1]

والمعني هنا لا يحتمل إلا الإنكار ; بسب وجود الاستثناء المفرغ الذي يقترن – عادة – بالنفي ،والنفي هو الإنكار .[2]

➤ **التقرير**: تمثل في هذه الآية:

- ﴿ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[3].

لما كانت عاقبة الأقوام السابقة التي كذبت الرسل معلومة لدى الجميع ولا تخفى على أحد، كان الاستفهام عنها ليس على حقيقته بل المراد منه التقرير والمراد من التقرير إقامة الحجة ، وسد منافذ الذريعة، ينقل ابن عطية قول القاضي أبي محمد في معنى هذا الاستفهام :" وكيف" تعظيم للأمر وليس استفهاما مجردا وفي هذا تهديد لقريش أي أنهم معرضون لنكير مثله "،[4] ويقول ابن عاشور :" (وكيف) استفهام عن الحالة وهو مستعمل في التقرير والتفريع كقول الحجاج للعُدَيْل ابن الفرخ « فكيف رأيت الله أمكن منك»، أي أمكنني منك ،في قصة هروبه...

وبني عليه الاستفهام التّقريري التّفظيعي، أو فرّغ للتكذيب الخاص على التكذيب الذي هو سجيّتهم العامة على الوجه الثاني في معنى :﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[5].

والموضع الآخر الذي تضمن معنى التقرير قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[6].

- **الله عز وجل** – يعلم أن هؤلاء كانوا يعبدون الملائكة فهو الذي ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[7] فالسؤال هنا لإفادة معنى التقرير المراد منه تقريع المشركين وتبكيتهم ، بما يقوّم الحجّة عليهم يقول الزمخشري : "هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفّار "وارد علي المثل السائر: إياك أعني واسمعي يا

---

[1] – سورة سبأ: الآية 33.

[2] – الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 211.

[3] – سورة سبأ :الآية 45.

[4] - ابن عطية: المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 4،ص 425 .

[5] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: مج22، ص 230.

[6] – سورة سبأ: الآية40.

[7] – سورة غافر: الآية 19.

جاره نحو قوله تعالى:﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على الطريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا ، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشدّ، وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم : وهو أنه ألزم ، ويكون اقتصاص ذلك لطفنا لمن سمعه ، و جزر لمن اقتص عليه.[2]

ومن مواضع الاستفهام التي تضمنت معني التقرير قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.[3]

➤ **الاستهزاء:** تجسّد في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]

السؤال هنا ليس علي حقيقته بدليل الجواب الذي أمر الله نبيه – **صلى الله عليه وسلّم**– أن يُلقيَهُ على أسماعهم:﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5] ، لم يجب الرسول – **صلى الله عليه وسلم**– بتحديد اليوم أو بعدم معرفته ، ولم يكن هذا جواب عن سؤالهم لأنهم كانوا يعملون من خلال محاوراتهم مع النبي – **صلى الله عليه وسلم**– وبكينونة هذا اليوم، ولكنهم يجهلون وقته، فجاء الجواب تأكيدا على وقوعه ، ويقول الزمخشري: « فإن قلت: كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم ؟ قلت : ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتا ، ولا استرشادا، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الإنكار و التعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم .فلا يستطيعون تأخر عنه ولا تقدّما عليه»[6] ويقول الألوسي: " ولما كان سؤالهم عن الوقت عل–ى سبيل التعنت أجيبوا بالتهديد، وحاصله أنه لوحظ في الجواب المقصود من سؤالهم لا ما يعطيه ظاهر اللفظ ... وقال الطيبي : هو منه سألوا عن وقت إرساء الساعة وأجيبوا عن أحوالهم فيها فكأنه قيل دعوا السؤال عن وقت إرسائها فإن كينونته لا بد منه"[7] ،وقال أيضا " وقالوا : متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء "[8]

---

[1] – سورة المائدة: الآية 116.

[2] – الزمخشري: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، ج 3 ،ص 587– 588.

[3] – سورة سبأ: الآية 24 .

[4] – سورة سبأ: الآية 29.

[5] – سورة سبأ: الأية 30.

[6] – الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج3، ص 583.

[7] – الآلوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم واالسبع المثاني، ج ،11 ، ص 318.

[8] – الآلوسي : المرجع نفسه ،ص 318.

ونحن نلمح – فضلا عن الاستهزاء – دلالة الاستبعاد والإنكار ،وكأنهم يقولون : لا يمكن أن يأتي هذا اليوم أو يتحقق.

هـ – النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب " أنادي " المنقول من الخبر إلى الإنشاء

و أدواته ثمان: الهمزة، و أيّ، و ياه، و آي، و أيا و هيا، و وا.[1] و عرفه صاحب الكليات بقوله: " هو إحضار الغائب، و تنبيه الحاضر، و توجيه المعرض، و تفريغ المشغول، و تهييج الفارغ" ،[2] و كما هو الحال في باقي أساليب الإنشاء فإن البلاغي يبحث عن الانزياح المخالف للمألوف كما و ينسج منه بردة الجمال، و يصوغ منه قلادة الإبداع، فإذا تفلت النداء من ربقة المألوف فقد دخل في فضاء الانزياح، و هو فضاء رحب لطيف المسالك، دقيق المرامي.

ورد هذا النوع من الأساليب الإنشائية في ثلاثة مواضع من سورة **سبأ**، اثنان منهما وردا بحذف حرفي النداء، و واحد مع حرف النداء، و قد جاءت جميعا على معنى النداء الحقيقي، و هذه المواضع هي:

- ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[3] .

تحدث كثير من البلاغيين عن نداء الجمادات، و ما لا يعقل كالحيوان، و مالا يصح نداؤه كالنفس و غير ذلك، و عدوا ذلك من الانزياح، و السرُّ في هذا أن هذه الأشياء لا يصح نداؤها لأنها لا تستجيب، فلما يناديها منشئ الكلام لا بد أن يكون وراء ندائه هدف آخر غير إرادة الإقبال، أما في هذه الآية الكريمة فقد جاء النداء على حقيقته، لأن المنادى هو الله ذو العظمة و الجلال، فلا شيء من مخلوقاته يمتنع عن إجابته، فالجمادات و الأحياء كلها مأمورة بأمره، و مسيرة بمشيئته، لذا جاء النداء هنا على أروع ما يكون من الجمال و الجلال و العظمة رغم أنه على حقيقته، و سر هذا الجمال هو تصور هذه الأجرام العظيمة الراسية الصّماء و كأنها تسمع ما يقال، مما يبعث على الرهبة و الاستكانة و الخشوع، أمام هذا النداء الربّاني العظيم و هذا يقودنا إلى عظمة سبب النداء، و هو تسبيح الله – **جل في علاه** – إذن المراد من هذا النداء هو تحفيز مكامن التدبر لدى الناس و بعث مواطن التأمل في خلق الله، و هو يخاطب الجبال و الطير، و الأرض و السماء و كل شيء في الوجود

---

[1] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ص 89.

[2] – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو النقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية، تح عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، ص 906.

[3] – سورة سبأ : الآية 10.

يسبّح له : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[1]، و قد أجاد سيّد في تصوير هذا المعنى بقوله: " و الآية تصور من فضل الله على داود – **عليه السلام** – أنه قد بلغ من الشفافية و التجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه و بين الكائنات فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها و بارئه و رجعت معه الجبال و الطير، إذ لم يعد بين وجوده و وجودها فاصل و لا حاجز، حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله و نوع، و بين كائن من خلق الله و كائن و ترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة، التي كانت تغشى عليها الفواصل و الفوارق فإذا هي تتجاوب في تسبيحها للخالق، و تتلاقى في نعمة واحدة، و هي درجة الإشراق و الصفاء و التجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله، يزيح عنه حجاب كيانه المادي، و يردّه إلى كيونته اللدنية التي يلتقي فيها بهذا الوجود"[2].

- ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾[3].
- ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾[4].

و كلا الآيتين مستعملتان في حقيقة النداء، و تجرد المنادى (آل) و (ربنا) من حرفي النداء، و هذا غالبا ما يكون في كلام العرب، إذ أرادوا الاختصار و الإيجاز.

التبادل بين أسلوبي الخبر و الإنشاء:

لم نجد توفر نماذج من هذا النوع من أنواع الفنون البلاغية إلا في موطن واحد و قد اختلف فيه أيما اختلاف، و هو قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ ﴾[5].

الاختلاف واقع بين العلماء حول جملة (الحمد لله)، أهي خبرية أم إنشائية؟ و الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى التدقيق في أقوال العلماء، و كذلك دقة تأمل في المراد من قوله تعالى: (الحمد لله)، و نحن لا نستطيع أن نجزم بثبوت أحدها و انتفاء الآخر، فهذا أمر علمه عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء، و حسبنا أن ننقل ما استطعنا أن نراجعه من أقوال العلماء على ضيق المقام.

---

[1] – سورة الإسراء: الآية 44.

[2] – سيد قطب إبراهيم حسين الشابي: في ظلال القرآن، ج 5 ،ص 2897.

[3] – سورة سبأ: الآية 13.

[4] – سورة سبأ: الآية 19.

[5] – سورة سبأ: الآية 01.

نقل الآلوسي بأن الذي عليه معظم العلماء أنها إخبارية، و الإمام البخاري – رحمه الله – ألف في الانتصار لهذا المذهب و قد ردّ على من قال إنها إنشائية، و ردّ عليه ابن الهمام [1] بأن ما ذكره باطل، لأن ذلك يقتضي انتفاء وصف الواصف لا الاتصاف، أي انتفاء إرادة إنشاء الدعاء، فالحمد هنا إظهار الصفات لا ثبوتها و المخبر بالحمد لا يقال له حامدا، و لو كان الحمد إخبارا محضا ما قيل لمن يقول: (الحمد لله) حامد [2] أما رأي الآلوسي فقد ذكره في قوله: " و الذي أرتضيه أنها إخبارية كما عليه المعظم و يد الله تعالى مع الجماعة و المراد الإخبار بأن الله تعالى مستحق الحمد كما قال سبحانه: ﴿ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[3]، و المتكلم بها عن اعتقاد واصف به سبحانه بالجميل و معظم له جل شأنه فيقال له حامد لذلك لا لمحض الأخبار بما فيه لفظ الحمد بل إذا غير الصيغة إلى ما ليس فيها ذلك اللفظ مما هو مشتمل على الوصف بالجميل بقصد التعظيم قيل له أيضا حامد فللحمد صيغ شتى وعبارات كثيرة حتى جعل منها الإقرار بالعجز عن الحمد .... ولا تظن من كلامي هذا أني أمنع أي يكون الحمد بجملة إنشائية رأسا معاذ الله ولكني أقول إن الجملة هنا إجبارية وإن الحمد يصح بها بناء على ما ذكرناه والبحث بعد محتاج إلى تحرير "[4] وقد فصل ابن عاشور في هذه المسألة في مبحث رائع مطلع تفسير سورة الفاتحة ، ونقل لنا أراء العلماء في ذلك من غير إشارة علي أسمائهم ، وذكر أنهم منقسمون في كون جملة (الحمد الله) خبرية أم إنشائية ؟ على مذهبين:

أ/ الأول : يرى أنها خبرية ، وهؤلاء فريقان:

- منهم من يرى أنها خبر باق على خبريته ، ولا إشعار فيه بالإنشائية، ورد على قولهم بأن المتكلم بها لا يكون حامدا لله حينها ، علما أن المراد أن يحمد الله – **تعالى**– ويثني عليه–.
- وفريق آخر يرى أنها خبر لا محالة ولكن أريد به الإنشاء، مع اعتبار الخبرية، كما يراد من خبر إنشاء التحسُّر في قوله تعالى: على لسان امرأة عمران :﴿ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ [5] فالمقصد الآلي هو الإنشاء ولكنه عدل على الخبر لما يتحقق بواسطته من دلالة الدوام والثبوت ، و وجه التلازم بين الإخبار عن حمد الناس ، وإنشاء الحمد حاصل بدلالة الالتزام ، لأن المخبر عن حمد الناس لله لاشك أنه منشئ ثناء عليه.

---

[1] – محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، السيواسي ثم الاسكندري كمال الدين المعروف بابن الهمام، عارف بأصول الديانات و التفسير و القرائض و الفقه و الحساب و اللغة و الموسيقى و المنطق، ينظر الأعلام للزركلي، ج 6، ص 255.

[2] – الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ج 11، ص 78.

[3] – سورة القصص: الآية 70.

[4] – الآلوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثماني ، ج 11 ، ص 78– 79 .

[5] – سورة آل عمرا ن: الآية 36.

2/ الثاني: يري أنها إنشاء محض ، لا علاقة له بالخبرية ، وهي من الصيغ التي نقلها العرب من الخبر إلى إنشاء الثناء كما نقلت صيغ العقود وأفعال المدح والذم مع عدم إماتة المعنى الخبري في الاستعمال [1] وختم المبحث بقوله: والحق الذي لا مجيد عنه أن الحمد لله خبر مستعمل في الإنشاء فالقصد هو الإنشائية لا محالة ، وعدل على الخبرية لتحمل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص و الاهتمام ، وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة اعتبارية والعرب إياها إنشاء لا خبرا قوله ذي الرّمة .

ولما جرت في الجدل جريا ** سنا الفجر أحدثنا لخالقها شكرا

فعبر عن ذكر لفظ الحمد أو الشكر بالأحداث، و الإحداث يرادف الإنشاء لغة فقوله: أحدثنا خبرا حكى به ما عبر عنه بالإحداث و هو حمده الواقع حين التهابها في الحطب[2].

[1] – الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، مج 1 ،ص 161 – 162 .

[2] – المرجع نفسه: ص 162.

الفصل الثاني

I /مفهوم الجملة :

أ – لغة:

وردت في قاموس الصحاح الجوهري (ت 396 هـ) بقوله: « الجملة واحدة الجمل، و أجمل الحساب ردة إلى الجملة »[1] كما ورد في لسان العرب لابن منظور هي: «الجملة واحدة الجمل و الجملة جماعة الشيء، و أجمل الشيء جملة عن تفرقة و أجمل له حساب كذلك و الجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب و غيره ».[2]
و في معجم الوجيز فجاء « الجملة جماعة كل شيء و يقال أخذ الشيء جملة، و باعه جملة متجمعا لا متفرقا»[3]
« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ».[4]

من خلال التعريفات الواردة في قاموس الصحاح و لسان العرب و معجم الوجيز نجد أنّ دلالة الجملة لغة لها نفس المعنى اللغوي. و هي جمع الشيء عن تفرقة.

ب – اصطلاحا:

أمّا في الاصطلاح فقد أختلف في تعريفها بين القدامى و المحدثين بل إنّ القدامى في حدّ ذاتهم اختلفوا في تعريفها، فانقسموا في ذلك إلى فريقين: فريق يساوي بينها و بين الكلام و فريق آخر يفرق بينهما و جعل لكل منهما تعريف، فالفريق الأول يتمثل في جماعة من النحاة على رأسهم سيبويه (ت 180 هـ) الذي لم يستعمل مصطلح الجملة بل عبر عن معناها مستعملا مصطلح الكلام فيقول: « ألا ترى أنك لو قلت: فيها عبد الله حسن السكوت و كان كلاما مستقيما كما حسن و استغنى في قولك: هذا عبد الله ».[5]

---

[1] – الجوهري إسماعيل بن حمادة: الصحاح تاج اللغة و الصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العام للملايين، ط 3 1984، ص 26.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، ص ص 685 –086.

[3] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص 126.

[4] – سورة الفرقان : الآية 32.

[5] – عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ج 2 ص 88.

فالكلام عنده يحسن السكوت عليه و يشترط فيه تمام المعنى و الاستقامة، أما المبرد ت (285 هـ) فأوّل من أستعمل مصطلح الجملة في قوله: « و إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو و الفاعل جملة يحسن عليها السكوت و تجب بها الفائدة للمخاطب ».[1]

فالجملة عنده هي الكلام عند سيبويه يشترط فيها حسن السكوت عليها و الإفادة.

و تبدو التسوية بين الكلام و الجملة جلية عند الزمخشري ت 538 هـ الذي يقول: « و الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، و ذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، و بشير صاحبك أو في فعل و اسم نحو قولك: ضرب زيد و انطلق بكر و تسمى الجملة».[2]

و تبعه في ذلك ابن يعيش (ت 643 هـ) في الشرح المفصل قائلا: « اعلم أن الكلام عند النحو يبين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه، و يسمى الجملة، نحو: زيد أخوك و قام بكر ».[3]

و مما سبق نستنتج أن الجملة عند هؤلاء هي الكلام، و أن الكلام هو ما تركب من كلمتين فأكثر بشرط الإفادة و الاستغناء، و هي تسوية صرح بها الزمخشري و ابن بعيش و ذكرها سيبويه ضمنيا في كلامه.

أما الفريق الثاني الذي فرق بين الجملة و الكلام فهم النحاة: ابن الحاجب (ت 570 هـ) و الرضي الاستراباذي (ت 686 هـ) و ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) و يجمع ابن الحاجب و الرضي على أن : « الكلام ما تضمن كلمتين بالاستناد و لا يتأتى ذلك إلا في اسمين أو فعل و اسم ».[4]

فبعد أن كان شرط الكلام الإفادة و الاستغناء أصبح شرطه الإسناد و الفرق بينه و بين الجملة متمثل في أنّ:

« الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائرها ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، و اسما الفاعل و المفعول و الصفة المشبهة و الظرف و ما أسندت إليه، و الكلام ما[5] تضمن الإسناد الأصلي و كان مقصود لذاته، و كل كلام جملة و لا ينعكس في القول السابق يتمثل الفرق بين الكلام و الجملة في تضمن الكلام إسنادا أصليا مقصودا لذاته مما يجعله أخص من الجملة التي تتضمن إسنادا أصليا مقصود لذاته أو غير مقصود لذاته.

---

[1] – أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد: المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، دار الكتب المصري، القاهرة، ط 3 1914، ص 146.

[2] – أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوازمي الزمخشري:المفصل، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، د.س، ص 06.

[3] – يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السدايا، محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسري الموصلي ابن يعيش: شرح المفصل دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422 هـ ، 2001 م، ص 20.

[4] أبو عمرو عثمان ابن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الأسنائي ابن الحاجب، الكافية في النحو: شرحه الرضي الاستراباذي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ،1995 م، ص 07.

[5] – المصدر نفسه ص 08.

و يوافق السيوطي (ت 911 هـ) و ابن الحاجب و الرضي في هذا التفريق فيقول: «ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف و فصوت و إن اشتمل على حرف و لم يعد معنى فلفظ و إن أفاد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة أو مركبا من اثنين و لم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكم »[1]

أمّا الفرق بين الجملة و الكلام عنده متمثل في تضمن الكلام إسنادا أصليا يقصد لذاته أما في الجملة لا يقصد لذاته.

و على الرغم من اختلاف هؤلاء الذّين يفرقون بين الجملة و الكلام، إلا أنهم يتفقون على أنّ شرط الجملة تضمنها عملية إسنادية، و شرط الكلام الإفادة و التمام.

لم يبتعد المحدثون عن المسلك الذي يسلكه النحاة القدامى في تعارض آرائهم، فمنهم من اعتبر الجملة هي الكلام نفسه. « و الجملة في أقصر صورها كما يعرفها إبراهيم أنيس هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر »[2]

فهو هنا يؤكد على أنّها أخص من الكلام، و أن التعريفات التي أخذها الكلام عند القدامى ما هي إلاّ تعريف للجملة.

كما يعرفها المخزومي (ت 1994) « الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات و هي المركب الذي يبين به أن صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه »[3]

أمّا عباس حسن اعتبر الجملة هي الكلام فيقول: « الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر و له معنى مفيد مستقل »[4]

أمّا خليل أحمد عمايرة فيعرف الجملة على أنها: « ما كان من الألفاظ قائمها برأسه مفيد المعنى يحسن السكوت عليه ».[5]

و يرى أنها أخص من الكلام فهو عنده تآلف عدد من الجمل، و اشترط في الجملة ما أفاد و استغنى بنفسه و حسن السكوت عليه، فالفاعل مع فعله، جملة و المبتدأ مع خبره جملة، و الشرط مع جوابه جملة.

---

[1] – عبد الرحمان بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو ،تح غريج الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2011 م ، ص03.

[2] – إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، ط 6، 1978، ص ص 277- 276.

[3] – مهدي بن محمد صالح بن حسن آل زاير دهام المخزومي: في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط 2، 1986 م، ص 31.

[4] – عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط 6، د.س، ص 15.

[5] – مصطفى العلاييني: جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان بشارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2010 م، ص 27.

و في كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني عرف الجملة على أنها: « الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت أحدهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك زيد قائم أو لم يفد كقولك: ان يكرمني فإنه جملة لا تفيد الا بعد مجيء جوابه فيكون الجملة أعم من الكلام مطلقا.[1]

و هناك تعريفات أخرى لا تختلف في فحواها عما مرّ و إن كانت ألفاظها مختلفة.[2]

II / المبحث الأول:

I / التقديم و التأخير: مفهوم التقديم و التأخير:

أ – لغة:

الأصل في التقديم من (أقدم): أي تقدم و عليه قول الزمخشري: « قدمته و أقدمته فقدّم و أقدم بمعنى تقدّم و منه مقدمة الجيش: الجماعة المتقدّمة، و الإقدام في الحرب.»[3]

و في لسان العرب: (القدم و القدمة: السابقة في الأمر، و تقدم و قدّم و استقدم، تقدم،[4] و أقدم على الأمر: شجع، و أقدمته و قدّمته، [5]و مضى قدما و تأخر أخرا، و جاء في أخريات الناس.

و الآخر خلاف الأول و يقال: لا مرحبا بالآخر: أي ب لأبعد، و تأخر و أخر فأخيرا: إستأخر.

فالتقديم و التأخير متناقضان، حيث يعني الأول بوضع الشيء أمام غيره و قد كان خلفه، و يعني الثاني بوضع الشيء خلف غيره و قد كان أمامه.

ب – اصطلاحا:

و انتقل هذا المعنى من الوضع اللغوي إلى الاصطلاحي، فلا يأتي التقديم إلاّ فضل دلالة و تمام معنى و تأخير ما حقه التقديم للغرض نفسه و ذلك يجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة.[6]

---

[1] – الشريف الجرجاني علي بن محمد: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 2000 ، ص 82.

[2] – فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها و أقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط3، 1430 هـ، 2009 م ص 12.

[3] – الزمخشري: أساس البلاغة ،مادة (قدم).

[4] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (قدم) .

[5] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، (باب الميم، فصل القاف) .

[6] – مختار عطية: التقديم و التأخير و مباحث التراكيب ، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، ص 15.

و لا يخرج تعريف الثعالبي عن ما ذكر لمفهوم التقديم و ضده، حيث قال العرب تبتدئ بذكر الشيء و المقدم غيره[1] كما في قوله تعالى : ﴿ يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] و قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[3] فتقدم القنوت و السجود على الركوع و هو قبلهما، و تقدم الليل على النهار و هو قبله.

فالتقديم: ترتيب لبناء الجملة بما يتناسب مع حقائق الأشياء، فيتقدم ما أريد التنبيه عليه و الالتفات إليه و يتأخر ما لم يرد فيه ذلك.[4]

2 / أهمية التقديم و التأخير:

لا نجد أكثر مما قاله الجرجاني، يمكن أن يفي في التعبير عن أهمية التقديم و التأخير في تكوين الجمل العربية، حين وصفه بأنه: باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، و يلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك أن قدم فيه شيء، و حول اللفظ عن مكان إلى مكان.[5] و يقول في موضع آخر: و قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قُدِّم للعناية، و لأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ و بم كان أهم ؟ و لتخيلهم ذلك، قد صغر أمر التقديم و التأخير في نفوسهم، و هونوا الخطب فيه حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه و النظر فيه ضربا من التكلف، و لم تره ظنا أزرى على صاحبه من هذا و شبهه.[6]

و يرى أنّ لتقديم بعض أجزاء الكلام على بعض مزايا بلاغية لا تقف عند حد العناية التي اعتقدها النحويون، و رأوا أنها سبب التقديم و ليس كذلك ، بل هناك مزايا بلاغية كثيرة، و يتعجب عبد القاهر من أمر من يقلّلون من شأن التقديم و التأخير، و يرى ما ورد في القرآن الكريم من تقديم و تأخير دليلا يدحض زعمهم و أنّ ما به من عظم التفاوت بينه و بين كلام البشر، إنّما كان بهذا النظم المعجز الذي تحويه آياته.

---

[1] – أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة و أسرار العربية، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422 هـ – 2002 م، ص 221.

[2] – سورة آل عمران: الآية 43 .

[3] – سورة الأنبياء: الآية 33.

[4] – مختار عطية: التقديم و التأخير و مباحث التراكيب، ص 17.

[5] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 106.

[6] – المرجع نفسه، ص 108.

و التقديم عنده على وجهين:

أ / تقديم على نية التأخير، و ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ و المفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: منطلق زيد، و ضرب عمرا زيد فمعلوم أن "منطلق و عمرا "، لم يخرجا بالتقديم عما كان عليه من كون هذا خبر مبتدأ مرفوعا بذلك و كون ذلك مفعولا و منصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت.

ب / و تقديم لا على نية التأخير و لكن أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم و تجعل له بابا غير بابه، و إعرابا غير إعرابه، و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ، و يكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، و أخرى ذاك على هذا، مثل حين تقول: زيد المنطلق، أو المنطلق زيد، فأنت لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، و كذلك لم تؤخر زيد على أن يكون مبتدأ كما كان عليه و الغرض من هذا النوع من التقديم، لا يكون إلا لكمال العناية به، و الاهتمام بشأنه، و التنبيه عليه.

و التقديم عند السّكّاكي[1] نوعان:

أ / أحدهما أن يكون أصل الكلام في ذلك هو التقديم و لا يكون في مقتضى الحال ما يدعو على العدول عنه كالمبتدأ المعرف فإن أصله التقديم على الخبر، و كذلك الفاعل المعرف، فأصله التقديم على الحال، و كالعامل فأصله التقدم على معموله و كالفاعل فأصله التقدم على المفعولات و ما يشبهها من الحال و التمييز.

ب / ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه و الاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك و التفات خاطرك إليه في التزايد أي: موضع اهتمامك.

و قد يكون بقاء تقديم ما هو مقدم في الأصل، داعيا و واجبا و ذلك إذا كان هذا ما يقتضيه المقام كأن يكون المسند إليه ذا ضمير له أن يقرر الحكم في ذهن السامع و يؤكده بسبب تكراره سواء أكان اسما ظاهرا نحو: أنت ركبت، كرر متصلا و منفصلا، و ذلك: هو ركب.[2]

أمّا التأخير: فالداعي إلى تقديم المسند هو الداعي إلى تأخير المسند إليه و تأخيره، لنفس داعي تقديم المسند إليه، لأن ما يدعو بلاغيا إلى تقديم جزء من الكلام هو نفسه ما يدعو بلاغيا إلى تأخير الجزء الآخر منه[3]

---

[1] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 236، 237.

[2] – محمد بن علي الجرجاني: الإشارات و التنبيهات في علم البلاغة، تح عبد القادر حسين، دار نهضة، مصر 1981 م ص 2.

[3] – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 107.

3 / أغراض التقديم:

أولا: تقديم المسند إليه:

ما ذكره من آراء في شأن التقديم يبين أن أصل التقديم للعناية و الاهتمام بشأنه غرض أساسي في التقديم، و ما يأتي من أغراض متفرعة منه، كأن يكون المتقدم الأصل فيه التقديم، أو لأن في المتأخر تشويقا.

1 / فيقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي أن ولي حرف النفي نحو قولك: ما أنا قلت هذا، أي لم أقله مع أنه مقول لغيري [1] و فيه أمرا:

أحدهما: أنه يصح لك أن تقول: (ما قلت هذا، و لا قاله أحد من الناس، و ما ضربت زيدا، و لا ضربه أحد سواي، و لا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: ما أنا قلت هذا، و لا قاله أحد من الناس، و ما أنا ضربت زيدا، و لا ضربه أحد سواي، "كان خلفا من القول، نثبت أنه قد ضرب ".

2 / و يقدم المسند إليه، لتقوية الحكم، و يأتي هذا في بعض المواقع: [2]

- أن يأتي الكلام بعد ما سبق فيه إنكار من منكر، و الإنكار يقتضي التوكيد، و ذلك نحو قوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.[3]

- أن يجيء الكلام فيما اعترض فيه الشك، فيؤكد الكلام بتقديم المسند إليه، كأن يقول لك شخص: أنت لا تعلم ما حدث، فترد عليه " أنا أعلمه ".

- أو أن يجيء في تكذيب مدع، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾[4].

و يجيء التأكيد في مواضع كثيرة، فيأتي فيما لا يكون القياس في مثله، و في سياق الوعد و الضمان و كذلك فيما يستغرب من الأمور، و في مجال المدح و الفخر، لأن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، و يباعدهم عن الشبهة و كذلك المفتخر.

3 / و قد يكون التقديم بغرض النص على عموم السلب، أو سلب العموم.[5] فالنص على عموم السلب يعني: (شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه) و يكون عادة بتقديم أداة من أدوات العموم على أداة من أدوات

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 121.

[2] – توفيق الفيل:بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني،مكتبة الآداب ،القاهرة، ص 122.

[3] – سورة آل عمران: الآية 75.

[4] – سورة المائدة: الآية 61.

[5] – اسماعيل الصيفي و عبد الرحمن سالم وآخرون: فصول في البلاغة والنقد الأدبي،مكتبة الفلاح،الكويت،ط1،1403 هـ-1983م ،ص 118.

النفي مثل: كل الطلاب لم يحضروا، ففي هذا المثال تقدمت أداة العموم "كل" و تأخرت أداة النفي "لم"، فهي من عموم السلب أو عموم النفي، و عليه قول النبي **–صلى الله عليه و سلم–** عندما قال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت فقال: (كل ذلك لم يكن) .

أما سلب العموم فيكون بتأخير أداة العموم و تقديم أداة النفي، و النفي ليس عاما شاملا لكل الأفراد بل يفيد بثبوت الحكم لبعض الأفراد، و نفيه عن البعض الآخر، نحو قول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ** تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن[1]

فالمعنى في البيت: أن الإنسان لا يدرك كل أمانيه، و إنما يدرك بعضها، و يفوته بعضها الآخر.

4 / و يقدم بغرض التشويق، و ذلك إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة [2] و في ذلك يقول، القزويني: يقدم المسند إليه – تأييدا لما قاله السّكاكي –: " لكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل و لا مقتضى للعدول عنه، و إما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه ".[3]

ثانيا: تقديم المسند:

و يقصد بتقديمه هنا، إذا ما قدم و بقي على حكمه لم يتغير عنه، و يقدم المسند لأغراض منها:

1 / التخصيص: نحو قوله تعالى:﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[4] ، (فالغول مقصور على إنصافه بعدم حصوله في خمر الجنة، و لكنه يوجد في خمر الدنيا التي تغتال العقول، و تسبب ثقل الأعضاء و دوار الرأس).

فنفي الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع و السكر.[5]

2 / و يقدم المسند من أجل التنبيه من أول الأمر على أنّ المسند المتقدم خبر لا نعت، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[6]، قدم المسند في الآية، " لكم على مستقر " حتى لا يتوهم السامع أنه نعت .

3 / و يقدم بغرض التفاؤل أو التشاؤم: نحو قولهم: سعد صباحك و طاب يومك، قدم فيهما المسند (بغرض التفاؤل)، و ذلك أكثر تفاؤلا من أن يقال: صباحك سعيد، و يومك طيب، لأنه بدأ بالكلمة ذات الوقع

---

[1] – ديوان المتنبي، ص 40.

[2] – اسماعيل الصيفي و عبد الرحمن سالم وآخرون: فصول في البلاغة، ص 111.

[3] – القزويني: الإيضاح، ص 23.

[4] – سورة الصافات: الآية 47.

[5] – مجموعة من العلماء: فصول في البلاغة، ص 111.

[6] – سورة الأعراف: الآية 24.

الحسن على آذاننا و قلوبنا، و بالجهة الأخرى يكره أن يقال: خسرت تجارتك، لأنه داع إلى التشاؤم، و لا يحب أن يستهل بمثل هذه الأشياء.

4 / و يقدم المسند بغرض التشويق إلى ذكر المسند إليه.

5 / و يقدم المسند إذا كان محط إنكار، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[1]، قدم الخبر "أراغب" على المبتدأ "أنت" بالإضافة إلى اختصاصه بالمبتدأ، ليدل بذلك على إفراط تعجبه في الميل عنها و مبالغة في الاهتمام بأمرها، [2] و واضعا في نفسه أن مثل آلهته لا ينبغي الرغبة عنها، فهو ينكر على إبراهيم أن يعبد غير آلهتهم .

ثالثا: تقديم متعلقات الفعل:

و من متعلقات الفعل التي يجري فيها التقديم و التأخير، (المفعول و الجار و المجرور، و الظرف، و الحال و غيره من متعلقات الفعل) [3] فمن تقديم المفعول على الفعل، كقولك: زيدا ضربت، و ضربت زيدا، فإن في قولك: زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره، و ذلك خلاف قولك: " ضربت زيدا "، لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول: خالدا، أو بكر، أو غيرهما و إذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول، و كذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، كقولك: زيد قائم، و قائم زيد، فقولك: قائم زيد " قد أثبت له القيام دون غيره، و قولك ": زيد قائم " أنت بالخيار في إثبات القيام له، و نفيه عنه، بأن نقول: ضارب أو جالس أو غير ذلك.

1 / يقدم للعناية – و ليس لمطق العناية – على ما يراها سيبويه: (إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم و هم ببيانه أعنى، و إن كانا جميعا يُهمّانهم و يعنيانهم)[4]، و إنما تكون العناية لأغراض أخرى، يكشف عنها السياق .

2 / يقدم المفعول به بغرض الاختصاص، و فيه يكون المتأخر الفعل لأنّه مختص بما تقدّم عليه، نحو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.[5] فكل من العبادة و الاستعانة مقصور على الله سبحانه، و هذا خلاف ما يراه ابن الأثير قائلا: « و قد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص و ليس كذلك، فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، و إنما قدم لمكان نظم الكلام، لأنّه لو قال: نعبدك و نستعينك لم يكن له من الحسن لا لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ و ذاك لمراعاة

---

[1] – سورة مريم: الآية 46.

[2] – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 108.

[3] – نصر الله بن محمد بن محمد خيار الدين بن الأثير: المثل السائر ،ج2،ص 172.

[4] – سيبويه: الكتاب، ص 34.

[5] – سورة الفاتحة: الآية 05.

حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، و لو قال نعبدك و نستعينك لذهبت تلك الطلاوة، و زال ذلك الحسن»[1] و معنى الاختصاص فيه واضح، فمعنى الآية، (لك اللهم نخشع و نذل و نستعين، إقرارا لك يا ربنا بالرّبوبية لا لغيرك) ، و مثله قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[2]. فقد قصر الحشر على الله سبحانه و تعالى.

3 / و يقدم المفعول به للاهتمام بشأنه، إذا كان المعمول محط الإنكار،[3] نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾[4]، فالاستفهام الإنكاري في الآية واقع على أن يكون المبغي ربا غير الله، و هو المفعول به "غير"، (فالسبب في تقديم المفعول به إذا هو كونه موضع الاهتمام المتمثل في الإنكار الذي خرج إليه الاستفهام)[5].

4 / و يقدم لرعاية الفاصلة في النشر، أو الوزن في الشعر، و يرى العلوي، أن التقديم في مثل هذا يمكن أن يكون للغرضين: "لمراعاة النظم، و الاختصاص"، و يمثل لذلك بالآية السابقة من سورة الفاتحة، و بقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾[6].

فالتقدم في الآيات للتخصيص و تشاكل رؤوس الآيات معا، حيث إنّ (الاختصاص أمر معنوي و التشاكل أمر لفظي)[7] و منه أيضا قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾[8]، و قيل تقديم اليتيم و السائل:"للاحتفاظ بالموسيقى في الآيات القرآنية، التي تميز بها و التي يعني بها القرآن الكريم و هي إحدى وسائل تأثيره في النفس، فإذا أخرنا فإننا نجد خروجنا عن النسق ونفرة في النظم،[9] و ما نراه في تقديمهما، لكمال العناية و الاهتمام بشأنهما، ليس غير.

فأي القرآن الكريم كيفما أتت، ويظهر تأثير في القلوب وسحرها على النفوس لأنّها ليس من وضع البشر حتى تتغير لمجرد تغيير في ترتيبها ،ولا يتأثر النسق فيه بأي سورة أتى بها.

- وتقديم بعض المعمولات كالجار والمجرور مثلا لأغراض منها:

---

[1] – إبن الأثير: المثر السائر، ص 173.

[2] – سورة آل عمران: الآية 158.

[3] – اسماعيل الصيفي و عبد الرحمن سالم وآخرون: فصول في البلاغة، ص 123.

[4] – سورة الأنعام،: الآية 164.

[5] – القزويني:شروح التلخيص،ج 2، ص154.

[6] – سورة طه: الآية 67.

[7] – العلوي:الطراز، ص 67.

[8] – سورة الضحى: الآية 09-10.

[9] – اسماعيل الصيفي و عبد الرحمن سالم وآخرون: فصول من البلاغة، ص 124.

1 / أن يكون في التأخير إخلال بالمعنى المراد ،كقوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[1] ،فقدم قوله " من آل فرعون" على قوله" يكتم إيمانه" ،لأنه لو أخر لتوهم أنه من صله " يكتم" أي يكتم إيمانه من آل فرعون ،وفي هذا إخلال بالمعنى المراد إذ لا يفهم أن الرجل من آل فرعون،مع أن الغرض بيان أنه منهم ، لأن ذلك يغير عناية الله بموسى ورعايته له،إذ جعل من آل فرعون من يدافع عنه.

2/ كون المقدم أهم:من ذلك قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]،فقدم الجار والمجرور " من " أقصى المدين " على الفاعل " " رجل" زيادة في تبكيتهم ،لأنهم شاهدوا من المرسلين لقربهم منهم ما لم يشاهده ذلك الرجل،ومثله قوله تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾[3]،فقدم الجار والمجرور "إلي" للعناية به (لأن جلّ همه قتل أخيه،لا مطلق القتل ،وقتل أخ مظلوم أشنع ،فقدم توبيخا له لعله يرتدع،وأخر في الثاني لأنه ليس ممن يصدر عنه القتل مطلقا ،وذكر " إليك" لبيان الواقع)[4]

III / المبحث الثاني: الحذف والذكر

المطلب الأول: الحذف:

1 / مفهوم الحذف:

الحذف من الأساليب البلاغية التي نالت اهتمام العلماء والدارسين وقد أفاضوا وأفادوا في الحديث عنه،وهو أيضا من الأساليب التي لا يتوصل إليها ،ولا يعرف فنونها إلا من كان له ذوق سليم،وصاحب ملكه فائقة ومقدرة على إتيان بأساليب اللغة بشتى طرقها ،لذلك وصفة عبد القاهر الجرجاني بأنه :(باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسّحْر،فإنك ترى به ترك الذِّكر،وأفضح من الذكر، والصمت عن الإفادة،أزيد للإفادة،وتجدك أنطقت ما يكون إذا لم ينطق ، وأتم ما يكون بيانا إذا لم تبن) [5]

والأصل في المحذوفات ما اتفق عليه علماء اللغة والبلاغة،أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف.

---

[1] – سورة غافر: الآية 28

[2] – سورة يس: الآية 20.

[3] – سورة المائدة: الآية 28.

[4] – إسماعيل الصيفي و عبد الرحمن سالم وآخرون: فصول من البلاغة، ص 126.

[5] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص146.

أ – الحذف لغة:

حذف الشيء (إسقاطه .وحذف الصانع الشيء : سواه تسوية حسنة ،كأنه حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من كل عيب وتهذب ،وحذفته حذفا من باب ضرب قطعته وقال ابن فارس: حذفت رأسه بالسيف قطعت منه قطعة وحذفا في قوله أوجزه وأسرع فيه وحذف الشيء حذفا أيضا أسقطه ومنه يقال حذف من شعره ومن ذنب الدابة إذا قصّر منه .[1]

ب – اصطلاحا :

والحذف يعني الاختصار ،وعند الباقلاني: هو اسقطا للتخفيف ،كقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ ﴾ كأنه قال هذا القرآن والحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب قي القصد من الجواب [2].

والحذف ردف للإيجاز .إذا حذف ما لا يخل بالمعنى، وبهذا قال العلوي من خلال تعريفه لا يجاز الحذف: (أعلم أنّ مدار الإيجاز على الحذف ،لأنّ موضوعه على الاختصار ، وذلك إنّما يكون بحذف مالا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة ، ولو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام، عن علو بلاغته ،ولصار إلى شيء مشترك مسترذل ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة ،ولابد من الدلالة على ذلك المحذوف،فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغوا من الحديث ولا يجوز الاعتماد عليه ، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا بحال)[3]

والدلالة على المحذوف عنده من جهتين:

أ/ إحداهما من جهة الإعراب، على معنى أنّ الدال على المحذوف هو من طريق الإعراب وهذا كقولك: أهلا وسهلا،فإنه لا بدلهما من ناصب ينصبهما يكون محذوفا لأنهما مفعولان في المعنى.

ب/ وثانيهما لا من الإعراب، وهذا كقولنا: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع ،فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة إعرابه وإنما يكون ظاهرا من جهة المعنى ،لأن معناه: فلان يعطي المال،ويصل الأرحام،ويقطع الأمور برأيه ويفصلها.

---

[1] – ابن فارس: الصحاح، مادة (حذف) ،ص1343 .

[2] – أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب :إعجاز القرآن تح أحمد صقر، دار المعارف ، مصر ،1997 ،ص 262 .

[3] – يحي بن حمزة العلوي: الطراز، ص 69.

2 / أنواع المحذوفات:

يجملها ابن جني في قوله: (قد حذفت العرب الجملة و المفرد و الحرف و الحركة، و ليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، و إلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته).[1] فشأنه شأن غيره في أن الحذف لابد فيه من وجود دليل على المحذوف، و قال ابن الأثير: (الأصل في المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه و لا سبب)[2]

3 / صور الحذف:

تناولها بعض العلماء، و وقفت على تقسيم السيوطي لها، و هي كالآتي:

أ – الاقتطاع: و هو حذف بعض أحرف الكلمة، و منه قراءة من قرأ: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ﴾، [3] " و نادوا يا مال " بالترخيم، قيل سبب الحذف لشدة ما هم فيه، عجزوا عن إتمام الكلمة، و يدخل في هذا النوع حذف همزة "أنا" في قوله: ﴿ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾،[4] إذ الأصل "لكن أن"، حذفت همزة أنا تخفيفا و أدغمت النون في النون.

و عند الزركشي: (هو ذكر حرف من الكلمة و إسقاط الباقي)، [5] و تعريفه غير واف بالمطلوب، كما عرفه السيوطي، لأنه هو اقتطاع و ليس تجريد و إخلال بالكلمة.

ب – الاكتفاء: هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم و ارتباط، فيكتفي بأحدها عن الآخر لنكتة و يختص غالبا بالارتباط العطفي، كقوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[6] أي و البرد، و قيل خص الحر بالذكر، لأن الخطاب للعرب و بلادهم حارّة و الوقاية عندهم من الحر أهم عندهم، لأنّه أشدّ من البرد، و من أمثلة هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[7] ، أي و الشر، و قيل: خص الخير بالذكر، لأنه مطلوب العباد و مرغوبهم، أو لأنه أكثر وجودا في العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الآداب.

---

[1] – أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص،الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 4 ،ج 2،ص 363- 362.

[2] – إبن الأثير: المثل السائر ،ص 175 .

[3] – سورة الزخرف: الآية 77.

[4] – سورة الكهف: الآية 38.

[5] – الزركشي : البرهان، ص 146.

[6] – سورة النحل: الآية 81.

[7] – سورة آل عمران: الآية 26.

ج – الاحتباك: و وصفه بأنه ألطف الأنواع و أبدعها، و قل من تنبه له أو نبه عليه من أهل البلاغة، و هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، و من الثاني ما أثبت نظيره في الأول: كقوله تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ ﴾[1].

التقدير: تدخل غير بيضاء و أخرجها تخرج بيضاء، فحذف من الأول تدخل غير بيضاء، و من الثاني: و أخرجها.

و سماه الزركشي بالحذف المقابل، و عرفه بقوله : " هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابلة، لدلالة الآخر عليه ".

د – الاختزال: و هو أقسام، لأنّ المحذوف إما لكلمة، اسم، أو فعل، أو حرف أو أكثر.

و أشار إليه ابن جني: في خصائصه بعد حذف الجملة فقال: " و أما حذف المفرد فعلى ثلاثة أضرب: اسم و فعل و حرف"،[2] و الاسم نحو: حذف المبتدأ و الخبر و الصفة و الموصوف و المضاف إليه، و حذف الجملة و غيرها من المحذوفات".

و اهتمّ البلاغيون بالسند و المسند إليه و ابتدأوا حذفهم به، فأشار إليه الجرجاني و بين أنّ حذفه أفصح من ذكره إذا أقيم الدليل، ثم تبعه القزويني و وضح الغرض من حذفه، ثم من تبعهم من علماء البلاغة.

أولا:

أ /حذف المسند إليه: و حذف المسند إليه يشمل " حذف المبتدأ و حذف الفاعل مع إنابة المفعول عنه " و حذفه (فأما لمجرد الاختصار و الاحتراز عن العبث بناء عن الظاهر، و أما لذلك مع ضيق المقام)[3].

حذف المبتدأ: و يستحسن حذفه من ذكره، إذ كان الحذف في موضعه يقول عبد القاهر: فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، و حذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا و أنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، و ترة إضمارة في النفس أول و آنس من النطق به، [4] و يحذف المبتدأ في مواضع شتى يقتضيها المقام نذكر منها:

يكثر في جواب الاستفهام:نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾[5] أي هي نار .

---

[1] – سورة النمل: الآية 12.

[2] – ابن جني: الخصائص، ج 2،ص 364.

[3] – القزويني: الإيضاح، ص 4.

[4] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 152.

[5] – سورة القارعة: الآية 9-10

- **وبعد فاء الجواب** .نحو قوله تعالى:﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[1] .أي فعلمه لنفسه ومن أساء فعليهما ،أي فإساءته عليهما .
- **وبعد ما الخبر صفة له في المعنى**: نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾[2]،بمعني «وهم التائبون...»
- وأما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو دعاء نحو قولك:(**خلق لما يشاء**) فعال لما ريد.
- وأما لاختيار تتنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبه.

2 / حذف الفاعل: ويحذف الفاعل لإغراض مختلفة منها :[3]

- الإيجاز: وهذا أصل فيه. نحو قوله تعالى﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [4] فحذف الفاعل في عوقبتم فقط للإيجاز والاختصار
- وقد يحذف الفاعل ،لأنه جرى مجرى المثل ،نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ. ﴾[5]
- وقد يحذف الفاعل من الجملة عندما تدل عليه قرينة واحة،فيصبح كالمعين الذي تتصرف إليه النفس أول وهلة،كما في قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[6] ولأن الكلام في ذكر الموت لذلك حذف فاعل بلغت ،ولا يبلغ التراقي عند الموت غير النفس ومنه قوله تعالى:﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[7]

فالخالق هو الله هو وحده إذ لا فاعل غيره ،وعليه قوله تعالى:﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[8] وهي علة الحذف قال ابن عاشور:[9] "وبناء فعل قيل للمفعول هنا اختصار لظهور فاعل القول " لأن مثله لما يصدر إلا من الله

- و يحذف للخوف عليه ،أو للخوف منه.

---

[1] – سورة فصلت: الآية 46.

[2] – سورة التوبة: الآية 112.

[3] .- فضل حسن عباس: أساليب البيان ،ص5.

[4] – سورة النحل :الآية 126 .

[5] – سورة إبراهيم: الآية 22.

[6] – سورة القيامة: الآيات26-27.

[7] – سورة النساء: الآية28.

[8] – سورة هود: الآية 44 .

[9] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير،مج ،12، ص78.

وقد يحذف لأغراض أخرى يكشف عنها السياق ،فمثلا في قوله تعالى:﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]

فحذف فاعل لما في الفعل من أدوات التوكيد .

ثانيا :

ا / حذف المسند: وأكثر أنواع المسند حذفا،الفعل والخبر:

أ– حذف الخبر : ويحذف الخبر احترازا عن العبث:

ا – إذا وقع في الجواب الاستفهام نحو قولهم من عندك : زيد أي : زيد عندي.

2– وفي مواضع أخرى نحو : قوله تعالى:﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾[2] أي على طاعة وقول معروف أمثل من غيرهما ،أو أمرنا طاعة وقول معروف

3– إذا عطفت الجملة المحذوفة الخبر على الجملة مكونة من مبتدأ أو خبر نحو قوله تعالى:﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[3] أي دائم.

4– وقد يحذف لوجود دليل عنه ،ومن ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ** عندك راض والرأي مختلف[4]

أراد نحن بما عندنا راضون،وأنت بما عندك راض ،فكف عن خبر الأول إذ كان الآخر دليل على معناه .

ب– حذف الفعل : قسمه ابن الأثير إلى قسمين :[5]

أحدهما يظهر بدلالة المفعول عليه ،كقولهم في المثل " أهلك والليل " ،فنصب " اهلك " و"الليل" يدل على محذوف ناصب ،تقديره " الحق أهلك وبادر الليل" وهذا مثل يضرب في التحذير ،وعليه ورد قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾[6] أي احذروا.

---

[1]– سورة يوسف: الآية 32 .

[2] – سورة محمد: الآية 21.

[3] – سورة الرعد: الآية35.

[4] – عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد ،أبو الفتح العباسي:معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح محمد يحي الدين عبد المجيد ،بيروت ،ص189 .

[5] – نصر الله بن محمد بن محمد جيار الدين بن الأثير ،المثل السائر،ج 2، ص 233–235.

[6]– سورة الشمس: الآية 13 .

- أمّا القسم الآخر : فإنه لا يظهر قسم الفعل ،لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه ،وإنما يظهر بالنظر إلى ملائمة الكلام فما جاء منه قوله تعالى:﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1]،فقوله : " لَّقَدْ جِئْتُمُونَا " أي " ويقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم "،ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] أي فقيل لهم : "أذهبتم طيباتكم " فحذف الفعل أيضا احترازا عن العبث في الآيتين.
- ومن مواضع حذف الفعل احترازا عن العبث ،إذا وقع في جواب الاستفهام .ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[3] ،أي خلقهن.

4 / حذف متعلقات الفعل :

و المفعول به أكثر متعلقات الفعل يجري فيه الحذف ،ويحمل الجرجاني القول فيه بقوله:« وإذ قد عرفت هذه الجملة فأعلم أنّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية ،فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين ،من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا في أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا[4] وهو عنده قسمان:

- **القسم الأول**: حذف المفعول ،لإثبات معنى الفعل لا غير ومثال ذلك قول " الناس": فلان يحل ويعقد،ويأمر وينهى،ويضر، وينفع ،" وكقولهم :" هي يعطي ويجزل، ويقري ويضيف "،المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء عل الإطلاق وعلى الجملة ،من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت :" صار إليه الحل والعقد،وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي ،وضر ونفع " وعلى هذا القياس ،وعليه قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] ،والمعنى : " هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟" من غير أن يقصد النصب على المعلوم.
- **القسم الثاني**: حذف مفعول مقصود ،لدلالة الحال عليه ،وهو قسمان : جليّ لا صنعة فيه ،وخفي تدخله الصنعة.

➤ فمثال الجليّ قولهم (أصغيت إليه) ، وهم يريدون "أذني" و(أغضيت عليه) ،والمعنى " جفني

---

[1] - سورة الكهف: الآية 48 .

[2] – سورة الأحقاف: الآية 20 .

[3] – سورة لقمان: الآية 25.

[4] – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،ص 154- 155.

[5] – سورة الزمر: الآية 90 .

➤ وأما الخفي الذي تدخله الصنعة كقول البحتري:

شجو حساده وغيظ عداه ** أن يرى مبصر ويسمع واع[1]

المعنى لا محالة: أن يرى مبصر محاسنه ،ويسمع واع أخباره وأوصافه .

➤ ويحذف اختصارا واقتصارا (ويراد بالاختصار الحذف لدليل و بالاقتصار الحذف لغير دليل [2] نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾[3] أي أوقعوا هذين الفعلين.

➤ ويكون حذفه لتعميم وأنه يتناول كل ما يصح أن يدخل تحت هذا الفعل وليس ذكر واحد بأولى من الآخر نحو قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [4] أي نستعين على أداة العبادة[5].

➤ ويحذف المفعول (بعد المشيئة ، وبعد لو وبعد حروف الجزاء[6] نحو قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩ ﴾[7]. والتقدير لو شاء أن يهديكم لهداكم . لا يكاد يأتي هذا الأسلوب إلا في الأمور الغريبة المتعجب منها" ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[8] ،فمفعول شاء محذوف ،لدلالة الجواب عليه أي ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما.

- **القسم الثالث:** حذف الموصوف نحو قوله تعالى:﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ ۝٤٨ ﴾[9] أي حور قاصرات .

ويحذف للعلم به،وذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ ﴾[10] أي وهم يعلمون حال من فعل .[11]

---

[1] – ديوان البحتري: ص 84.

[2] – جمال الدين بن هشام :مغني اللبيب ،تح مازن المبارك، محمد علي حمد الله ،دار الفكر ،دمشق، ط6، 1985م،ص190 .

[3] – سورة الطور :الآية 19 .

[4] – سورة الفاتحة :الآية 5.

[5] – الزمخشري: الكشاف،ج 3 ، ص 114 .

[6] – عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ص 164 .

[7] – سورة النحل: الآية 9 .

[8] – سورة البقرة: الآية 20.

[9] – سورة الصافات: الآية 48 .

[10] – سورة آل عمران: الآية 135 .

[11] – الزمخشري :الكشاف،ص116 .

- **القسم الرابع**: حذف الصفة نحو قوله تعالى:﴿ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] أي صالحة،بدليل قوله قبلها " فأرادت أن أعيبها".
- **القسم الخامس**: حذف المضاف: نحو قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾[2] أي: برمن اتقى ،أو ولكن ذا البر من اتقى ويراه ابن جني أنه :(أوسع وأفشى،وأعم وأوفى) [3] وذلك لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع ،والخبر أولى بذلك من المبتدأ لأن الاتساع بالإعجاز أولى منه بالصدور[4] ومنه قوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[5] أي أهلها، وحذف المضاف مكررا نحو قوله تعالى: ﴿ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾[6] أي ،من تراب أثر حافر فرس الرسول.
- **القسم السادس**: حذف المضاف إليه: وقد حذف المضاف إليه نحو قوله تعالى:﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ ﴾[7] أي :من قبل ذلك ومن بعده ،وقولهم : ابدأ بهذا أول ،أي : أول ما تفعل ،ثم شبه الجار والمجرور هنا بالمضاف إليه لمعاقبة المضاف إليه إياهما، وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتخصيص نحو قولك :زيدا ،إذا أردت :اضرب زيدا ونحوه ومنه إياك إذا حذرته ،أي أحفظ نفسك ولا تضعها ،والطريق الطريق وهلا خيرا من ذلك.
- **القسم السابع**: حذف الجملة: فأما الجملة[8]، فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت–وتالله لقد فعلت. وأصله : أقسم بالله فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال– من الجار والجواب– دليلا على الجملة المحذوفة ،وقد حذفت الجملة من الخبر نحو قولك: القرطاس والله ،أي :أصاب القرطاس وخير مقدم :أي :قدمت خبر مقدم ،وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرا فخيرا وإن شر فشرا أي إن فعل المرء خيرا خزي خيرا وإن فعل شرا جزي شرا عليه قول الله سبحانه :﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾[9] أي : فضربت فانفجرت ،وقوله تعالى:﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم

---

[1] – سورة الكهف: الآية 79 .
[2] – سورة البقرة: الآية189 .
[3] – ابن جني: الخصائص، ص286.
[4] – ابن جني :الخصائص ،ص219 .
[5] – سورة يوسف: الآية 82 .
[6] – سوره طه: الآية 96 .
[7] – سورة الروم :الآية 4 .
[8] – ابن جني :الخصائص،ص362.
[9] – سورة البقرة: الآية 60.

مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ ﴾[1] أي: فحلق فعليه فدية وإنّما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابهتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل نحو :ضربت ويضربان، وقامت هند ولتبلونّ في أموالكم ،وحبذا زيد ،وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وكونه معه كالجزء الواحد،وليس كذلك المبتدأ و الخبر.

- **القسم الثامن**: حذف الحرف: منه قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾[2] أي : يا يوسف (فحذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله)

- وأحيانا تحذف العرب ،الحرف،لأن كثر استعماله في كلامهم ،ومن ذلك حذف الحرف" لا" من الفعل " أبرح" لأنه كثر استعماله ومن ذلك حتى صار لسان حالهم ينطقه وحاجة لذكر ومن قول امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أجرح قاعدا ** ولو قطّعوا لديك جسمْي وأوصالي[3]

المطلب الثاني: الذكر

أ / مفهوم الذكر:

بعدما ذكرنا بعض صور الحذف و أسرارها المعنوية نذكر شيئا عما يقابله و هو الذكر، و أظن أنه لا يرد علينا سؤال يقول: إذا كانت البلاغة في الحذف و الإيجاز كما قلتم فكيف تكون البلاغة في الذكر و الإطالة لأن من المعلوم أن للحذف أغراضه التي لا يغنى الحذف غناءه فيها، و أن البلاغة مراعاة المقامات و الأحوال، فالذكر في موطنه بليغ مطابق، و الحذف في موطنه بليغ مطابق و قد قالوا إن يحي بن خالد بن برمك أمر اثنين أن يكتبا كتابا في معنى واحد فأطال أحدهما و اختصر الآخر، فقال للمختصر و قد نظر في كتابه: ما أرى موضع مزيد و قال للمطيل: ما أرى موضع نقصان، و قال للخليل: يختصر الكتاب ليحفظ و يبسط ليفهم، و قيل لأبي العلاء: هل كانت العرب تطيل قال: نعم كانت تطيل ليسمع منها، و نوجز ليحفظ عنها.

على أنّه لا تكون المنافاة بين الذكر و الإيجاز إلا عند النظرة السريعة الدانية، أمّا عند التحقيق فإن الذكر لا ينافي الإيجاز، و أعنى ذكر ما يدل عليه المقام لو حذف لأن وراء ذكر المسند إليه في هذه الحالة دافعا نفسيا و مغذى يحرص المتكلم عليه، فالذكر يحقق قيمة معنوية في الأسلوب، و فوات هذه القيمة عيب في الكلام و إخلال بالمطابقة، و قد يكون الكلام مع الذكر مبنيا على غاية الإيجاز، فليس الذكر الذي يتكلم فيه هو ما

[1] – سورة البقرة: الآية 196 .

[2] – سورة يوسف: الآية 29 .

[3] – ديوان امرئ القيس:ص 137.

يتمدد به الأسلوب حتى يفيض عن المعنى فيصير التعبير فارغا في بعض جوانبه، و إنما هو الذكر الموجز البليغ [1] و إذا نطرت إلى قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[2]، رأيته كلاما في غاية التركيز مع أنه قد كرر الحق و مادة نزل، و كأنه بني على التكرار، و كان كذلك لأن وراء ذكر كلمة الحق في الجملة الثانية مغزى معنويا يفوت لو قلت: و به نزل و سوف نبين ذلك في موضعه إن شاء الله.

أ – فالذكر: لغة:

ورد في معجم الوسيط ذكر الشيء، ذكرا و ذُكرا، و ذكرى، و تذكارا: حفظه، و استحضره، و جدى على لسانه بعد نسيانه.[3]

و ورد في معجم لسان العرب الذّكر: الحفظ للشيء تذكره: و الذّكر أيضا: الشيء يجري على اللسان و الذّكر: جري الشيء على لسانك، و قد تقدم أنّ الذّكر لغة في الذّكر، ذكره يذكره ذِكْرًا و ذُكْرًا، الأخيرة عن سيبويه، لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾[4]

و الذكر في معجم العين الحفظ للشيء تذكره، و هو مبني على ذكر، و الذّكر: جرى الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذكر، و الذّكر الشرف و الصوت لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾.[5]

فالذكر هو حفظ الشيء و تذكره بمعنى الإظهار.

ب – الذكر اصطلاحا:

يرى النحاة أن الأصل في الكلام الذكر و لا يحذف منه شيء إلا بدليل سواء كان هذا الدليل معنويا أي يقتضيه المعنى أم صناعيا أي تقتضيه الصناعة النحوية و سواء تدل عليه قرينة لفظية أم تدل عليه قرينة المقام.

و الذكر في اللغة خلاف الحذف، أي حالة من الوجود، و قد يستخدم بمعنى الإظهار ضد الإضمار.[6]

---

[1] – محمد محمد أبو موسى:خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط4، 1416 هـ 1996 م، ص 180.

[2] – سورة الإسراء: الآية 15.

[3] – المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر و آخرون، ص 313.

[4] – ابن منظور: لسان العرب، مج 6، ص 36.

[5] – الخليل الفراهيدي: معجم العين، مادة " ذكر "، ص 73.

[6] – إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 02 1417 هـ – 1996 م ، ص 570.

- **ذكر الخاص بعد عام:** ذكر الخاص بعد العام هو في علم المعاني نوع من أنواع الإطناب و الغرض البلاغي منه هو التنبيه على فضل الخاص و زيادة التنوية بشأنه، حتى كأنه ليس من جنس العام.
- **ذكر العام بعد الخاص:** ذكر العام بعد الخاص هو في علم المعاني نوع من أنواع الإطناب و الغرض منه هو إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص و يذكر المسند إليه و المسند و غيرهما في العبارة لسبب من الأسباب.[1]

أ / ذكر المسند إليه:

الأصل في المسند إليه أن يذكر في الكلام، و لا ينبغي العدول عنه إلا إذا كان هناك قرينة في الكلام ترجح الحذف و الاحتراز عن العبث، و أهم الدواعي و الأغراض البلاغية التي ترجح ذكر المسند إليه على حذفه هي: [2]

- كون ذكره هو الأصل، و ليس هناك ما يقتضى العدول عنه، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.[3]
- ضعف التعويل على القرينة ; لأنها غير واضحة، أو للاشتباه فيها.

فالأول: و هو أن تكون القرينة غير واضحة، مثاله: أن يذكر المسند إليه في حديث ثم تمضي فترة حتى يطول عهد السامع به، فيذكر ثانيا الاحتمال غفلة السامع لطول العهد به.

و الثاني مثاله أن يذكر المسند إليه في حديث ثم يحول مجرى الحديث إلى غيره، فيذكر المسند إليه ثانيا لئلا يلتبس الأمر على السامع، فلا يعلم المحدث عنه على وجه اليقين، و ذلك كأن يكون الحديث عن المتنبي، ثم يجري الحديث عن شاعر غيره، فإذا ما أردت مدح المتنبي حينئذ قلت: « المتنبي من فحول شعراء العربية ».

- زيادة الإيضاح و التقرير، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾.[4]

ففي تكرير اسم الإشارة زيادة إيضاح و تقرير، لتمييزهم بالشرف عن غيرهم، فكما ثبت لهم الاستئثار بالهدى ثبت الاستئثار بالفلاح. و قوله تعالى: ﴿ .....ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾[5].

---

[1] – بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ص 199.

[2] – السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوتسان، كتاب، ط 1 ، 1427 – 1986، ص 344- 345.

[3] – سورة البقرة: الآية 257.

[4] – سورة البقرة: الآية 5.

[5] – سورة الممتحنة: الآية 7.

- بسط الكلام، حيث يكون إصغاء السامع مطلوبا للمتكلم، لجلال مقامه، أو لقربه من قلبه، كما في الآية: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾.[1]

كان يكفيه في الجواب أن يقول (عصا) و لكنه ذكر المسند إليه لبسط الكلام في هذا المقام حيث يريد أن يطيل في مناجاته لربه، ليزداد بذلك شرفا و فضلا، لذلك زاد على الجواب المطلوب أيضا ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.[2]

- إظهار التعظيم للمسند إليه، إذا كان اللفظ مما يفيد معنى التعظيم، كأن يسألك شخص: " هل رجع علي ؟ " فتقول: " رجع الشجاع المقدم " .

و نحو : " نعم قتل الشاعر الكبير " في جواب من قال : " هل مات الشاعر المتنبي ؟ "

و منه قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.[3]

قصد فيه تعظيم المسند إليه – و هو القرآن الكريم – بالقرب، تنزيلا لقربه من النفس منزلة قرب المسافة و لهذا عبر عنه باسم الإشارة الموضوع للقريب تحقيقا للغرض.

- إظهار تحقيره: نحو " حضر السارق اللئيم أمام المحكمة " في جواب من قال: " هل حضر فلان أمام المحكمة؟ " و قوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾[4]

قصد به تحقير المسند إليه، – و هو الذي يدع اليتيم – بالبعد، تنزيلا لبعده عن ساحة عز الحضور و الخطاب منزلة بعد المسافة.[5]

- إظهار التعجب من المسند إليه، و إذا كان الخبر غريبا، مثل: " محمد يقاوم الأسد " أو " محمد يحمل كذا طنا من الحديد " أو " فلان عبر المحيط ".

- التبرك و التيمن بذكره، نحو " نعم، على نبينا **عليه الصلاة و السلام** هبط الوحي " في جواب من قال : " هل هبط على نبيكم الوحي ؟ "

2 / ذكر المسند :

المسند كالمسند إليه الأصل فيه الذكر، و لهذا لا يعدل عنه إلا لقرينة في الكلام تبرر حذفه، و من الأغراض البلاغية التي ترجح ذكر المسند[1] ما يلي :

---

[1] – سورة طه: الآيات 18.17.

[2] – سورة طه: الآية 18.

[3] – سورة الإسراء: الآية 9.

[4] – سورة الماعون: الآية 02.

[5] – السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن، ص 346.

- زيادة التقرير، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾[2].

ذكر المسند " خَلَقَهُن " مع إمكان تركه لزيادة تقرير خلق السماوات و الأرض، و للتسجيل عليهم و بيان سفاهتهم و عدم جدوى ما يعبدون.

- كون ذكره هو الأصل، و لا مقتضى للعدول عنه، كقوله سبحانه، ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ ذكر المسند الخبر و هو" قَوَّٰمُون " لكون ذكره هو الأصل، و لا مقتضي للعدول عنه "

- التعريض بغباوة السامع، كما في قولك : " محمد نبينا " في جواب من قال : " من نبيكم ؟ " فقد ظهر المسند و هو " نبينا " مع علمه به في قرينة السؤال، للإشارة إلى أنّ المخاطب غبي لا يفهم بالقرينة بدليل أنّه سأل عن نبيّ أجلّ من أن يتوهّم خفاؤه .

- الاحتياط، لضعف التعويل على القرينة، كما في قولك: " العين بصيرة و اليد قصيرة " فلو حذف قوله : " قصيرة " لكان من المحتمل أن يكون للكلام معنى آخر .

- إفادة أنّه فعل، مفيد التجدّد مقيّدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار، و إفادة أنه اسم فيفيد الثبوت لأنّ الاسم بأصل وضعه يفيد الثبوت من غير دلالة على الزمان، نحو:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[3] [البقرة: 9] . إنّ قوله : ﴿يُخَٰدِعُونَ ﴾ ،يفيد التجدّد مرة بعد مرة مقيّدا من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه، كذكر: "الآن" أو "الغد" و قوله تعالى:﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[النساء: 142] يفيد الثبوت من غير دلالة على الزمن و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[4].

فقد ذكر المسند هنا، و هو فعل (يدافع) ليفيد التجدّد كلّما أصاب المؤمنين ضائقة و كرب، و في هذا تسلية و ثبات للمؤمنين، ليثبتوا على إيمانهم.

- ضعف تنبه السامع، نحو: " أصلها ثابت، و فرعها ثابت" إذ لو حذف " ثابت " فلربما لا ينتبه السامع لضعف فهمه.

- الاستلذاذ بذكره، كقولك: " هي ليلى " في إجابة من سألك : " هل هذه ليلى ؟ " تذكر المسند الخبر و هو " ليلى " تلذّذا بذكر اسمها.

---

[1] – السيد جعفر السيد باقر الحسيني :المرجع السابق ص ص347-348- 360-361.

[2] – سورة الزخرف: الآية 9.

[3] – سورة النساء: الآية 142.

[4] – سورة الحج: الآية 38.

- لإفادة تخصيصه بالمسند إليه، و ذلك كقوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ ﴾[1].

فقد ذكر المسند و هو قوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ " مرتين، و لم يقل: "لَهُم فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم ﴾ لأن الهدف أن يبين أنهم كما استحقوا الخزي، فهم كذلك يستحقون العذاب العظيم في الآخرة.

المبحث الثالث: الفصل والوصل

الفصل والوصل من أبرز القضايا المرتكزة على الذوق لما لها من صلة بالمعنى المراد، وهو من الأساليب التي لا تتأتى إلا للعرب الخُلَّص،أو لمن كانت له معرفة تامة ومهارة بفنون اللغة ،وقد احتل هذا الموضوع مكانة رفيعة في المباحث البلاغية وكان له شأن عند البلغاء ،ولكونه دقيق المسلك لطيف المأخذ جعله بعض علماء المعاني حدا للبلاغة،وقصرها عليه،حينما سئل ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل والوصل .ولا يخفي علينا أن عبد القاهر له القدح المعلي في هذا المبحث كغيره من المباحث البلاغية ،فهو أول من أبان فيه ،فقد كان من قبل يعتمد على الذوق،وما روي عن سيدنا أبي بكر **رضي الله عنه**،خير دليل على ذلك حين قوم أحدهم ،حيث قال:" لا عافاك الله"،فقال أبو بكر : قل :" لا وعافاك الله".

وجعله عبد القاهر من أسرار البلاغة ،فقال:«اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ،أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ،نستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة،ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخُلَّص،وإلاّ قوم طبعوا على البلاغة و أوتوا فنّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد،وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّا للبلاغة،فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: " معرفة الفصل من الوصل "،وذاك لغموضه ودقة مسلكه،وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد : إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة،[2] وفي تعليق السّكاكي على قول الأعرابي :إشارة على غموض هذا المبحث،حين قال: وما قصرها عليه لا لأن الأمر كذلك وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن وأن أحدا لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة إلا إذا كان خلف سائر عقبائها خلفه."[3]

[1] – السيد جعفر السيد باقر الحسيني: أساليب المعاني في القرآن، ص 362.

[2] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 222.

[3] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 251.

1 /مفهوم الفصل و الوصل:

أ – لغة:

الوصل لغة:

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي مادة، وصل:((وصل كل شيء اتصل بشيء فيما بينهما وصله،وموصل البعير ما بين عجُزِه وفخذه..... واتصل الرجل أي انسب فقال : يا فلان)).[1]

وفي قاموس المحيط « وصل الشيء والشيء وصلا وصلة بالكسر والضم.... ووصلك الله (بالكسر) لغة والشيء وصلا ووصلة وصله بلغة وانتهى إليه، وأوصله واتصل لم ينقطع»[2].

وفي لسان العرب: « وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران

– الوصل:خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء، يصله وصلا وصلة....واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع».[3]

ودلت هذه اللفظة على التماسك والترابط وعدم الانقطاع.

الفصل لغة:

جاء في كتاب العين مادة(فصل) « الفصل: بون مابين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل »[4].

وفي لسان العرب« فصل ،الفصل: بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل».....

ابن سيدة الفصل: الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل وفصلت الشيء فانفصل أي قطعنه فانقطع... فصل من الناحية أي خرج .وفي الحديث:

من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد،أي خرج من منزله وبلده ،فاصلت شريكي والتفصيل التبيين و فصل القصاب الشاة أي عضاها،والفصل الحاكم ويقال القضاء بين الحق و الباطل ،وقد فصل الحكم وحكم فاصل وفيصل ماض.[5]

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مادة (وصل) ج8، ص 378.377.

[2] – الفيروز أبادي: قاموس المحيط، مادة (وصل) ج1، ص 1380.

[3] – ابن منظور لسان العرب: مادة (وصل)، ج 15، ص 316.

[4] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مادة (فصل)، ج 11، ص 126.

[5] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل)، ج 11، ص 402.

ب – اصطلاحا:

الوصل:هو الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف ،و**الفصل** عدم الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف،[1] وفي هذا التعريف شمول لحروف العطف ،والمتفق عليه هو الربط بالواو فقط،وفي تعريف المراغي له تعريفا دقيقا، قائلا : " الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي على كيفية إيقاع حرف العطف" الواو" في مواقعها ،أو تركها عند عدم الحاجة إليها،[2] إما لأنهما متحدثان صورة ومعنى ،أو بمنزلة المتحدثين ،وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى،[3] ومن جهة أن الجملة الثانية منفصلة عما قبلها ،فلا يحتاج إلى واصل هو الواو.

2 / مواضع الفصل:

يرد الفصل في المواضع مختلفة عن مواضع الوصل،وذلك على حسب ما يقتضيه الحال،ومن مواضعه:[4]

أ – أن يكون بين الجملتين كمال اتصال، بأن تكون الثانية متصلة بالأول اتصالا تاما، وهذا يندرج تحته صورة متعددة :

- كأن تكون الجملة الثانية بدلا من الأول كقوله تعالى:﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ ﴾، [5] فالقول الثاني شارح ومبين للقول الأول.
- أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى ،نحو قوله تعالى:﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ ﴾[6] فقوله:﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾ ،تأكيد لقوله﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾.
- أن تكون الجملة الثانية موضحة ومبنية للأولى، نحو قوله تعالى:﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ ﴾.[7] فقوله تعالى:" قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ "بيان لنوع الوسوسة .

ب –كمال الانقطاع: وهو أن تكون بين الجملتين تباين تام:

---

[1] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 250.
[2] – المراغي: علوم البلاغة، ص 162.
[3] – السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 179.
[4] – يحي بن حمزة العلوي: الطراز، ص 169.
[5] – سورة المؤمنون: الآية 81– 82.
[6] – سورة يوسف: الآية 31.
[7] – سورة طه: الآية 120.

كان يختلفا خبرا وإنشاء، لفظا ومعنا،أو معنى فقط، نحو :خضر الأمير حفظه الله،ونحو قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾، [1] فجملة " وَأَعِدُّواْ" إنشائية،وجملة" تُرْهِبُون "،خبرية.

أو لا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط بل كا منهما مستقل بنفسه- كقولك: علي كاتب الحمام طائر،فإنه لا مناسبة بين كتابة علي وطيران الحمام .

ج – شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة واردة على تقدير سؤال يقتضيه الحال،فترد الجملة مجردة عن الواو ،جوابا له وهذا الغالب قد يكون السؤال مذكورا صراحة في الجملة الأولى،نحو قوله تعالى في قصة سيدنا موسى **– عليه السلام –** مع فرعون:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.[2]

د – من موجبات الفصل، شبه كمال الانقطاع، وهذا أن تكون هناك جملة مسبوقة بجملتين، ويجوز عطفها على الأول منهما ولا يجوز عطفها على الثانية، فيترك العطف حتى لا يتوهم عطفها الجملة القرنية.

هـ – من مواضع الفصل، إذا كان الوصل يخل بالمعنى، وهو أن لا تقصد تشريك الجملة الأخيرة مع ما قبلها ،لأن التشريك يغير المعنى،(كأن يكون للأولى حكم لا يصح إعطاؤه للثانية أو يكون معها قيد يفسد معنى الكلام لو طال الثانية) [3]وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [4] فلو عطفت جملة (الله يستهزئ بهم) لكان هذا من قول المنافقين، فيكون المعنى: (إن الله يستهزئ بالمؤمنين كذلك).[5]

3 / مواضع الوصل:

ولا تكمل بلاغة الوصل إلا إذا كان" بالواو" العاطفة فقط دون بقية حروف العطف،لأنها الأداة التي تخفي الحاجة إليها ، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك،إذ لا تفيد إلاّ مجرّد الربط ،وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم.[6]

---

[1] – سورة الأنفال: الآية 60.

[2] – سورة الشعراء: الآية 23- 24.

[3] - قليقة: البلاغة الاصطلاحية، ص 258.

[4] – سورة البقرة: الآيات: 15.14.

[5] – فضل حسن عباس: أساليب البيان، ص 202.

[6] – السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 180.

نحو :مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل ،وقم واسع في الخير، بخلاف العطف بغير " الواو" فيفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب مع التعقيب في " الفاء" وكالترتيب مع التراخي في "ثم" وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة وشرط العطف " بالواو" (أن يكون بين الجملتين جامع)[1] كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتب ،وكالمضادّة: في نحو : يضحك ويبكي وإنما كانت المضادّة في حكم الموافقة ،لأنّ الذّهن يتصور أحد الضربين عند تصور الأخر، "فالعلم" يخطر على الباب عند ذكر" الجهل" كما تخطر الكتابة عند ذكره القراءة. والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعا فلا يقال: خليل قام ،والبعير ذاهب ،لعدم الجامع بين المسند إليهما كما يقال: سعيدى عالم ،وخليل قصير لعدم الجامع بين المسندين.

و الجمل المعطوف بعضها على بعض ضربان:[2]

1/ أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الإعراب ،وحكم هذه حكم المفرد ،لأنها لا تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه، (وإذا كانت الجملة الأول واقعة موقع المفرد ،كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد ،وكان وجه الحاجة إلى " الواو" ظاهرا ، والاشتراك بها في الحكم موجودا) .[3]

2/ ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتحت هذه نوعان:

أ – أن تتفق الجملتان خبرا وإنشاء، وتكون بينهما مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع، فمثال الخبريتين.قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِی نَعِیمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [4] ومنه قول رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن- أو تملأ – مابين السماوات والأرض..... »[5].

ب – أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء.لكن لو ترك العطف لأوهم خلاق المقصود.كما تقول: لا وشفاه الله جوابا لمن سئالك هل شفي صديقك؟ فترك الواو حينئذ يوهم الدعاء عليه مع أن المقصود الدعاء له، ومثله ما روي عن أبي بكر الصديق **رضي الله عنه** مرّ برجل في يده ثوب ، فقال له الصديق : أتبيع هذا؟ فقال: (**لا يرحمك الله، فقال له: لا تقل هكذا وقل لا ويرحمك الله**)،[6] ولم يكن يعرف بالوصل آنذاك.

---

[1] – السّكّاكي: مفتاح العلوم، ص 201.

[2] – المراغي :علوم البلاغة، ص 163.

[3] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 223.

[4] – سورة الانفطار: الآيات، 14.13.

[5] – صحيح مسلم: باب فضل الوضوء، ج 1، ص ص 223، 203.

[6] – الجاحظ: البيان و التبيين، دار الكتب العالمية، بيروت، ط2 ، 1424هـ ،ص 219 .

4 / بلاغة الوصل:

من بلاغة الوصل، والتي اعتبرها البلاغيون من محسنات الوصل ،تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية . وتناسبها في المضي والمضارعة ،وفي الإطلاق والتقييد،إلا لمانع ولا يحسن العدول عن ذلك في الوصل إلا لغرض[1] ومن ضمن الأغراض:

1- أن يقصد التجدد في إحدى الجملتين والثبات في الأخرى، نحو: أقام محمد وعلي مسافر

2- أن يراد الإطلاق في إحدى الجملتين والتقييد في الأخرى،نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2] فالجملة الأول هي" لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ" وهي مطلقة، والجملة الثانية وهي :" وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا " مقيدة لأن شرط " لو" مقيد للجواب" لقضي الأمر .

5 / أدوات الوصل:

➤ من أدوات الوصل نجد الواو وله منزلة أهم من جميع الأدوات وذلك: أنه إنما يعرض الأشكال في الواو دون غيرها من الحروف وذلك كما يقول الجرجاني : لأنها تقيد مع الإشراك معاني عدة: مثل أن " الفاء" توجب الترتيب من غير تراخ و"ثم" توجه مع تراخ ، و" أو" تردد الفعل بين الشيئين وتجعله لأحدهما بعينه وليس "للواو" معنى سوى الاشتراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول ولا يتصور اشراك بين شيئين ،حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك وإذا كان كذلك ثبت أشكال المسألة.[3]

أ – الواو تجمع بين التشابهات: في قولة تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٣٥﴾ ﴾[4] [الأحزاب:35].

ب– الواوات المتداخلة: في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾[5] [الحديد: 03]

---

[1] – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 132.

[2] – سورة الأنعام: الآية 8.

[3] – سورة الأحزاب: الآية 33.

[4] – سورة الحديد: الآية 03.

[5] – الزمخشري: أساس البلاغة، ص 150 .

أي أنّه تعالى الأول القديم الذي كان من قبل كل شيء والأخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالأدلة الدالة عليه والباطن لكونه مدرك الحواس أما بالنسبة للواوات:

فالواو والأول معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والأخرى والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليتين ومجموع الصفتين الأخيرتين فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآنية، ويكمل الزمخشري حديثه قائلا :" وفي هذا حجة على من جوز إدراكه الآخرة بالحاسة."

د- واو الحال: هي واو العطف استعيرت للوصل في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ ﴾.[1] [البقرة: 247]

- والو الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا.

هـ- الواو لتوكيد معنى النفي: في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ۝٢١ ﴾[2].

➢ الوصل بـ:" ف "

أ- يفيد التسبب والتعقيب:

في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤ ﴾[3] فتفيد الفاء الأول للتسبب لأن الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب والثالثة تتعلق بمحذوف.

ب- تفيد الشرطية: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾[4] دخول الفاء ضمنتها الشرط

ج- تفيد المفاجأة: قوله تعالى:﴿ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ ﴾[5]

يقول الزمخشري:هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة خاصة إذا نظم إليها الالتفات وحذف القول.

➢ الوصل بـ" ثم" : وتفيد معاني عدة منها:

أ- التراخي في الحال: في قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾[1]

---

[1] - سورة فاطر: الآية 19.

[2] - سورة فاطر : الآية 21- 19

[3] - سورة البقرة: الآية 54.

[4] - سورة المائدة: الآية 38.

[5] - سورة الفرقان: الآية 19.

معناها التراخي في الحال .

ب- الاستبعاد:الاستبعاد يكون إذا كان ما بعد "ثم" أمرا مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها مثل قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾[2]

➤ **الوصل بـ" أو"** : " أو" في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتبع فيها فتغيرت للتساوي في غير الشك وذلك قوله :« جالس الحسن أو ابن سيرين» ويقصد بهما سيان في استصواب أي يجالس.

➤ **على:** تفيد الاستعلاء، في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[3].

➤ **لام الجر:** كقوله تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾[4] ومعناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزائهم وإنكارهم .

➤ **إلى:** كقوله تعالى:﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5] [لقمان:22].

قد عدّى بـ" اللام" ومع اللام جعل وجهه هو تأته سالما لله أي خالص له ومع " إلى" أنه أسلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا أدفع إليه، والمراد المتوكل عليه والتفويض إليه .

➤ **قد:** تدل على التوقع وإذا دخلت على المضارع بمعنى" ولما فوافقتها في الخروج إلى معنى التكثير ومثل قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[6] أدخل " قد" ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين و النفاق، و مرجع توكيد العلم إلى توكيد الوكيد.

➤ **ربما:** و تكون بمعنى التقليل، كما في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[7]

➤ **"أن" و " إذا "** : يقول الزمخشري: " أن " للشرط المشكوك فيه، و (إذا) للشرط المتيقن مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾[1]

---

[1] – سورة هود: الآية 1.

[2] – سورة السجدة: الآية 22.

[3] – سورة البقرة: الآية 143.

[4] – سورة يونس: الآية 02.

[5] – سورة لقمان: الآية 22.

[6] – سورة النور: الآية 64.

[7] – سورة الحجر: الآية 2.

6 / أدوات الفصل:

➢ **ضمير الفصل:** قال سيبويه في باب ما يكون فيه:" هو أن وأنا ونحن وأخواتهن،فصلا"

اعلم أنهن لا يكنّ فصلا إلاّ في الفعل ولا تكون كذلك إلا في كل اسم، الاسم الذي بعده بمنزلة في حال الابتداء، واحتياجه إلى ما بعده كاحتياجه إليه في الابتداء،فجاز هذا في هذه الأفعال التي تأتي الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء إعلاما بأنه قد فصل الاسم،وإنه فيما ينتظر المحدث ويتوقعه منه،مما لا بد له أنا يذكره المحدث لأنه إذا ابتدأت الاسم فإنها تبدئه لما بعده...[2]

وجاء في مثال المبرد لضمير الفصل:" كان زيد هو العاقل" ويسميه الكوفيون(العماد) لأنه يعتمد عليه في الفائدة.

➢ **الجملة المعترضة:** تعتبر من طرق الفصل بين أو كان الجملة الواحدة،وبين الجملة والجملة يقول عبد القاهر الجرجاني: اعلم أن هذا القبيل من العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام،وهو جار عندهم مجرى التوكيد،فلذلك لا ستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، وغير ذلك،مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذا أو متأولا"[3] قال سبحانه وتعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾[4] فهذا فيه اعتراضات،أحدهما قوله تعالى:﴿.وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾....والآخر قوله تعالى:﴿ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾فهذان اعتراضات،ولوجاء الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم،وإنه لقرآن كريم،وإنه لقسم لو تعلمون .

➢ **طرح الواو:** وهو المشهور وتجد مثلا في قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾.[5]فلقد فصل بين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ و ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ الجملة الثانية توكيدا معنويا للجملة الأولى.

➢ **الاستثناء المتقطع:** ذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[البقرة: 78] ويقول : ويخرج" إلاّ" ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن

---

[1] – سورة الأعراف: الآية 131.

[2] – منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم–دراسة في الأسلوب،ط2 ،1997،ص38.

[3] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص225.

[4] – سورة الواقعة: الآيات 77 –75.

[5] – سورة البقرة: الآية1.

غير نوعه،ويسمى ذلك بعض أهل العربية" استثناء" منقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد "إلاّ" عن معاني ما قبلها[1] .

المبحث الرابع :الإيجاز والإطناب و المساواة

المطلب الأول :الإيجاز

أ / مفهوم الإيجاز:

أ – لغة:

لقد ورد معنى الإيجاز في المعجم الوسيط أنه اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع بلاغته: يقال لغة: أوجز الكلام إذا جعله قصيرا ينتهي من نطقه بسرعة،وجز في منطقه:« يوجز وجزا و وجازة وجز فيه ،والكلام قصر في بلاغة فهو وجيز و وجز،وأوجز الكلام قل في بلاغة وفي الأمر أسرع فيه ولم يطل ،وفي كلامه قلله واختصره والعطية قللها وعجلها[2] وعرفه الجرجاني بقوله :« أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارف».[3]

ونجد في سنن ابن ماجة في أحد أحاديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أن هناك رجلا قال للرسول **صلى الله عليه وسلم**: عظني وأوجز فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**:" إذا قمت في صلاتك فضل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا وأجمع الإياس مما في أيدي الناس"،فقوله أوجز: أي اقتصر على خلاصة الأمر ليكون الكلام مختصرا موجزا لفظا جامعا للعلم الكثير معنى فوعظه الرسول **صلى الله عليه وسلم** بهذه الفقرات الثلاث،وأوجز له فيها. [4]

ب – اصطلاحا:

الإيجاز يعني: اندراج المعاني الكثيرة تحت الفظ القليل وقد رأى البلاغيون أن الألفاظ القليلة فيه يجب أن تفي بالمراد مع الإبانة والإفصاح وتناسقها مع حال،المخاطب. مثاله قوله تعالى :﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ

---

[1] – منير سلطان: الفصل والواصل في القرآن الكريم ، ص39.

[2] – مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط، مادة وجز.

[3] – التعريفات: للجرجاني ،ص 32.

[4] – سنن ابن ماجة ، باب الحكم، ج 2،ص 1396.

وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: 199] .فلقد جمعت الآية على قصرها مكارم الأخلاق جميعا دون إخلال أو حذف ملبس[1] .

ومصطلح الإيجاز يدور أيضا حول تأدية المعنى المقصود من الكلام بعبارات قليلة،فعرفه بعضهم بقولهم: « هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط» وقيل بتعريف أشمل :« هو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير واف بالمقصود عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدلالات الكثيرات كالأمثال والكليات من الكلمات أو عن طريق استخدام مجاز الحذف لتقليل الكلمات المنطوقة والاستغناء بدلالة على ما حذف» [2] .

فإذا لم يكن الكلام وافيا بالدلالة على المقصود كان الإيجاز فيه إيجازا مخلا- إذا رافق التقصير في الألفاظ تقصير في المعنى الذي أراد المتكلم التعبير عنه والإيجار قسمان:

القسم الأول:

أ – إيجاز القصر: وهو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل [3] ومثال قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: 199].فقد احتوت هذه الكلمات على جميع مكارم الأخلاق ومنه قوله تعالى:﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: 7-8].

وقد وضعها رسول الله –**صلى الله وعليه وسلم** –عن الحمر- قال : «**ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة**»[4] .

« أمّا كونها فاذّة فمعناه أنها منفردة فيما دلت عليه من معنى لم يأت في القرآن نظيرها بهذا الإيجاز الجامع،وأمّا كونها جامعة فمعناه أنها شاملة عامة تتناول كل عمل صغيرا كان أو كبيرا خيرا أو شرا فهي من جوامع الكلم[5]

ومن إيجاز القصر قوله تعالى:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة البقرة: 179].

فقد تضمنت هذه الآية معاني كثيرة –إذ جعلت في قتل القاتل حياة وذلك " أن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل،ارتدع عن القتل فنسلم صاحبه المهموم تقبله فصارت حياته في المستقبل مستفادة بالقصاص"[1]

---

[1] – محمد أحمد قاسم و محي الدين ديب : علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة طرابلس، لبنان ، 2003 ص 357.

[2] – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني: البلاغة العربية، 2ج، ص 28.

[3] – يحي بن حمزة العلوي: الطراز، ص 49.

[4] – صحيح البخاري باب الأحكام التي تعرف بالدلائل 9/ص 109– القائدة:يقال كلمة فادة شاذة–(الفذ: الفرد والمنفرد في مكانته أو كفايته والأول من قداح المسير– المعجم والوسيط :فذ عبد الرحمان الميداني)

[5] – بكري شيخ أمين :البلاغة العربية ،ج 2،ص33 .

القسم الثاني:

ب – إيجاز الحذف: ويتحقق بأداء المعنى مع حذف شيء من التركيب تدل عليه قرينة ،والمحذوف أنواعه كثيرة فيما سبق .[2]

المطلب الثاني:الإطناب

1 / مفهوم الإطناب:

أ – لغة:

الإطناب في اللغة: جاء في معجم المصطلحات العربية أنه أداء المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة ،وأعطى مثلا عليه قوله تعالى:﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر 4] . فالإطناب هنا بذكر الخاص " الروح أي جبريل " بعد العام الملائكة والفائدة:تعظيم جبريل والتنويه بشأنه،أي أن الإطناب في اللغة هو التطويل ،وأطنب في كلامه : بالغ فيه وطول ذيوله [3] .

و قد عرّفه الجرجاني بقوله: « أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة »[4]

و الإطناب يدور حول معنى الإطالة و الإكثار و الزيادة عن المعتاد، قال ابن منظور الإطناب" البلاغة في المنطق و الوصف، مدحا كان أو ذما فأطنب في الكلام بالغ فيه و الإطناب: المبالغة في مدح أو ذم و الإكثار فيه و المطنب: المداح لكل أحد و أطنب في الوصف إذا بالغ و اجتهد و أطنب في عدوه إذا مضى فيه باجتهاد و مبالغة ".[5]

2 / أقسامه (صوره):

أ – **الإيضاح بعد الإبهام:** و هو أن يؤتى بالمعنى مبهما أولا، و موضحا ثانيا ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن

---

[1] – الرّازي: نهاية الإيجاز في دارية الإعجاز ،ص 324 .

[2] – عيسى علي العاكوب: علوم البلاغة، ص 324 .

[3] – وهبه المهندس: معجم المصطلحات العربية والأدب، ص س1.

[4] – الجرجاني: التعريفات ، ص 32.

[5] – ابن منظور: لسان العرب ، باب طنب.

و كان شعورها به أتم[1] و من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [الصف: 10-11] . ففي الفقرة الأولى من الآية أتت كلمة " تجارة...." مبهمة، ثم فصلت في الفقرة الثانية منها بقوله : « تؤمنون بالله و رسوله ... »

- كما قال البحتري:

لما مشين بذي الأراك تشابه ** أعطاف قضبان به و قدود

في حلتي صبر و روض فالتقى ** و شيان و شيء رُبَّى و شيء برود[2]

ب – عطف الخاص على العام للتشبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنسه كقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة: 238] فالصلاة الوسطى داخلة في عموم لفظ " لصلوات" لكن خُصّت بالذكر و عطفت على عموم الصلوات اهتماما بشأنها و توجيها لتخصيصها بعناية فائقة خاصة.[3]

ج – عطف العام على الخاص للدلالة على الاهتمام بالخاص بذكره مرتين، نحو قوله تعالى:﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [نوح:28] . فذكر المؤمن أولا ثم ضمنه ثانيا في المؤمنين و المؤمنات اهتماما به.

د – الإيغال: و هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى من دونها كالمبالغة في التشبيه أو تحقيقه أو زيادة الحث و الترغيب[4]، و من الإيغال للمبالغة في التشبيه.

قول الخنساء:

و إن صخرا لتأتم الهداة به ** كأنه علم في رأسه نار

فشبهت صخرا بالجبل في الظهور و الارتفاع، و لم تكتف ذلك فزادت عليه أن في رأس الجبل نار مبالغة في الظهور و الوضوح و من الإيغال الذي يفيد تحقيق التشبيه.[5] ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ۝٦٦ ﴾ [سورة : 66]، فقوله تعالى:" أن دابر هؤلاء " تفسير لذلك الأمر تفخيما لشأنه ولو قيل وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، لم يكن له من الروعة مثل ما كان له حين الإبهام.[6]

---

[1] – محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 196.

[2] – ديوان البحتري مع مقدمة في سيرته و شعرية، دار النشر الشركة العالمية للكتاب، سنة 1996، ص 4.

[3] – عبد الرحمان الميداني : البلاغة العربية ، ص 29.

[4] – عبد المتعال الصعيدي: نعته الإيضاح لتلخيص المفتاح، ص 35.

[5] – ديوان الخنساء: شرح حمدو طماس، ط 2، دار المعرفة ،بيروت، 1425-2004 م، ص 42.

[6] – أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة ، ص 192 .

ومن ضروب الإيضاح بعد الإبهام باب " نعم و بئس"،إذا كان المخصوص خبرا مبتدأ محذوف إذ لو أريد الاختصار لقيل نعم محمد و بئس أبو لهب عوضا من قولك : نعم الرجل محمد و بئس الرجل أبو لهب.

ومنه التوشيع :وهو أن يؤتى بمثنى مفسر يا سمين معطوف أحدهما على الآخر[1]وفي الجمع مفسر بأسماء"[2] وبذلك يرى المعنى في صورتين يخرج فيهما من الإبهام إلى الإيضاح،ومن أمثلة ذلك : قول رسول الله **صلى الله عليه وسلم**:« **خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق**»[3] لقول الشاعر:

إذا أبو القاسم جادت لنا يده ** لم يحمد الأجودان البحر والمطر

وإنْ أضاءتْ لنا أنوار غرته ** تضاءل النيران الشمس والقمر

وقول الآخر:

سقنني في ليل شبيه بشعرها ** شبيهة خديها بغير رقيب

فما زالت في ليلين شعر وظلمة ** وشمسين من خمر و وجه حبيب[4]

فسر الليلين بـ الشعر والظلمة" والشمسين" ب: الخمر ووجه الحبيب .

وقال زهير بن أبي سلمي:

كأن فتات العهن في كل منزل ** نزلن به حب الفنا لم يحطم

شبه قطع الصوف بمنازلهن بحب الفنا وزاد عليه بان جعله غير محطم[5]،لأن حب الفنا أحمر الظاهر وأبيض الباطن فهو لا يشبه،الصفوف إلا إذا كان غير محطم التكرير لداع بلاغي،كقول عنترة بين شداد:

يدعون عنتر والرماح كأنها ** أشطان بئر في لبان،الأدهم

يدعون عنتر و السيوف كأنها ** لمح البوارق في سحاب مظلم[6]

فكرر عبارة يدعون عنتر في البيتين إذ قصد الافتخار بشجاعته،وبطلب الفرسان له في أحرج موافق،القتال والدواعي البلاغية للتكرار متعددة منها ما يلي:[7]

---

[1] – عيسى علي العاكوب: علوم البلاغة ،ص 333.

[2] – محمد بن عبد الرحمان الجلال الدين الغزوني: الإيضاح في علوم البلاغة ،ص 199.

[3] – سنن الترميذي: باب ما جاء في الدخيل، ص 334.

[4] – نسبا لابن الرومي وقيل لأبي الحسن البغدادي، ووردا في البديع في نقد الشعر،لأبي المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد الكناني الكلي،تح أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد،الجمهورية العربية المتحدة ص 65 .

[5] – ديوان زهير: تح حمدو طاس ،دار المعرفة بيروت ،ط2، 1426هـ- 2005م، ص 22.

[6] – عيسى على العاكوب: الكافي في علوم البلاغة ،ص 335.

[7] – عنترة بن شداد ابن عمرو بن معاوية ابن فراد العبسي الأعلام للزركلي، ديوان عنترة خليل الخوري ،مطبعة الآداب للأمين الخوري، 1893 م ،ص 83.

1 – تمكين المعنى وتأكيده في نفس المتلقين،وزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة إذا كان البيان يقتضي ذلك،نحو قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر: 3-4].

2 – التنويه بشأن المتحدث عنه أو النيل منه ،كقول جرير:

هو القين وابن القين لاقين مثله ** لقطع المساحي أو لجدل الأداهم[1]

3 – ملانية المخاطب لقبول الخطاب نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ ﴾ [غافر: 38-39] "كرر يا قوم" تليينا لقلوبهم وإظهار لإخلاصه لهم في النصح .

4 – المبالغة في التوجع و التحسر : كقول الشاعر:

فيا قبر معن أنت أول حفرة من ** الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده ** وقد كان منه البر والبحر ومنرعا[2]

كرر الشاعر " يا قبر معن " تعبيرا عن تحسره وتوجعه.

5 – التكرار لطول الفصل:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾ [يوسف: 4] كرر " رأيت" لطول الفصل في الكلام.

6 – الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء ،الكلام أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام[3] ومن دواعيه البلاغية:

- التنويه نحو قوله تعالى:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧ ﴾ [النحل: 57]،فقوله سبحانه عبارة معترضة لا محل لها من الإعراب الغرض منها تنزيه الله سبحانه وتعالى أن يكون له البنات.
- و من دواعي الاعتراض، الدعاء نحو قول الشاعر:

إنْ تمّ ذا الهجر –يا وظلم ولا تم ** فمالي في العيش من أرب[4]

في هذا البيت اعترض بين الشرط وجوابه بنداء من يحب والمبادرة إلى الدعاء بأن لا يتم مضمون الشرط

- و منه التنبيه على أمر نحو قول الشاعر:

---

[1] – عبد الرحمان الميداني: البلاغة العربية، ص71.

[2] – محمد بن عبد الرحمان جلال الدين الغزوني : الإيضاح في علوم البلاغة ،ص 182.

[3] – عبد الرحمان الميدان: البلاغة العربية، ص 80.

[4] – عباس بن الأحنف:الأرب:الحاجة أو الحاجة الشديدة والبغية والأمنية يقال بلغ أربه ونال أربه–المعجم الوسيط"أرب".

واعلم- فعلم المرء ينفعه ** أن سوف يأتي كل ما قدرا

قوله: " فعلم المرء ينفعه" اعتراضا جيء به للتنبيه لفضل العلم .

- ومنه الاستعطاف. نحو قول المتنبي:

و خفوق قلب لو رأيت لهيبه ** يا جنتي – لرأيت فيه جهنّما [1]

فقوله " يا جنتي" جملة معترضة، القصد منها الاستعطاف.

7- التذليل: وهو الإتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التي تشمل على معناها لتأكيد وهو ضربان:

- أن يخرج مخرج المثل بأن يقصد بالجملة، الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال في فشو الاستعمال نحو قوله تعالى:﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:81].

- ألا يخرج مخرج المثل بألا يستقل بالإفادة دون ما قبله،منه قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ:17].

8 – الاحتراس أيضا : وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المراد بما يدفعه وهو ضربان:[2]

- أن يتوسط الكلام: كقول الشاعر:

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى ** في الحسن-عند موفق- لقضى لها[3]

إذ التقدير : عند حاكم موفق-فقوله موفق- تكميل ومنه قول طرفه بن العبد:

فسقى ديارك-غير مفسدها ** صوب الربيع و ديمة تهمي[4]

قوله : غير مفسدها احتراس،لأن سقيا الديار بمطر كثير قد يفسدها ،فدفع هذا الإيهام بالاحتراس الذي جاء به.

- أن يقع في آخر،الكلام.كقول أبي الطيب:

أشدّ من الرياح الهوج بطشا ** وأسرع في الندى منها هبوبا [5]

فقوله: وأسرع في الندى منها هبوبا أزال به الوهم – فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش – لأوهم ذلك أنه عنف كله،ولا لطيف عنده.

---

[1] – شرح ديوان المتنبي تح عبد الرحمان البرقوقي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ص 143 .

[2] – عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، ص 355 .

[3] – محمد بن عبد الرحمان: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 201 .

[4] – ديوان طرفه بن العبد: تح عبد الرحمان البسطاوي وحمدو وطماس، دار المعرفة، بيروت ،ط1، 1433هـ - 2003م ص82 .

[5] – ديوان أبي الطيب، دار بيروت للطابعة والنشر،1403هـ-1983م ،ص 90 .

9 – التنميم : وهو أن يؤدي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة يفيد نكتة[1] كالمبالغة في قوله تعالى:

﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾[الإنسان: 8]

أي : مع اشتهائه والحاجة إليه .

المساواة:

المساواة هي إحدى الطرق الثلاث التي يلجأ إليها البليغ للتعبير عن كل ما يجول بنفسه من خواطر وأفكار.

وإذا كان الإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح،و إذا كان الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ،فإن المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ،والألفاظ بقدر المعاني،لا يزيد بعضهما على بعض [2]

إذا جاء التعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللفظ متساويا، والأصل ذلك المعنى، فهذا هو المساواة[3] كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾[4] .

لما كان موضوع المساواة مائج الأطراف، متداخل الحدود مع الإيجاز و الإطناب ،لامزية فيه عند المحقّقين من علماء البلاغة كالسّكاكي الذي سماه" متعارف الأوساط[5]،وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم" آثرنا أن لا نطبق عليه أمثلة من سورة سبأ ميدان دراستنا هذه،رغبته في السلامة ولأنه–في نظرنا– معدوم الفنية ،التي هي روح البلاغة، وسرّ حياتها،وقد وجدنا نظر البلاغيين فيه نسبيّا فتطبيقاتهم فيه، منها ما وجدناها داخلا في الإيجاز،ومنها ما هو داخل في الإطناب.

---

[1] – أحمد مصطفى المراغي :علوم البلاغة، ص 196.

[2] – بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ص 202 .

[3] – السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص243.

[4] – سورة فاطر: الآية 43 .

[5] – السّكاكي :مفتاح العلوم، ص276.

المبحث الخامس :التعريف والتنكير

التعريف و التنكير:

مدخل:

نالت مسألة التعريف و التنكير اهتماما كبيرا عند البلاغيين، فلا يكاد يخلو منها كتاب في البلاغة قديما أو حديثا، و بدأت هذه المسألة كغيرها من مسائل البلاغة غير مقننة أو منضبطة وما هي إلا شذرات هنا و هناك، يرجع الحكم فيها إلى الطبع السليم و الذوق الرفيع، كما نرى عند الجرجاني في دلائله و الزمخشري في تفسيره.

و بعد ذلك أخذت هذه المسالة بالانضباط و التعقيد، فإذا هي قواعد محددة ،و مسائل مرتبة، وبدأ هذا التقنين منذ السّكاكي في كتاب المفتاح حيث خصص القسم الثالث منه لعلوم البلاغة، ثم جاء القزويني فلخص الجزء الثالث من المفتاح و هذبه في كتاب التلخيص، ثم وضح توضيحا لهذا الملخص في كتاب الإيضاح، و استمر الأمر فيمن تلاه ما بين شارح و مختصر و ناظم لهذا الفن من خلال المفتاح وتلخيصه و إيضاح التلخيص

وتناول البلاغيون هذه المسالة ضمن علم المعاني عند حديثهم عن أحوال المسند إليه و المسند، و بدؤوا بالمسند إليه، فتناولوا تعريفه أولا ثم تنكيره، على خلاف النحويين الذين كانوا يبدوان بالتنكير لأنه الأصل عندهم ثم التعريف لأنه فرع التنكير، و يبدو أن البلاغيين بدؤوا الحديث عن التعريف لأن الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة، ثم تناولوا المسند متحدثين عن تعريفه و تنكيره .

و اعتمد البلاغيون في ذلك على بيان الوظائف و الدلالات التي تستعمل من أجلها كل من المعرفة و النكرة، فتناولوا الضمائر و الوظائف التي تأتي من أجلها ثم العلم مبينين وظائفه و دلالاته وهكذا باقي المعارف.... ثم انتقلوا إلى التنكير وبينوا وضائفه و دلالاته.... ثم انتقلوا الى المسند وكان الحديث فيه مقتضبا لأن أكثر الدلالات تم تناولها في المسند إليه و هي منطبقة على القسمين.

و تناول البلاغيين لهذه المسالة ضمن المسند و المسند إليه لا يعني أن هذه الدلالات منحصرة فيهما و لا تكون في غيرهما، و لم يكن هذا قصدهم، بل هي عامة فيهما و في باقي أجزاء الجملة، و كانوا يمثلون كثيرا بأمثلة من غير هذين البابين مع الإشارة لذلك غالبا، و قال القزويني مصرحا بعدم الانحصار:«كثيرا مما في هذا الباب و الذي قبله غير مختص بالمسند و المسند إليه ،كالذكر، و الحذف، و الفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما»[1].

[1] – القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، ص 194.

1 / مفهوم التعريف والتنكير

أ – لغة :

المعرفة لغة:

ترجع هذه الكلمة إلى الجذر الثلاثي (عرف)، يقال: عرفه يعرفه عرفة و عرفانا و عرفانا و معرفة، و اعترفه إذا علم به، و العرفان: العلم، و رجل عروف و عروفة: عالم بالأمور لا ينكر أحدا رآه مرة، و تعارف القوم إذا عرف بعضهم بعضا.

و **المعارف**: جمع معرف و هو الوجه، لأن الإنسان يعرف به، و معارف الأرض: أوجهها و ما عرف منها.[1] و المعرفة: التصور و الإدراك،[2] قال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرحمان: 41].

من خلال ما سبق نرى أن معاني الكلمات المشتقة من الجذر (عرف) تدور حول العلم و الإدراك فالمعرفة هي: العلم بالشيء و هي إحدى مصادر الفعل (عرف) و اسم مصدر للفعل (عرّف)، استعملت استعمال الأسماء، فيقال: هذا شيء معرفة أي معروف.

النكرة لغة :

ترجع هذه الكلمة إلى الجذر الثلاثي (نكر)، يقال: فلان ينكر نكرا، و نُكرا، و نكارة: فطن و جاد رأيه فهو نَكِرٌ و نُكُرٌ و نَكْرٌ و مُنْكَرٌ، و الجمع: أنكار و مناكير، و النَّكْرَ و النَّكْرَاءُ: الدهاء و الفتنة، و الأمر الشديد الصعب.

و نَكَّرَ الشيء: غيره بحيث لا يعرف، قال تعالى: «﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل 41] .

و الإنكار: الجحد و هو خلاف الاعتراف، يقال: أنكرت الشيء و نكرته.و نكر الأمر نكيرا و أنكره إنكارا: جهله، و النكرة: إنكار الشيء و هي نقيض المعرفة، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود 70] .

و النكرة أيضا ما يخرج من الحولاء و الخراج من دم و قيح كالصديد، يقال: أسهل فلان نكرة و دما و ليس له فعل مشتق.[1]

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ج 99، ص 282- 285 .

[2] – الجرجاني: التعريفات ، ص 22.

من خلال ما سبق نرى أن كلمة (نكرة) وردت في اللغة بمعنيين:

أ – ما يخرج من الحولاء من دم و قيح.

ب – الجهل و عدم المعرفة.

و هي مصدر الفعل (نكرة)، و اسم مصدر للفعل (نَكَّرَ) استعملت استعمال الأسماء، فيقال: هذا شيء نكر أي منكور بمعنى مجهول غير معروف.

ب – اصطلاحا :

المعرفة اصطلاحا:

لا نجد عند خليل الفراهيدي حدا واضحا للمعرفة، و لكنه عرف النكرة بقوله: « نقيض المعرفة »[2]

و بناءا على ذلك تكون المعرفة نقيض النكرة، و هذا كلام ظاهري و ليس بحد اصطلاحي لأنه أراد المعنى اللغوي.

و كذلك لا نجد عند سيبويه حدا معينا للمعرفة فهو يكتفي بتعداد المعارف متبعا كل نوع سبب تعريفه فيقال – بعد العلم و مثلا – : (لأنه أسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته)[3]، و بناء على ذلك تكون المعرفة عند سيبويه: ما دل على شيء بعينه من الجنس، و حول هذا دارت حدود اللاحقين كما سنرى.

و نجد الفراء يستخدم كلمة (موقَّت) بمعنى معرَّف، فقال في موضع: « و لا يجوز أن تقول : مررت بعبد الله غير الظَّريف إلا على التكرير، لأن عبد الله موقَّت و (غير) في مذهب نكرة غير موقَّتة».[4]

و إذا إنتقلنا إلى المبرد نجده يضع حدا صريحا للمعرفة فهي: « ما وضع على شيء دون ما كان مثله»[5]

و يبدو أنه أول من وضع حدا صريحا لها خلافا لما ذهب إليه بعض المحدثين من أن الرماني هو أول من وضع لها حدا صريحا بقوله: «الاسم المختص بشيء دون غيره ...»[6].

و توالت الحدود بعد المبرد، و تكاد تكون متقاربة فهي عند ابن جني: « ما خص الواحد من جنسه»[1]

---

[1] –ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 272–274 .

[2] – الفراهيدي: العين، مادة نكر، ج 5، ص 355.

[3] – سيبويه: الكتاب، ج 2، ص 5.

[4] – الفراء: معاني القرآن، تح أحمد نجاتي و محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980، ج 1، ص 07، و ينظر أيضا: ج1، ص 56.

[5] – المبرد: المقتضب، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1966–1979، ج 3، ص 186.

[6] – الرماني: رسالة الحدود، تح ابراهيم السمرائي دار الفكر عمان، ط 1982، ص 68.

و عند الزمخشري: «ما دل على شيء بعينه »[2]، و عند الشريف الكوفي: « ما لا يحسن دخول رب عليها »[3] و هو حد يرجع إلى الشكل دون المعنى و ليس بالمانع ، و عند الأنباري: « ما خص الواحد من جنسه » [4].

النكرة اصطلاحا:

ذكر الخليل أن «النكرة نقيض المعرفة» [5]، وهذا تعريف لغوي و ليس حدا اصطلاحيا، أما سيبويه فلم يضع حدا لها غير أننا لا نجد ما يشير إلى معناها عنده، يقول: « أما الألف و اللام فنحو الرجل و الفرس و البعير و ما أشبه ذلك ، و إنما صار معرفة لأنك أردت بالألف و اللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنك إذا قلت: مررت برجل، فإنك إنما زعمت انك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، و لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب»[6]، يتضح من ذلك أن النكرة عند سيبويه ما دل على شيء غير معين في جنسه للمخاطب، و نجد الفراء يستخدم تعبير (غير المؤقت)[7] بمعنى النكرة، أي غير المحدد.

و وضع ابن قتيبة حدا يرجع إلى الشكل دون المعنى: « ما ليس فيه الألف و اللام، أو مما يحسن فيه وقوع رُبَّ عليه »[8] ،و إذا انتقلنا إلى المبرد نجده أكثر دقة في حد النكرة، فهي عنده: « ما لم يخص الواحد من أمته »[9]. و هو حد يرجع إلى المعنى، فكل ما كان شائعا في جنسه و لا يراد به معين فهو نكرة.

ومن الأسماء ما هو معرفة لفظا نكرة معنى كالمعرف بأداة الجنس وعلم الجنس نحو: أسامة للأسد و ذؤالة للذئب و ثعالة للثعلب، فهي تعامل معاملة المعارف فيبتدئ بها، و يأتي منها الحال، و توصف بالمعرفة و لكنها لا تدل على معين في الجنس، فكل أسد يقال له أسامة و كل ذئب يقال له ذؤالة، و كل ثعلب يقال له ثعالة.

و من الأسماء ما هو عكس ذلك، نحو: (عاما أول، و أول من أمس)، فهي تدل على معين و لكنها استعملت استعمال النكرات، و من الأسماء ما هو مستعمل في البابين نحو: واحد أمه، و عبد بطنه، و كل ناقة

---

[1] – ابن جني: اللمع في العربي، دار الأمل، الأردن، ط 2، 1990، ص 56

[2] – الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ، تح محمد محمد عبد المقصود و حسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري القاهرة، ،ط 1، 2001، ص 236.

[3] – الشريف الكوفي، أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد: البيان في شرح اللمع، تح علاء الدين حموية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2002، ص 322.

[4] – الأنباري: أسرار العربية، تح فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت ، ط 1993، ص 298.

[5] – الفراهيدي: العين ، مادة نكر، ج 5، ص 355.

[6] –سيبويه: الكتاب، ج 2، ص05.

[7] – الفراء: معاني القرآن، ج 1، ص 07.

[8] – ابن قتيبة : تلقين المتعلم من النحو، ص 270.

[9] – المبرد : المقتضب، ج 4، ص 276.

و فصيلها راتعان، و من الأسماء ما يضاف لمعرفة و لا يتعرف أبدا نحو: غيرك، و سواك، و مثلك، و شبهك ...[1]

2 / التعريف و التنكير عند البلاغيين:

أ – التعريف::

ينطلق البلاغيون في تناولهم للمعارف من مذهب جمهور النحويين، فالمعرفة عندهم ما دل على شيء بعينه، و هي ستة أقسام على المختار عند أغلب البلاغيين[2] و رتبها عندهم بناء على مذهب الجمهور، و هي: الضمائر، و العلم، و الإشارة، و الموصول، و المعرف بالأداة ،و المعرف بالإضافة.

و بدأ السّكاكي حديثه عن المعارف ببيان الفائدة العامة للتعريف، فقال:«و لا شبهة إن احتمال تحقق الحكم متى كان ابعد، كانت الفائدة في تعريفة أقوى، و متى كان اقرب كانت اضعف و بعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه ،و المسند كلما ازداد تخصصا ازداد الحكم بعدا و كلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا....»[3].

و يبدوا في كلام السّكاكي ومن تبعه غموض ظاهر، و تبسيط المسالة إن حديثه يتعلق بتعريف المسند إليه خاصة، و الأخبار عنه فكلما كان المسند إليه عاما كان احتمال ثبوت الحكم له في الخارج و في نفس المتلقي اقرب، فقولك: شيء موجود، أخبار بوجود شيء ما، و هو حكم عام لا تجد النفس صعوبة في تقبله و التصديق به، لكون احتمال ثبوت الحكم قويا ما دام الشيء عاما مطلقا ليس لدى نفس المتلقي معرفة مسبقة به ليتخذ على ضوئها موقفا محددا من الرفض أو القبول، و أما إذا كان المسند إليه معرفة أو نكرة مخصصة فاحتمال تحقق الحكم و ثبوته له في الخارج يكون بعيدا.

و تقبل المتلقي له و تصديقه به يكون اقل احتمالا، لذا فان الأخبار عن العام يكون قليل الفائدة لاحتمالية تحقق الخبر بالنسبة له، و أما الأخبار عن المعرفة فيكون ذا فائدة أقوى، فلو قلت :سافر رجل، فاحتماله لا على التعيين لا تجد النفس صعوبة في تصديقه ،فليس في الأخبار عنه أي فائدة، و لو قلت: سافر الرجل و أنت تريد معهودا معينا فاحتمال ثبوت السفر بحق هدا الرجل المعين ليس متوقعا بشكل مطلق لذا فالأخبار عنه يكون مفيدا.

---

[1] – المبرد: المقتضب، ج 4، ص 287– 288.

[2] – الزملكاني كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، ط1 ، 1974، ص 133 .

[3] – السّكاكي :مفتاح العلوم، ص 178.

فالتعريف بحد ذاته يفيد(توكيدا للشيء المعرف و يزيده توضيحا، لان النفس تكون أكثر تقبلا و تفاعلا مع ما سبق لها و أن أدركته) [1]

1 – الضمائر ،وظائفها و دلالاتها.

تناول البلاغيون الضمائر و حددوا لها مجموعة من الوظائف و الدلالات التي تستعمل من أجلها،و هي: [2]

أولا– أن تستعمل في مقام التكلم لتدل على المتكلم، كقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ ﴾ [طه: 12-13] .

ثانيا– في مقام الخطاب للدلالة على المخاطب، كقوله تعالى حكاية عن فرعون مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾ [الشعراء :18-19].

ثالثا– في مقام الغيبة للدلالة على مذكور سابق، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ ﴾ [الشمس: 1-2-3] ، فالضمير المؤنث يرجع إلى مذكور سابق و هو الشمس، أو للدلالة على مذكور في المعنى نحو:﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة: 8] فالضمير المنفصل (هو)يرجعه للعدل المفهوم من الفعل (ٱعۡدِلُوا) أو ليرجع على ما هو في حكم المذكور لقرينة نحو: فقال« إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » ص 32 حيث يرجع الضمير المستتر في الفعل توارت إلى الشمس في بعض التفسيرات.

هذا ما ذكره البلاغيون عن الضمائر ،و قد راق بعض الباحثين المحدثين[3] وعد دلك مطابقة معجزة لمقتضى الحال و فيها روح البلاغة العربية التي يشعر بها ذوو الطباع السليمة و الأذواق المستقيمة.

و الذي أراه[4] أن البلاغيين جانبوا الصواب في ذلك، فادخلوا ما لا يعنيهم فيما يعنيهم فإن ما ذكروه، لا يمت للبلاغة بصلة وما هي إلا معاني نحوية أصلية تهم النحوي دون البلاغي، و أي بلاغة في وضع (أنا

---

[1]– ناجي مجيد عبد الحمي: الأسس النفسية للأساليب البلاغية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1 ، 1984 ص 119.

[2] – السّكاكي: مفتاح العلوم :ص 179 – 180 .

[3] – البدري علي:بحوث المطابقة لمقتضى الحال، مطبعة السعادة القاهرة، ط 2،1984، ص157 .

[4] – الصعيدي: عبد المتعال ،بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، القاهرة د.س، ج1 ،ص 82 .

و نحن) للمتكلم، و (أنت و أنت و أنتما)للمخاطب، و (هو و هما و هم و هي)للغائب، و قد وضعت في الأصل لتستعمل كذلك عند الصغير و الكبير و العامي و الفصيح؟

و قد فات البلاغيين ما هو من ذلك أولى وله في البلاغة صلة كاستعمال ضمير المتكلم في مقام الفخر و الاعتداد بالنفس، فانه يكثر في هذه المواضع استخدامه لما فيه دلالة على الذات ،و ذلك كقول النبي **صلى الله عليه و سلم**:

أنا النبي لا كذب ** أنا ابن عبد المطلب[1]

فكل هذه مواطن فخر و اعتداد بالنفس، فناسب ذلك استعمال ضمير المتكلم للدلالة على هذا المعنى و ذكر بسيوني فيود[2] انه يكثر استعمال ضمير المخاطب في موضع العتاب و اللوم حيث يحلو للمتكلم أن يخاطب من يعاتبه و إن يردد ضميره مسندا إليه ما يريد من لوم و عتاب كقول أميمة تخاطب ابن الدمينة:

و أبرزتني للناس ثم تركتني ** لهم غرضا أرمى و أنت سليم [3]

فأجابها:

و أنت التي كلفتني دلج السرى ** و جون القطا بالجهلتين جثوم

و أنت التي أحفظت قومي فكلهم ** بعيد الرضا داني الصدود كليم

و قد تناول البلاغيون أمورا أخرى تتعلق بالضمائر و لها في البلاغة صلة و هي:

أولا- خروج الخطاب لغير معين،الأصل في الخطاب أن يكون لمعين،و قد يراد به غير معين لقصد التعميم تفخيما أو تهويلا[4]،كقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة 12] .

فعلى أحد الوجهين في هذه الآية أن الخطاب لا يقصد به معين بل هو عام لكل من يصلح أن يخاطب و يرى،و ذلك تفظيعا لحالهم و إنها بلغت من الظهور ما لا يخفى على أحد،و يكثر ذلك في الحكم و النصائح نحو:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ** و إن أنت أكرمت اللئيم تمردا[1]

---

[1] – الرجز في مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابور، دار ابن الهيثم القاهرة، ط1، 2001، ص 464.

[2] – فيود، عبد الفتاح بسيون: .علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار ، القاهرة، ط2 ،2004 ص90

[3] – لأميمة الخثعمية شاعرة أموية وهي زوجة ابن الدمينة مجهولة المولد والوفاة .العباسي، الشيخ عبدالرحيم بن أحمد 963 هـ . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب ، بيروت، ط 1974 ، ج1 ،ص162

[4] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 180 .

فالخطاب فيما سبق لا يراد به معين بل هو عام لكل من يصلح له و في كل زمان و مكان .

ثانيا – العدول بالإضمار في مقام الإظهار ، و هو من باب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر ،و يقصد بذلك أن يوضع الضمير موضع الظاهر و ذلك في مواضع و هي[2] :

أ– ضمير الشأن نحو قول الشاعر:

هي الدنيا تقول بملء فيها ** حذار حذار من بطشي و فتكي[3]

ب– باب نعم و بئس كقول الشاعر:

نعم امرا هرم لم تعر نائبة ** إلا و كان لمرتاع بها وزرا[4]

و قد ذكر في الجانب النحوي و هو من باب تقدم المفسر على مفسره، و هو واضح في ضمير الشأن و أمّا في نعم و بئس فبناء على أن المخصوص خبر لمحذوف و ليس مبتدأ مؤخر لأن الضمير حينئذ يكون عائدا على متأخر لفظا مقدم رتبة،و يتفق البلاغيون مع النحويين في فائدة ذلك و إنها التعظيم و التهويل و تمكين ما بعد الضمير في النفس لما يحدثه من تشويق لمعرفة المبهم[5]،غير أن هذه العلة لا تتأتى في باب نعم و بئس لأنّه لا يعلم وجود ضمير حتى يسمع المفسر.

رأي البلاغيين في باب نعم و بئس ثمرة فاسدة للقاعدة النحوية البعيدة عن طبيعة اللغة،و ذلك لأنّ البصريين قدروا نعم و بئس فعلين،فلا بد حينئذ من ضمير،و هذا لا يتناسب و رأي الوفيين لأنهم يعدون نعم و بئس اسمين،وهكذا يضيع هذا الأسلوب بين قواعد البصريين و الكوفيين دون أن يعطوا أهمية للمتكلم نفسه و هو الذي يشعر بتشويق المخاطب أو لا يشعر.

و اقتصر البلاغيون على هذين البابين لأنهم حصروا الحديث في باب المسند و المسند إليه ،و ذكر بعضهم دلالات أخرى لا تقتصر على المسند و المسند إليه،نحو:

ج– إن يوضع الضمير موضع المظهر للفخامة بشأن المقصود به ،و ذلك لاشتهاره و وضوحه حتى كأنه صار معروفا لا يخفى على أحد[6]،فلا يتقدم حينئذ على المفسر و لا يذكر المفسر أبدا نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: 1]،و قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرحمان26] فالمقصود من الضمير الأول القرآن

---

[1] – البيت للمتنبي في ديوانه :ج1 ،ص307

[2] – القزويني، الإيضاح :ج1 ،ص 154

[3] – لأبي الفرج الساوي من أشهر كتاب الصاحب بن عباد وأحسنهم خطا وأرقهم شعرا، له قصيدة في الرثاء وأبيات في وصف البرغوث في الأغاني، العباسي، معاهد التنصيص :ج4 ، ص141

[4] – بلا نسبة في ابن هشام: شرح الشذور :ص 205

[5] – الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 102

[6] – الطيبي: التبيان، ص 59

الكريم و هو واضح و إن لم يتقدم له ذكر ،و في الثانية الدنيا في بعض الوجوه و هي واضحة دون أن يتقدم لها ذكر.

د- ادعاء أن الذهن متعلق به لا يلتفت لغيره[1]،كقول الشاعر :

أبت الوصال مخافة الرقباء ** و أتتك تحت مدارع الظلماء[2]

و بعد هذا العرض لدلالات الضمائر و وظائفها عند البلاغيين يتبين أن البلاغيين قد تخبطوا حينا و أصابوا أخر ،فالوظيفة الأولى وهي استخدام الضمير في مقام التكلم و الخطاب و الغيبة مسألة لغوية تهم النحويين دون البلاغيين،و أما باقي الدلالات فهي بلاغية و لا اعتراض على ذكر البلاغيين لها.

2 – العلم:

حدّد البلاغيون مجموعة من الدلالات البلاغية و الوظائف التي يؤتى بالعلم من أجلها و هي:

أولا- لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه:[3]

وفي هذا ثلاثة قيود: الأول(لإحضاره بعينه) و هو قيد احتراز من اسم الجنس نحو:جاء رجل غني،و الثاني (ابتداء) احترازا من إحضار مدلوله ثانية بالضمير،نحو:جاء زيد و أكرمته،و القيد الثالث(بطريق يخصه)احترازا من الضمائر و من سائر المعارف لأنها لا تختص بمدلولها.

و من أمثلة ذلك: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[الصمد1] ،فلفظ الجلالة إذا عددناه مبتدأ يكون مسندا إليه و هو علم لذاته تعالى يخصه دون سواه،و كقول الشاعر:

أبو مالك قاصر فقره ** على نفسه و مشيع غناه[4]

فقد ذكر الممدوح بعلمه وهو كنيته أبو مالك لإحضاره بعينه دون سواه.

و اعترض على هذه الدلالة بأنها من استعمال العلم في موضعه الأصلي[5]،فلا يصلح عده من وجود البلاغة،و رد المغربي على هذا الاعتراض بأن المراد مراعاة الاستعمال لهذا المعنى بحيث لا يعدل عنه لغيره إما لغرض ينشأ عنه مناسب للمقام أو لأنه لا مقتضى للعدول و هذا من باب البلاغة.

---

[1] – الهاشمي السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص39 .

[2] – البيت لصفي الدين الحِلّي عبد العزيز بن سرايا بن علي الطائي :ديوان شعر ، .تح محمد حور، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن، ط 1 ،2000 ، ج3 ،ص1449 .

[3] – السّكاكي: المفتاح، ص 80 .

[4] – البيت للمتنخل الهذلي أبو أثيلة مالك بن عويمر بن عثمان من مضر ، والبيت في البغدادي، خزانة الأدب :ج4 ،137 .

[5] – المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب:مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تح خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2003 ، ج1 ،ص 199 .

و ما ذكره المغربي صحيح،و لكنه ليس بمطرد،فليس كل موضع يؤتى فيه بالعلم يكون لغرض ينشأ عنه مناسب للمقام،أو لأنه لا مقتضى للعدول عنه، و قد يؤتى به لمجرد الدلالة على الذات فقط و ليس هذا معنى بلاغيا ،كما أنه بناء على رأي المغربي كان على البلاغيين أن يفصلوا فيقولوا يؤتى بالعلم لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يخصه لأن المقام مقام تعظيم أو لإهانة....فتكون هذه الدلالات عللا دعت إلى إحضار الشيء بعينه بواسطة العلم.

ثانيا– التعظيم[1]:و هذا يكون في الألقاب الصالحة لذلك و في الكنى غالبا نحو:جاء المظفر،و ذهب المعتصم و زارنا الفاضل،و اقبل جمال الدين،و انطلق أبو الخير، و قد يكون لتعظيم غير المسند إليه نحو:جاء الفاضل صديقك،و زارنا أبو الفضل جارك،لتعظيم المضاف إليه،و ذكر السيوطي[2] ان من ذلك تلقيب يعقوب **عليه السلام** بإسرائيل في القران الكريم،و معناه صفوة الله أو عبد الله أو سري الله لأنه أسرى لما هاجر،و في هذا اللقب تكريم له و تعظيم،و قد خوطب نسله بهذا اللقب تذكيرا لهم بالعبودية لله تعالى،كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة 40] .

ثالثا– للإهانة و التحقير [3]إذا كان العلم صالحا لذلك كالألقاب و الكنى الدالة على الشر و الحقارة،نحو:جاء أبو الشر،انطلق اخو البخل،اقبل ابو الجهل،انصرف الأسود،و أضرنا ضرار.

و اعترض عبده قلقيلة [4]على ذلك ذاهبا إلى أن الإعلام لا دلالة فيها على التعظيم أو التحقير و إنّما تدل على الذات ،و يرى أن البلاغيين تكلفوا في هذا المبحث.

و لست أخالفه في ذلك إلّا أنه قد يلحظ أحيانا المعنى في الإعلام و خاصّة إذا كانت منقولة عن وصف أو مصدر نحو:محمد و الفضل و سعيد و كريم و العباس و الضحاك،فتستعمل لتدل على هذه المعاني،و قد ذهب النحاة إلى أن (ال) في الإعلام نحو الفضل و العباس للمح الوصف،و هذا يدل على ملاحظة المعنى في الأعلام و هذا ما كان يرمي إليه البلاغيون،و لا شك ان ذلك ليس صالحا لكل موضع لذا فان البلاغيين قيدوا ذلك بصلاحية الاسم للتعظيم أو الإهانة.

رابعا– التلذذ به[5]:و يكون ذلك في أسماء المحبوب حيث يستلذ المحب اسم المحبوب كما في قول الشاعر:

---

[1] – ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان : البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، 1967 ، ص 120 – 122 .

[2] – السيوطي: الإتقان، ص 295 .

[3] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص. 180

[4] – قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، ص213 .

[5] – السّكاكي: المفتاح،ص 180 .

باللهيا ظبيات القاع قلن لنا ** ليلاي منكن ام ليلى من البشر[1]

فإنّه كرر علمها مع أن المقتضى الاظمار، و لكنه أراد أن يتلذذ بعلمها ليزداد شوقا إليها، و لعل هذا تفسير ما يقوم به الصوفية من ترديد لاسم الجلالة تعالى و أسماء الأولياء و الصالحين لأنهم يجدون في ذلك لذة عظيمة.

و أمّا بالنسبة للسامع فإنّه يستلذ بسماع اسم محبوبه و تكراره ،و من هنا فقد يتعمد المتكلم ذكر علم المحبوب و يكرره ليثير في السامع لواعج الشوق و اللذة أو في نفسه،كما قال المتنبي:

أساميا لم تزده معرفة ** و إنما لذة ذكرناها[2]

خامسا– التبرك[3]:و يكون ذلك بالأعلام ذات الجانب الديني،كعلم الجلالة و إعلام الأنبياء و الأولياء و الصالحين ،فانّ كثيرا من الناس يتبركون بذكر الأولياء و الصالحين و يكررون أسماءهم من حين إلى حين،كما نرى عند الصوفية و العوام.

و يقصد بالتبرك أن يذكر العلم بدافع إرادة البركة لجلب الخير أو دفع الشر،و من هنا يظهر خطأ بكري شيخ أمين[4] في مخالفته لتفريق البلاغيين بين التبرك و التلذذ و جعل كل منهما دلالة قائمة بذاتها ،فأدرجهما الدكتور الفاضل في بند واحد و رجع تسميتهما بالتلذذ لأنه يرى أن في التبرك لذة.

فالتلذذ يكون للشعور باللذة، وهو شعور نفسي داخلي، أما التبرك فيكون بقصد جلب البركة والخير ودفع الشر، ولا يلزم من التبرك وجود اللذة كما لا يلزم حدوث البركة من التلذذ ،فإن المحب يتلذذ بذكر محبوبه و لكنّه لا يزعم أبدا أنه يتبرك بذلك،كما أن كثيرا من عامة الناس يذكرون الأولياء و الصالحين تبركا لهم حسب اعتقادهم و هم لا يجدون في ذلك أي لذة،فظهر أن بين التلذذ و التبرك فرق و إن البلاغيين كانوا على صواب فيما ذهبوا إليه.

سادسا– للكناية عن معنى يصلح له العلم باعتبار معناه الأصلي قبل العلمية نحو قولك: أبو لهب فعل كذا،كناية عن كونه جهنميا ،و هو المعنى المستفاد من أصل اللفظ قبل العلمية و نحو:ذهب أبو جهل و جاء أبو الخير،و اختلف في وجه الكناية هنا على آراء :

أ– قيل المراد كناية عن معنى مستفاد من العلم باعتبار معناه الأصلي لا العلمي أي قبل النقل إلى العملية،فأبو لهب في أصل وضعه يعني ملابس اللهب أي النار و ملازمها،كما يقال أبو الشر و أبو الخير لمن يلازمهما، فإطلاقه على الذات المعهودة إطلاقا علميا يمكن معه الشعور بالمعنى الأصلي

[1] – ينسب للبغدادي: خزانة الأدب،ج1 ،ص110 .

[2] – البيت للمتنبي في ديوانه، ج2 ،ص 572 .

[3] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص180 .

[4] – أمين: البلاغة العربية، ص137 .

و هو ملابسة النار ،و المقصود نار جهنم و هو الملزوم و يراد به لازم معناه و هو جهنمي، فيكون انتقال من الملزوم إلى اللازم [1].

ب- و قيل المراد الكناية بمعناها الاصطلاحي البياني و هو إطلاق اللفظ و المراد لازم معناه[2]،فإذا جاء رجل كافر و قلت جاء أبو لهب فأنت تقصد كونه جهنميا لاشتهار أبي لهب بذلك و كقولك أيضا في شخص ما :جاء حاتم ،و أنت تريد جاء كريم ،و اعترض بأن هذا استعارة و ليس كناية، و يرد أن ذلك أيضا أن السّكاكي و القزويني مثلا بقوله تعالى:﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد: 1].

ت- الكنية هنا استخدمت للدلالة على الذات و لم يرد بها لازم معناه أو كافر أخر.

و اكتفى السّكاكي و القزويني بهذه الدلالات و إن لم يحصرا مجيء العلم فيها،و زاد غيرهما[3] دلالات أخرى و هي :

أولا- التفاؤل: إذا كان العلم مما يتفاءل به ،نحو:سعد في دارك ،و فضل جارك.

ثانيا- التشاؤم: إذا كان العلم مما يتشاءم منه نحو:السفاح في دارك ،و حرب جارك ،و البوم صديقك لمن سمي بذلك.

و كانت العرب تتفاءل بالأسماء الحسنة و تتشاءم بالقبيحة،و قد قدم الخلفاء و غيرهم رجالا لحسن أسماءهم ، و أقصوا آخرين لشناعة أسماءهم و تروى في ذلك الأخبار الكثيرة [4].

ثالثا- التسجيل على السامع : أي التحقيق و التثبيت عليه حتى لا يجد للإنكار سبيلا، كان يقول القاضي للشاهد: هل سرق زيد مال عمرو، فيقول الشاهد: نعم سرق زيد مال عمرو، فيذكره بعلمه ليدل على أنه هو بعينه السارق دون غيره، و أنه لا يشتبه بغيره، حتى لا يدع مجالا للشك و الإنكار فيقول المتهم مثلا: هو لا يقصدني و إنما يقصد رجلا آخر.

و زاد بعضهم الدلالات الاتية:

أولا- التنبيه على غباوة السامع[5] :كان يقول لك عمرو: هل زيد فعل كذا،فيقول: نعم زيد فعل كذا، مشيرا إلى أنه لا يفهم مع الاختصار بالضمير إلاّ بالإظهار.

---

[1] - السكاكي: المفتاح، ص 180 .

[2] - التفتازاني: مختصر المعاني، ص 34 .

[3] - التفتازاني: المطول، ص 217 .

[4] - الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج3 ، ص341 -349 .

[5] - الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص579 .

ثانيا– الحث على الترحم[1]:و ذلك إذا كان العلم مما يثير الشفقة كقولك: أبو الفقر يطلب منك كذا و كذا،و ذو الحاجة يسألك.

ثالثا– الافتخار[2]،و تفرد به الطيبي، و مثل بقول الشاعر:

و ما ساءني ذكراك إلا بمسبة ** بلى سرني إني خطرت ببالك[3]

و هذا البيت الشعري لا شاهد فيه على المراد لأنه لا يحتوي علما ،و مراد الشاعر إن محبوبته ذكرته و هذا أمر لا يسيئه بل يسره، فهو يفتخر بذكر محبوبته له.

و أزيد على ذلك موضعين:

1 – التحبب و التلطف: و تظهر هذه الدلالة في الأعلام المصغرة، نحو:حميد و علي، و في الكنى و الألقاب و من ذلك تنكية الصغير، و ربما يحمل عليه ما جاء في الحديث (يا أبا عمير ما فعل النغير)[4] ففي تكنية الصغير و تصغير هذه الكنية دلالة على التحبب و الملاطفة.

2 – لإدخال المهابة و الروع في نفس السامع ،و يكون ذلك في الأعلام التي تدل على القوة و الجبروت نحو: جاءت الغضنفر، و مر بك أسد و سيلقاك العقاب، لمن تسمى بذلك و منه قول الإمام علي **رضي الله عنه:** أنا الذي سمتني أمي حيدرة.

و قد كانت العرب تكثر من الأعلام الشنيعة لهذه الغاية و سئل بعض الأعراب[5] عن سبب تسمية أبناءهم بالأسماء القبيحة و عبيدهم بالحسنة،فقال:لان أبناءهم لأعدائهم و عبيدهم لأنفسهم .

و لا بد من القول أن هذه الدلالات التي يذكرها البلاغيون لا علاقة لها بالجانب الدلالي للتعريف و إنّما هي فوائد ثانوية و ليست قواعد منظبطة لأن الأصل و الغالب في استعمال العلم هو الدلالة على الذات فقط و من أجل ذلك وضع، و هي الفائدة الأولى التي يذكرها البلاغيون و سبق القول بأنه لا علاقة لها بالبلاغة ،و أمّا سائر الدلالات فهي مستفادة من بنية الكلمة في دلالتها على معناها الأصلي و من سياق الحال ،و تظهر البلاغة في الاستفادة من هذه الدلالات كما يقتضي المقام.

---

[1] – العصام: الأطول، ج1 ،ص 300 .

[2] – الطيبي: التبيان، ص64 .

[3] – البيت لابن الدمينة : ورواية ديوان الشاعر، ص17 .

[4] – حديث صحيح، ينظر :ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني 852 هـ .فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة جديدة عن الطبعة التي حقق أصلها عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ورقم أحاديثها وأبوابها محمد فؤاد عبدالباقي، دار التقوى القاهرة، 2000 ، ج 10 ،ص 664 ، باب 112 ،حديث رقم6203 .

[5] – الزمخشري: ربيع الأبرار،ج2 ،ص339 .

3 – الإشارة بلاغيا:

يرى البلاغيون أن المسند إليه يأتي معرفة باسم إشارة متى صح إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسا و اتصل بذلك داع، ثم فصلوا هذه الدواعي و هي على النحو التالي:

أولا– ألا يكون للمتكلم أو المخاطب طريق إلى المسند إليه سواها[1] ،و مثال ذلك أن يصنع رجل معك معروفا و أنت لا تعرف اسمه ثم تراه أنت صديقك فتقول: هذا الرجل صنع معي معروفا، فتشير إليه باسم الإشارة لأنّه لا طريق سواها، و لم يذكر القزويني هذا الداعي، و انتقده السبكي[2] على ذلك لأنه ذكر مثله في الموصول و أهمله هنا، و على كل فإن هذا الداعي ليس بلاغيا ،و إنّما هو لغوي بحت، فمن المعلوم أنه إذا انعدمت طرق التعبير غير الإشارة تعينت الإشارة و لا بلاغة في ذلك.

ثانيا– أن يقصد تمييز مدلول المسند إليه أكمل تمييز[3]،و لم يذكر السّكاكي و القزويني دواعي هذا التمييز، و كان حريا بهما ذكر الداعي لأنه من البلاغة في صميمها، و هذه الدواعي كان يكون المقام مقام عناية به لإرادة المدح أو الوصف و هذا مقام يقتضي إبرازه و تمييزه من غيره لأن المدح في خفاء نقص مشين و قصور فيه، و من أمثلة ذلك:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ** من نسل شيبان بين الضال و السلم[4]

فالمقام في البيت مقام مدح يقتضي إبراز الممدوح بالإشارة إليه لتمييزه من غيره و إظهار منزلته و علو مرتبته.

و قد اعترض بأن هذا لا يتأتى على مذهب الجمهور، لأن الإشارة ليست أرفع المعارف رتبة،فكيف يؤتى بها لتمييز مدلولها أكمل تمييز و ثمة ما هو أرفع منها رتبة فيكون أحق منها لأداء هذه الوظيفة ،و أجيب على هذا الاعتراض من وجوه:

1– إن المراد أكمل تمييز بالنسبة لما تحتها من معارف لا لما فوقها، و هذا ليس بمقنع لأن السّكاكي و القزويني أطلقا العبارة، و الإطلاق يشمل جميع المعارف ،و لو كان المراد ما دون الإشارة من المعارف لقيدا ذلك[5] .

---

[1] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 183 .

[2] – السبكي: عروس الأفراح، ج1 ،ص284 .

[3] –القزويني: التلخيص، ص 61 .

[4] – البيت لابن الرومي علي بن العباس بن جريج ، ديوانه، وتح عبدالأمير مهنا، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ط 1، 1991 ج6 ،ص 151 .

[5] – الدسوقي: حاشيته،ج1 ، ص595 .

2-لا يتنافى ذلك مع وجود ما هو أرفع منها، لأن هذه الاكملية متأتية من الاستعمال حيث يشار حسا إلى المدلول و أما العلم مثلا فتعريفه وضعا[1] .

3-لا تعارض في ذلك لأنه قد يوجد خصوصية يفوق بها المفوق ما هو فوقه في بعض الصور ،فاسم الإشارة إذا صاحبه إشارة حسية و كان المشار إليه حاضرا مشاهدا كان أقوى من العلم المشترك في هذه الحالة[2]،و هذا يرجع إلى رأي ابن مالك في أنه قد يعرض للمفوق ما يجعله مساويا أو فائقا لما هو فوقه ،و مرد ذلك للاستعمال و السياق كما ذكر في الجانب النحوي.

ثالثا- لبيان حاله في القرب و البعد و التوسط[3]: فتقول للقريب هذا جاء، و للبعيد ذلك جاء و للمتوسط ذاك جاء، و هذا بناء على المشهور من رأي النحاة في أن للإشارة ثلاث مراتب.

و الظاهر أن هذا موضع أصلي لغوي لا علاقة له بالبلاغة ،و يرى التفتازاني[4] أن له جانبين فيظهر فيه اللغوي من حيث أن هذا للقريب و ذاك للمتوسط و ذلك للبعيد، و ينظر البلاغي فيه من حيث أنه إذا أريد بيان قرب المسند إليه يؤتى بهذا و إذا أريد بيان توسطه يؤتى بذاك و لبعده يؤتى بذلك، أي أن البليغ يأتي بها لأن المقام يقتضيها، و هذا معنى زائد عن الأصل ،و رد رأي التفتازاني بأنه[5] إذا عرف معنى اللفظ فقد علم بالضرورة أنه إذا أريد ذلك المعنى أتي باللفظ الدال عليه.

و الأسلم في ذلك أن يقال أتي بها لبيان ما يتفرع عنها من الدلالات الزائدة على المعنى الأصلي و هي دلالات بلاغية لطيفة مستفادة بمعونة السياق و ليس من الإشارة وحدها، فيتفرع عن ذلك:

1-أن يقصد كمال العناية بتمييز المسند إليه و تعيينه[6]،و مثل عليه السّكاكي بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾ [البقرة: 5].

2-التعريض بغباوة السامع[7] ،فيستعمل معه الإشارة لأنه لا يميز الشيء إلاّ بالحس ،و منه قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ** إذا جمعتنا يا جرير المجامع[8]

---

[1] - المرجع السابق :الدسوقي، ص 595.

[2] - المغربي: مواهب الفتاح، ج1 ، ص208 .

[3] - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 183 .

[4] - التفتازاني: المطول، ص223 .

[5] - المغربي: مواهب الفتاح، ج1 ،ص209 .

[6] - السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 183 .

[7] - االقزويني: الإيضاح، ج1 ،ص 119 .

[8] - البيت للفرزدق، ديوانه :ج1 ،ص 418 .

ففيه تعريض بالغباوة لا تحدث بقوله فلان، و فلان أبائي ،و هذا،فهو يعرض بغباوة جرير و أنّه لا يميز إلا المحسوس.

3- التنبيه على كمال فطنة السامع و أنه ذكي حتى أن غير المحسوس عنده كالمحسوس فهما بمنزلة واحدة[1] و مثاله:

سطوت ففي وظيف الصعب قيد ** بذاك و في وتيرته عران[2]

أشار بذلك إلى صنيع العرب من الاستعصاء و التمرد ،و قيل إلى السطو.

4- ادعاء ظهوره كالمحسوس[3] إشارة لأهميته و هذا يكون في المعنويات غير المحسوسة أو ما هو غير ظاهر ،نحو:

تعاللت كي أشجى و ما بك علة ** تريدين قتلي قد ظفرت بذلك[4]

5- التهكم[5]،كقول شخص لأعمى :هذا زيد، و لا يكون ثمة شيء و إنما تهكما به.

6- لاختصاص المسند إليه بحكم بديع[6]،نحو:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ** و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ** و صير العالم النحرير زنديقا[7]

الأصل أن يستعمل الضمير، لأنه عائد على غير محسوس و هو الحكم المفهوم من البيت الأول (كون العاقل محروما و الجاهل مرزوقا)غير أنه عدل إلى الإشارة عن الضمير لكمال العناية بالمسند إليه لاختصاصه بحكم بديع و هو(ترك الأوهام حائرة و .....)فإن الإشارة أكثر إبرازا للمعاني من الضمير.

7- لجعل القرب ذريعة الى التحقير[8] ،و من أمثلة البلاغيين على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الانبياء36] .فهو حكاية عن استهزاء الكفار بالنبي فأشاروا إليه بالقريب تهكما و سخرية،و كقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت 64] .فأشار إلى الحياة الدنيا بالقريب تحقيرا لشأنها ، و منه في غير باب المسند إليه قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ [البقرة 26] .

---

[1] – الطيبي: التبيان، ص 69 .

[2] – البيت لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: ديوانه ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1990 ، ص 49 .

[3] – الطيبي: التبيان، ص7 69 .

[4] – البيت لابن الدمينة في ديوانه ص. 42

[5] – الطيبي: التبيان، ص 72 .

[6] – ابن الناظم: المصباح، ص 114 .

[7] – البيتان لابن الراوندِي أحمد بن يحي بن إسحاق.ينظر :العباسي، معاهد التنصيص،ج1 ،ص147 .

[8] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص184

8- أن يجعل البعد ذريعة للتعظيم[1] ،و من أمثلة البلاغيين على ذلك قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة 2 و قوله تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ ﴾ [الزخرف 72] .

9- أن يجعل القرب ذريعة للتعظيم[2] ،و لم يذكر السّكاكي و القزويني هذه الدلالة كأنهما رأيا أن ذلك غير صالح ،و انتقدهما العصام[3] مشيرا إلى أنه يناسب التعظيم و من أمثلته قوله تعالى:

﴿ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الاسراء9] ،و من غير باب المسند إليه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [ال عمران 191].

10- أن يجعل البعد ذريعة للتحقير[4] كأن تقول لصديقك : ذاك رجل لا يستحق الصحبة مشيرا الى رجل أمامك و كقولك ذلك اللعين فعل كذا، و كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ ﴾ [الماعون 2] .

11- أن يجعل القرب ذريعة لقرب حصول الشيء[5]،نحو هذه القيامة قامت، و قد أهمل هذا القسم أكثر البلاغيين.

12- التنبيه عند الإشارة إلى موصوف على أن المشار إليه جدير بما يسند إليه من أجل اتصافه بتلك الصفات[6]،و من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [البقرة: 3-5] فعدد صفاتهم أولا من إيمان بالغيب و إقامة للصلاة و إنفاق في سبيل الله، ثم أشار إليهم بأولئك ،و في هذه الإشارة تنبيه على أنهم يستحقون الحكم المسند إليهم و هو الهدى من ربهم و الفلاح، و استحقوا ذلك من أجل الصفات السابقة، و منه قول الشاعر:

و لله صعلوك يساور همه ** و يمضي على الأحداث و الدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ** و لا شبعة إن نالها عد مغنما
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت ** تيمم كبراهن ثمت صمما
ترى رمحه و نبله و مجنــه ** و ذا شطب عضب الضريبة مخذما
و احناء سرج قاتر و لجامه ** عتاد فتى هيجا و طرفا مسوما

---

[1] -المرجع السابق :السّكّاكي، ص 184.
[2] - السبكي: عروس الأفراح، ج1 ،ص 284 .
[3] - العصام: الأطول، ج1 ،ص312 .
[4] - السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 184 .
[5] - التفتازاني: المطول، ص 223 .
[6] - الزمخشري: الكشاف، ج1 ،ص 84 .

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ** و إن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما[1]

و قد تكون الصفات المسندة صفات ذم كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة27]،و قد اعترض السبكي[2] بأنه قد يؤتى بغير الإشارة و تتحقق هذه الوظيفة فلا ميزة أو مناسبة للإشارة هنا، تقول مثلا : جاء زيد الفاضل العالم و هم يستحق الاحترام، و أجاب العصام[3] على هذا الاعتراض بأن اسم الإشارة بمنزلة قولنا :المتصف بهذه الصفات ،فهي مؤولة بمشتق، و لأن إيراد اسم الإشارة لجعله كالمحسوس باعتبار التمييز الحاصل بالاتصاف و تعليق الحكم بالمشتق يشعر بعلية الاتصاف .

ووجه آخر عند العصام أن إيراد اسم الإشارة بعد وصف المشار إليه يكون فيه تفخيم للأوصاف أو تحقير، و يترتب على ذلك تعظيم الذات المتصفة أو تحقيرها.

و أجاب الدسوقي[4] بأن الإشارة تفيد ملاحظة الأوصاف لأنها لكمال التمييز فيلاحظ معها الوصف بخلاف الضمير فهو موضوع للذات فقط.

و بعد عرض هذه الوظائف و الدلالات لا بد من القول أنه لا علاقة لها بالجانب الدلالي للتعريف سوى الدلالة على أكمل التمييز لأنه من مقتضى التعريف و التعيين، و أما سائر ذلك فمستفاد من السياق.

4 – الموصول وظائفه و دلالاته:

قدم علماء البلاغة الحديث عن الموصول على الحديث عن الإشارة مع إن اسم الإشارة أرفع رتبة منه بناء على مذهب الجمهور كما تقرر عند النحويين ،و أجيب على ذلك من وجوه:

أ– لأن فيه شبه الألقاب بإفادته وصفا يدل على الرفعة أو الضعة فيكون أقرب للعلم. [5]

ب– لأن الموصوف قد يكون أرفع من الإشارة بحسب سياق الكلام، و هو رأي البابرتي ، ووجه ذلك أن الموصول له جهتان في التعريف الأداة في أوله و الصلة، و إما الإشارة من جهة واحدة .[6]

---

[1] – الأبيات لحاتم الطائي أبي عدي حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني: ديوانه، صنعة يحي بن مدرك الطائي برواية هشام بن محمد الكلبي، تح ودراسة عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي القاهرة،ط2 ، 1990 ، ص226 – 227 .

[2] – السبكي: عروس الأفراح،ج1 ،ص284 .

[3] – العصام: الأطول،ج1 ،ص313 .

[4] – الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص603 .

[5] – المغربي: مواهب الفتاح،ج1 ،ص 202 .

[6] – البابرتي: شرح التلخيص، ص205 .

و تعليل التعليل لا يستقيم، لأن الراجح كما تقرر عند النحويين إن الأداة زائدة في الموصولات و ليست للتعريف، فهو متعرف من جهة واحدة و هي الصلة ،و إما الإشارة فقوله فيها مخالف لما عليه جمهور النحويين من البصريين و الكوفيين في إنها متعرفة من جهتين العين و القلب فهي بذلك أرفع رتبة من الموصول.

و قد انطلق البلاغيون في تناولهم لوظائف الموصول و دلالاته من كون الصلة و الموصول شيئا واحدا فجعلوا ما تتضمنه جملة الصلة دلالات و وظائف يقوم بها الموصول ،و يمكن حصر ما ذهب إليه البلاغيون بما يلي:

أولا– إن يصح إحضاره في ذهن السامع بواسطة جملة معلومة الانتساب إليه لعدم معرفة شيء من أحواله المختصة سوى الصلة[1]،و يقصد بذلك أن لا يعلم المخاطب أو المتكلم أو كلاهما شيئا من أحوال المسند إليه إلا الصلة فيتحتم الايتان بها، و ذلك كان يرى صديقك شخصا يكلمك و هو لا يعرف اسمه و لا شيئا من أحواله لا أنه يكلمك، فيقول لك :الذي كلمك لا أعرفه.

و اعترض بأن هذه الحالة لا تختص بالموصول ،فالإضافة قد تقوم بهذه الوظيفة، فبدل أن تقول: الذي زارك أمس رجل عالم ،يمكن أن تقول :زائرك أمس رجل عالم، و أجيب على ذلك بأنه لا يجب اختصاص النكتة بتلك الطريق و لا أن تكون أولى بها، بل يكفي مناسبتها لها و حصولها بها و أن لم تقتصر عليها، فالاقتضاء هنا ليس إلا مجرد الملائمة من غير اطراد و لا انعكاس لي لا يكون المقتضى كالعلة متى وجد المعلول و متى انتفت انتفى ،فقد يوجد المقتضى و لا توجد الموصولية لحصول الغرض بغيرها سواء وجد مرجح أم لا[2].

و خالف التفتازاني [3]فذهب إلى أن النكتة يجب أن تكون موجبة أو مرجحة، و ذكر الدسوقي[4] أنه لا اعتراض على ذلك لأن طريق الإضافة غير طريق الموصولية، لأن الأول احتضار للمعهود بعنوان النسبة الإضافية المفيدة لاختصاص المضاف بالمضاف إليه، و الثاني إحضاره بطريق النسبة الخبرية المفيدة لاتصاف الموصول به.

و هذه الفائدة التي يذكرها البلاغيون لا مدخل لها في البلاغة لأنها موضع أصلي فمتى انعدمت الطرق سوى الصلة تعينت الصلة و لا بلاغة في ذلك.

ثانيا–لاستهجان التصريح بالاسم[5] ،و إنما يستهجن الاسم لعدة أمور:

1– أن يشعر في أصله بمعنى تقع النفرة منه باستقذاره عرفا و اشمئزاز النفوس منه نحو:الذي يخرج من أحد السبيلين ناقض للوضوء، بدل البول و الفساء مثلا.[1]

---

[1] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص181 .

[2] – الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص579 .

[3] – التفتازاني: المطول،ص218 .

[4] – الدسوقي: حاشيته،ج1 ،ص580 .

[5] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 180 .

2- أن يكون من الألقاب و الأسماء المذمومة المبغوضة فتقول مثلا:جاء الذي أكرمني، إذا كان اسمه مذموما،نحو:كلب أو حمار [2] ...

3- لأنه يتشاءم منه نحو:بوم و غراب،فان العرب تتشاءم من هذين الطائرين[3].

4- من جهة تركيب حروفه بأن تأباه الذواق و الأسماع،و مثل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ [يوسف: 24] بدل زليخا لأنه مستثقل على اللسان[4].

5- لمصلحة تعود على المسند إليه أو غيره، و مثل العصام[5] بالآية السابقة ،حيث جعل العدول عن التصريح بالاسم لمصلحة امرأة العزيز لأنها ذات مكانة في قومها، و من كان بهذه الصفة إذا احتج أن يذكر ما صدر عنه مما لا يليق به لا يحسن أن يصرح باسمه.

و عارض بعض المحدثين[6] أن يكون الموصول في الآية لاستهجان التصريح بالاسم و رأى أن البلاغيين في ذلك افتراء على الله بغير علم، ثم رجح أن يكون السبب نمطا من أدب القرآن الذي تلقاه في كثير من الآيات حيث لا يصرح بأسماء يرى أن التصريح بها إلصاق لعار قد يطارد صاحبه طول العمر بل طيلة الزمن ، ثم مثل على ذلك بقول تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة: 118] ،وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [العمران: 173] و هذا الرأي هو مضمون ما ذهب إليه العصام من إن عدم التصريح بالاسم قد يكون لمصلحة المسند إليه و ذلك إذا كان مكانة في قومه و شرف فلا يحسن أن يصرح بالاسم ، و الفكرة نفسها مشتركة بينهما .

ثم إن تمثيله بالآية الثانية لا يستقيم ، ولا أدري كيف مثل بها ، و أي عار سيلحق أولائك الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم و لكنهم ما استكانوا ولا توانوا بل زادهم الله إيمانا فاثني عليهم في آخر الآية؟..

و من أمثلة الإتيان بالموصول لاستهجان التصريح بالاسم قول حسان :

فان كنت قد قلت الذي زعمتم ** فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وان الذي قد قيل ليس بلائط ** بها الدهر بل قول امرئ بي ماحل[7]

---

[1] - المفتي: خلاصة المعاني، ص 160 .

[2] - البابرتي: شرح التلخيص، ص202 .

[3] - المفتي: خلاصة المعاني، ص160 .

[4] - المغربي: مواهب الفتاح،ج1 ،ص 203 .

[5] - العصام: الأطول، ج1 ،ص 303 .

[6] - عيد: فلسفة البلاغة، ص69 - 70 .

[7] - البيتان لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري :ديوانه، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس بيروت د.س، ص381 .

فالشاعر هنا ينهى عن نفسه أن يكون قد خاض في حديث الافك و اتهم عائشة **رضي الله عنها** و هو لم يصرح بالقول بل وضع موضوعه الموصول في البيتين فقال : (الذين قيل) استهجانا بان يصرح به لأنّه مما تأباه النفوس الشريفة .

ثالثا ــ زيادة التقرير[1] : أي التحقيق و التثبيت ، و اختلف[2] في ما هو المقرر قيل هو المسند ، و قيل المسند إليه ، و قيل الغرض المسوق له الكلام ، و المثال المذكور عند البلاغيين يحتمل الثلاثة ، و هو قوله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ [يوسف 23] ، قيل لتقرير الغرض المسوق له و عليه اقصر القزويني و هو نزاهة يوسف عليه السلام ، فكونه في بيتها مملوكا لها يستوجب الألفة و المخالطة و تسهيل التمكن و مع ذلك امتنع عنها ، و هذا لا يتحقق لو قيل وراودته زليخا أو امرأة العزيز ، و يحتمل أن يكون لتقرير المسند إليه و هو التي هو في بيتها ، ولو قال امرأة العزيزة لاحتمل أن يكون له نسوة أخرى ، و لو قال زليخا لاحتمل الاشتراك بامرأة أخرى لها الاسم نفسه و قد يكون لتقرير الغرض المسند و هو المراودة، فان كونه في بيتها قريبا منها و ما يترتب عليه من طول المخالطة و الألفة ادعى لحدوث المراودة و أدل عليها من الاسم.

و من أمثلة التقرير في غير باب المسند إليه:

أعباد المسيح يخاف صحبي ** و نحن عبيد من خلق المسيحا[3]

فهو زيادة لتقرير عدم خوفهم من النصارى، و هذا مستفاد من الصلة لأن كونهم عبيد الذي خلق المسيح يعطيهم من القوة الإيمانية ما يجعلهم لا يخافون من عبد الله.

و من أمثلة الطيبي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة2-3] ،و لم يقل المؤمنون بالغيب لأن جملة الصلة تفيد الاستمرارية و في ذلك زيادة لتقرير إيمانهم.

و من أمثلة البلاغيين أيضا:

أتحبسني بين المدينة و التي ** إليها رقاب الناس تهوى منيبها[4]

يريد مكة،و عدل إلى الموصول زيادة في تقرير إنكاره لحبسه في مكان لا يصلح إلاّ للعبادة و التذلل إلى الله.

---

[1] – ابن الناظم: المصباح، ص 106 .

[2] – العصام: الأطول، ج1 ،ص 303 .

[3] – للمعري في سقط الزند 58 .

[4] – للفرزدق في ديوانه :ج1 ،ص 60 .

رابعا– التفخيم [1] و يقصدون به التعظيم و التهويل ،و لم يذكره السّكاكي ،و الكلام هنا لا يختلف كثيرا عما ذكره النحويون، فيكثر ذلك في (ما) لما فيها من إبهام كقوله تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم10] و قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [النجم16]،و كقول الشاعر:

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ** و في الزجاجة باق يطلب الباقي [2]

و يرى البابرتي أن هذا مختص بهذه اللفظة و هي(ما)، و هو الغالب في تمثيل النحويين و البلاغيين أن يمثلوا بهذه الكلمة فقط،و قد ذكر ابن مالك أمثلة على الذي نحو:

رأيت الذي لا كله أنت قادر ** عليه و لا عن بعضه أنت صابر

و مثل ابن الأثير [3] و تبعه ابن النقيب [4] بمثل ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء19] ،و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الاسراء9]،و قول الشاعر:

بعيد مقيل الصدر لا يدرك التي ** يحاولها منه الأريب المخادع [5]

و يبدو أن مرجع التفخيم و التهويل في ذلك هو الإبهام الذي في الموصول و الصلة ، حيث يفسح المجال للفكر و الخيال ليتوهم من العظم و الهول ابلغ حدوده و أبعد كنهه .

خامسا– تنبيه المخاطب على خطأ [6] : قد يؤتى بالموصول لتنبيه المخاطب على خطأ في اعتقاده أو اعتقاد غيره حيث تتضمن جملة الصلة هذا التنبيه ، و يمثل البلاغيون بقول الشاعر :

إن الذين ترونهم إخوانكم ** يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا [7]

فالشاعر ينبه أبنائه على أن الذين يظنون أنهم إخوانا يفرحون لهلاكهم ، فهؤلاء ليسوا بأخوة و يجب الحذر منهم ، ففي جملة الصلة من التنبيه على الخطأ مالا يتحقق بقوله :

---

[1] – الجرجاني محمد: الإشارات والتنبيهات، ص 38 .

[2] – ابن الأثير: المثل السائر ،ص 28 .

[3] – المرجع نفسه ،ص 29 – 30 .

[4] – ابن النقيب، أبوعبدالله محمد بن سليمان البلخي :مقدمة تفسيره في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1995، ص 375 .

[5] – البيت للبحتري الوليد بن عبيد بن يحي الطائي:ديوانه، شرح وتعليق محمد التونجي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1 1994، ج2 ،ص 296 .

[6] – القزويني: الإيضاح،ج1 ،ص 116 .

[7] – البيت لعبدة بنِ الطَّبيبِ، عبدة بن يزيد الطبيب بن عمرو التميمي: المفضليات، ص125 .

"إن القوم الفلانيين يشفي غليل ... ": و كقولك إن الذي رأيته محبا لك يفرح لحزنك و من أمثلة الخطأ من غير المخاطب قولك : أن من يظنه زيد أخاه يفرح لمرضه.

و هذا القسم جعله السّكاكي مما يتفرع عن الإيماء كما سيأتي ، و جعله القزويني قسما قائما بذاته و ذكر العصام[1] أنه قد يكون للتنبيه على صواب ، نحو : غن الذي رأيته محبا لك لم يقصر في حقك .

سادسا– الإيماء إلى وجه بناء الخبر [2]: ويقصد البلاغيون بذلك الإشارة إلى نوع الخبر و طريقه من مدح و ذم و ثواب و عقاب .... حيث يكون في جملة الصلة ما يشير لذلك، وهذا كالأرصاد في علم البديع ، و مثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: 60]، فغن الاستكبار عن عبادة الله تعالى في جملة الصلة يومئ إلى أن الخبر من جنس العقوبة و الإذلال ، و كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: 107] ، تتضمن جملة الصلة الإيمان بالله تعالى و عمل الصالحات ، و هذا يومئ إلاّ أن الخبر من جنس النعيم و الثواب.

و ينبثق من الإيماء بالموصول الأغراض الآتية :

أ. أن يكون وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر[3] ،نحو :

إن الذي سمك السماء بنا لنا ** بيتا دعائمه أعز و أطول[4]

فمضمون صلة الموصول و هو رفع السماء يومئ إلى أن الخبر من جنس البناء و الرفعة ، و هذا فيه تعريض بتعظيم شان هذا الخبر و هو بناء بيت شرف قوم الفرزدق و عزهم لكونه صادرا عمن رفع السماء و أعلاها .

ب. أن يكون وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشان غير الخبر[5] ، و مثاله قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الاعراف: 92]، فجملة الصلة تتضمن تكذيب شعيب و هو نبي من أنبياء الله تعالى ، و هذا يومئ إلى أن الخبر من جنس العقوبة و الإذلال و هو خسران المكذبين له ، و هذا يترتب عليه تعظيم شعيب عليه السلام لأن خسران من كذبه يشير إلى انه ذو شأن عظيم حتى استحقوا ذلك الخسران .

---

[1] – العصام: الأطول، ج1 ،ص306 .

[2] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 182 .

[3] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص 117 .

[4] – البيت للفرزدق في ديوانه :ج1 ،ص 155 .

[5] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص 117 .

ج. أن يكون وسيلة للتعريض بالاهانة لشأن الخبر[1] ،و مثال ذلك: الذي لا طاقة له أغاثك و الذي لا يعرف الفقه صنف فيه، تحقيرا لشأن الإغاثة و المصنف.

د. أن يكون وسيلة للتعريض بالاهانة لشأن غير الخبر[2]،و مثال ذلك:أن الذي يتبع الشيطان خاسرا تحقيرا لشأن الشيطان، و اقتصر القزويني على أن الأول و الثاني و لم يذكر الثالث و الرابع.

هـ. أن يكون وسيلة لتنبيه المخاطب على خطا[3]:و مثل له السكاكي بقول الشاعر :

إن الذين ترونهم إخوانكم ** يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

و سبق الاستشهاد به سابقا على التنبيه على الخطأ دون وجود إيماء إلى وجه بناء الخبر،و هذا بناء على مذهب القزويني الذي خالف السكاكي،فهو يرى انه لا إيماء إلى وجه بناء الخبر في ذلك و أنه لا يستبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه، و رد التفتازاني[4] هذا الاعتراض بأن الذوق و العرف شاهدا صدق على وجود الإيماء فانك لو قلت عند جماعة يعتقدهم المخاطبون إخوانا:أن الذين.....كان فيه إيماء إلى أن الخبر من جنس ما ينافي المودة.

و يبدوا لي أن القزويني لم يخطئ في نفي جعله متفرعا عن الإيماء،لأن التنبيه على الخطأ مستفاد من صلة الموصول و لا مدخل للإيماء في ذلك، و لكن يؤخذ على القزويني أنه نفي وجود الإيماء في البيت و الصحيح إن الإيماء موجود و ان لم يكن له مدخل في التنبيه على الخطا، ثم أنه ناقض نفسه فهو ينفي وجود الإيماء ثم يقول: و لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه،فالإيماء بناء على ذلك موجود.

و رد السبكي على اعتراض القزويني بقوله: « قال في الإيضاح:و كيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني و المسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيماء إلى وجه بناءا لخبر عليه؟ بل لا يبعد أن يكون فيه ايماء الى بناء نقيضه عليه،قلت:و هو اعتراض فاسد فان السكاكي انما استشهد به على ما قصدفيه التنبيه على الخطا،و لم يجعل الأول ذريعة للثاني،بل كلاهما كلامان منفصلان » [5].

و اعتراض السبكي فاسد، لأن السّكاكي جعل الإيماء إلى وجه بناء الخبر دريعة لذلك،فهما كلامان متصلان و ليسا منفصلين كما زعم، قال السّكاكي: «و ربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب على خطا...»[6]

---

[1] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 182 .

[2] – المفتي: خلاصة المعاني، ص 164 .

[3] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 182 .

[4] – التفتازاني: المطول، ص220 .

[5] – السبكي: عروس الأفراح،ج1 ،ص281 .

[6] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص182 .

و الضمير راجع للايماء، اما الذي جعلهما منفصلين فهو القزويني[1] في الايضاح، فتبين أنه لا وجه لرد السبكي هنا.

و اعترض بعض المحدثين[2] على هذه الفائدة محتجا بأنه لا ميزة للموصول هنا و يمكن أن يتحقق ذلك بالتنكير ،و المهم هو بناء الجملة فنيا بقطع النظر عن التعريف و التنكير،و هذا صحيح فالذي حقق هذه الفائدة في الموصول هو المعنى الذي تتضمنه الصلة و ما يتضح هنا الموصول من معنى الجزاء بحيث يدل على تعلق حكمين معا تماما كما في جملة الشرط فيمكن أن تقول: من يعمل صالحا يفلح، و من يكفر يخسر،فيكون في الجملتين ايماء الى وجه بناء الخبر،فالعمل الصالح يومئ الى الفلاح،و الكفر يومئ الى الخسران،و حقق هذا الايماء ما يتضمنه اسم الشرط من جزاء و ترتب حكم على اخر مع أنه نكرة، و يمكن أن يتحقق ذلك بالاضافة نحو:كل كاذب مصيره جهنم،فالجزء الاول من الجملة يومئ الى النتيجة و هي الخبر و هذا مستفاد من بناء الجملة و ما تتضمنه من معنى الجزاء و ترتب حكم على آخر.

سابعا–أن يكون وسيلة لتحقيق الخبر[3]،و مثل عليها لسّكاكي بقول الشاعر:

ان التي ضربت بيتا مهاجرة ** بكوفة الجند غالت ودها غول[4]

و خالفه القزويني[5] بأنه لا يظهر فرق بين تحقيق الخبر و بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر ، و أجيب[6] بأن الايماء مجرد الاشارة إلى وجه بناء الخبر بلا دليل ، و أما تحقيقه فيكون لبيان ثبوت حدوثه في الخارج فهو بمنزلة دليل عليه ، فإن هجرة محبوبته في البيت و إقامتها بالكوفة دليل على انقطاع المودة منه و إلا لما هاجرت و فارقت ، لأن الإنسان لا يفارق و يهاجر من مكانه إلاّ إذا كرهه و تضايق منه .

و الصحيح خلاف ذلك فإن شطر البيت الأول يومئ بازدياد فرط الجوى و لهيب العشق و الهوى فإن المحب إذا ابتعد عن معشوقه و فارق دياره ازداد له شوقا و لذكراه عشقا ، و هذه عادة الشعراء كما قال جميل :

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ** و يحيي إذا فارقتها فيعود[7]

و على هذا فإن ما ذهب إليه القزويني هو الصحيح .

---

[1] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص117-118.

[2] – عيد: فلسفة البلاغة، ص70 .

[3] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 182 .

[4] – البيت لعبدة بن الطبيب في الضبي: المفضليات، ص 125 .

[5] – القزويني: الإيضاح،ج1 ،ص117 .

[6] – السبكي:عروس الأفرا ح،ج1 ،ص 281 .

[7] – البيت لجميل بثينة، وهو جميل بن عبد الله بن معمر العذري :ديوانه، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ،بيروت ط1، 1992 ، ص68 .

و قد حاول بسيوني فيود[1] التوفيق بين القزويني و السّكاكي، و قال : إن السّكاكي ربما نظر على حال الشاعر بعد حلول الشيب و انقطاع الشباب فلم يعد له في الهوى مجال لذا قال في البيت التالي :

فعد عنها و لا تشغل عن عمل ** إن الصبابة بعد الشيب تضليل

لذا عده السّكاكي إيماء إلى بناء وجه الخبر و تحقيقه ، و نظر القزويني إلى عادة الشعراء في ازدياد الشوق بالبعد فجعله لبناء نقيضه عليه ، و هذا لا يستقيم لأن الشيء لا يكون فيه إشارة إلى تحقيق الخبر و نقيضه معا فكيف يجتمع الضدان ، ثم إنّ القزويني لم يجعله من بناء نقيضه عليه كما فهم بسيون فيود و يبدو إن الأمر التبس عليه في ذلك ،و إنما اكتفى القزويني بقوله :« إنه لا يظهر فرق بين بناء وجه الخبر عليه و تحقيقه ».

ثامنا – التشويق[2] ، و ذلك بأن ينتبه السامع و يتوجه ذهنه إلى ما سيخبره به ، كما في قول الشاعر:

و الذي حارث البرية فيه ** حيوان مستحدث من جمادا[3]

يريد الإنسان الذي خلق من تراب ، ثم صار جسدا حيا بالروح ، و يلاحظ أن صلة الموصول تتضمن حكما تتشوق النفس لمعرفته، فيزيد التشويق ما في الموصول من إبهام .

تاسعا– التسلية[4] ، و لم يصرح السكاكي بهذا الغرض و اكتفى بقوله أو على معنى آخر ثم ساق المثال و كذلك الإيجي ، أما القزويني فلم يذكره ، فهذا تعبير الطيبي .

و أما السبكي[5] فعبر عنه بجبر خواطر الفقراء ،و مثل البلاغيون على ذلك بقول الشاعر :

إن الذي الوحشة في داره ** تؤنسه الرحمة في لحده[6]

عاشرا – و قد يأتي الموصول لغرض إخفاء الأمر عن غير المقصود بالخطاب ،و لم أجد من ذكر هذا الغرض فيما بين يدي من مصادر من القدماء سوى الإيجي[7] ،و هو غرض حري بأن يذكر و لا أدري كيف فات السكاكي و القزويني ذكره، و مثاله قولك : الذي طلبته سيصلك، و الذي زارك رجل شرير .

و ذكر بسيوني فيود[8] أنه قد يؤتى بهذا الغرض لتحقيق غرض لتحقيق غرض آخر و هو الرغبة في هداية المقصود و استمالته ، و مثل بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا

---

[1] – بسيوني: علم المعاني، ص96 .

[2] – السيوطي:شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ،ص16 .

[3] – للمعري في سقط الزند :ص 204 .

[4] – السكاكي: مفتاح العلوم،ص 182 .

[5] – السبكي: عروس الأفراح، ج1 ،ص282 .

[6] – للمعري في سقط الزند :ص209 .

[7] – الإيجي: الفوائد، ص 118 .

[8] – فيود: علم المعاني،ص 98 .

فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [البقرة: 204]، و قوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج: 8].

و قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: 6] .

و ذكر التفتازاني [1] دلالتين للموصول أهملهما البلاغيين ، و هما :

أ– الحث على التعظيم أو الترحم أو التحقير ، نحو : جاء الذي أكرمك، و جاء الذي أهانك و جاء الذي سرق بيته و قتل ولده .

ب– التهكم ، و مثاله : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر: 6].

و الصحيح أنهما مستفادتان من السياق وحده و لا مدخل للوصول فيه ، و لابد من القول إن أكثر ما ذكره البلاغيون هنا لا يخلوا من تكلف ، و مرد الامر فيه إلى السياق و لا يمكن أن تكون قاعدة مقيسة و هذا ما رمى إليه التفتازاني حين قال:(و لطائف هذا الباب لا تكاد تضبط)[2].

5 – المعرف بأداة، وظائفه و دلالاته :

يرى البلاغيون أن المسند إليه يأتى معرفة بالأداة لدلالتين رئيسيتين يتفرع عن كل منهما عدة دلالات :

الأولى– العهد الخارجي [3] ، و يقصد به تعيين الشيء خارج الذهن في واقع الوجود و يسميها السكاكي«حصة معهودة من الحقيقة » أي لتعيين قدر من حقيقة الشيء قد يكون واحدا أو إثنين أو ثلاثة فأكثر ، و هذا النوع ثلاثة أقسام :

أ. العهد الصريحي [4] ، و يقصد بذلك أن يتقدم مصحوبها مذكورا صراحة نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل: 15-16] ، و يسمى عند أكثر النحويين العهد الذكري .

ب. العهد الكنائي [1] ، و ذلك أن يتقدم مصحوبها كناية لا صريحا و مثاله قوله تعالى :﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ ﴾ [آل عمران: 36] فالأداة في (الذكر) للعهد

---

[1] – التفتازاني: المطول، ص 222 .

[2] – المرجع نفسه :ص 222 .

[3] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 186 .

[4] – الإيجي: الفوائد، ص 121 .

الكنائي إذ تقدم الذكر بشكل غير صريح في قوله تعالى : (إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا) " آل عمران 35 " ، و كانو يخصون ذلك بالذكور دون الإناث .

ج. العهد العلمي[2] ، و هو أن لا يجري ذكر لمصحوبها ، و لكنه يكون معلوما لدى المخاطب بسبق علم كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة : 40] ،أو يكون حاضرا مبصرا نحو : أغلق الباب يا فتى ، لمن كان داخلا ، و القرطاس لمن يشاهده ، و النحويون كما مر بنا يجعلون كلا من هذين قسما خاصا بذاته ، فكما كان معلوما لدى المخاطب غير مذكور أو حاضر يسمونه العهد الذهني و بعضهم يسميه العلمي ، و ما كان حاضرا يسمونه العهد الحضوري .

الثانية – الحقيقة[3] و هي ثلاثة أقسام :

أ– أن يراد بها الحقيقة[4] من حيث هي ، لا ما تصدق عليه من أفراد ، و تسمى لام الجنس نحو : الماء ضروري للحياة ، و الرجل خير من المرأة ، و منها المعرفات ، نحو : الإنسان حيوان ... و هذا القسم يسميه أكثر النحويين لام الماهية، و بعضهم الحقيقة و بعضهم الطبيعة .

ب– العهد الذهني[5]، و ذلك بأن يشار بها إلى الحقيقة ضمن فرد مبهم، نحو : ادخل السوق حيث لا سوق محددة ، و لا يراد الحقيقة لأنها لا تدخل ، و لا الجنس كله لاستحالة ذلك ، و نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: 13] ، و هذا و ما قبله قسم واحد عند النحويين و هي : لام الماهية، و تختلف عن لام العهد الذهني عند النحويين فهي ما كان لمعهود غير مذكور.

ج– الاستغراق[6] و هي التي يشار بها إلى الحقيقة ضمن جميع أفرادها ، و هي قسمان :

1- الاستغراق الحقيقي، و تأتي لتناول جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ حقيقة، حسب اللغة ، نحو قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ [الأنعام: 73] ، أي كل غيب و كل شهادة، و كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾ [العصر: 2] و قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[المائدة: 38]

2– الاستغراق العرفي : و هي التي يشار بها إلى الحقيقة ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ عرفا نحو: جمع الأمير الصاغة أي صاغة بلده أو مملكته لا صاغة الدنيا لاستحالة ذلك ، فالعرف يقتضي صاغة بلده

---

[1] – السبكي: عروس الأفراح، ج1 ،ص 285 .

[2] – الإيجي: الفوائد، ص 121 .

[3] – البابرتي: شرح التلخيص، ص 210 .

[4] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 185 .

[5] – الجرجاني محمد: الإشارات والتنبيهات، ص 41 .

[6] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 216 .

و لم يعن النحويون كثيرا بتقسيم الاستغراق إلى عرفي و حقيقي و إن أشار بعضهم إلى ذلك و إنما عنوا بأن الاستغراق يكون للأفراد أو خصائص الأفراد مبالغة و هو ما لم يتعرض له البلاغيون هنا ..

و قد شكك السّكاكي[1] بلام الحقيقة و الاستغراق، أما الحقيقة فمن وجهين:

1- إن كان المراد بها القصد إلى الحقيقة و تعريفها من حيث هي فيلزم ذلك أن تكون أسماء الأجناس معرفا لأنها تدل على الحقيقة ، فإن قيل أسماء الأجناس يراد بها الفردية نحو: رجل و فرس و بعير و ثور، فهذا مردود بالمصادر، نحو قيام و جلوس و ذكرى و رجعى لأنه لا يراد بها الوحدة.

2- إن قيل يراد بها الحقيقة باعتبار حضورها في الذهن لم تتميز من لام العهد الخارجي .

و أما تشكيكه بلام الاستغراق فمن وجهين كذلك :

1- أنّ اللام تدخل على الواحد، و هذا يؤدي إلى الجمع بين متنافيين .

2- أنه يمتنع نحو الرجل الطوال و الفرس الدهم، و لو صح الاستغراق لجاز الجمع . و رجح أن اللام نوع واحد، و هو تعريف العهد لا غير ، و رجحه الإيجي[2] الذي ذهب إلى أنّ اللام للعهد فقط ، أمّا الحقيقة فيفيدها جوهر اللفظ و أما التعميم و التخصيص فعارضان السّكاكي و البابرتي[3] ، و يرى السّكاكي أن لام الحقيقة هي لام العهد ، و ذلك بأن تنزل منزلة المعهود بطريقة من الوجوه الخطابية ، على أحد طريقتين: الحقيقة أو التهكم لأسباب و هي[4] :

أ. أن يكون الشيء محتاجا إليه فيكون حاضرا في الذهن كأنه معهود، نحو: الدينار خير من الدرهم.

ب. لأهمية الشيء و أنه عظيم الخطر ، و الهمم به معقودة فقلما ينسى، فهو بمنزلة الحاضر المعهود، نحو قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾ [الأنعام: 89] .

ج. لأنّه لا يغيب عن الحس، فهو بمنزلة المعهود نحو: الأرض مبسوطة و الماء ضروري للحياة.

د. لأنّه جار على الألسن ، كثير الدور في الكلام، نحو : نعم الرجل، و الرجل خير من المرأة.

هـ. لأنّ أسبابا في شأنه متآخذه، و مثل الطيبي بقول الشاعر :

يذكرنيك الجود و البخل و النهى ** و قول الخنى و العلم و الحلم و الجهل

فألقاك عن مذمومها متنزها ** و ألقاك في محمودها و لك الفضل[5]

---

[1] – المرجع نفسه : السّكاكي، ص 216.

[2] – الإيجي: الفوائد، ص12 .

[3] – البابرتي: شرح التلخيص، ص209 .

[4] – الطيبي: التبيان،ص7 .

[5] – البيتان لمسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء، تح خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة دمشق، ط 1995 ، ص375

و يرى القزويني[1] أنه لا تتنافى بين دلالة اللام على الاستغراق و دخولها على المفرد ،لأن الأداة تدخل على الاسم مجردا من الدلالة على الوحدة و التعدد، كما أنها بمعنى كل الافرادي لا المجموعي فقولك : الرجل أي كل فرد من أفراد الرجال لا كل الرجال. و أجاب عن تشكيك السّكاكي بلام الحقيقة بأنّ هذه اللام تدل على الحقيقة بقيد استحضارها في الذهن دون النظر لحصة معينة ، و تدل لام العهد الخارجي على فرد معين، أي على قدر من الحقيقة واحد أو إثنين أو ثلاثة ، و اسم الجنس النكرة يدل على الحقيقة دون اعتبار حضورها في الذّهن .

و اختار مذهب السّكاكي محمد بن علي الجرجاني[2] ، فهو يرى أنّ اللام للعهد فقط و ما سوى ذلك فمن القرائن مستفاد ، فإذا لم يوجد قرينة لم تخرج عن دلالتها على العهد، نحو ادخل السوق، و اشتر اللحم و لكنه خالف في نحو :

و لقد أمر على اللئيم يسبني ** فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

فهو يرى أنّ اللئيم هنا معين لاستحالة مروره بغير معين، و هو بذلك يخالف جمهور البلاغيين و النحويين من أنّ المقصود لئيم غير معين و استدل ببطلان دلالة اللام وضعا على هذه المعاني، أي أنّ الاشتراك في دلالة اللام على هذه المعاني خلاف الأصل، إلا بدليل، و لا دليل هنا .

و رجح العصام[3] مذهب السّكاكي ، و قال إنّه لا فرق بين العهد و الجنس فالأول لحصة منه و الثاني لماهيته و حقيقته، و جعل أحدهما للعهد و الآخر للجنس يعود لمعروض التعيين ،و هذا الكلام الحق و قد خفي على القزويني و التفتازاني.

و بقي القول إن ما تداوله البلاغيون في هذا الباب معان أصلية عني بها النحاة و توسعوا فيها، و أتى عليها البلاغيون دون جديد سوى بعض الفروق في التقسيمات و الاصطلاحات .

6 – المعرف بالإضافة ، وظائفه و دلالاته :

حدد البلاغيون مجموعة من الوظائف و الدلالات التي تكمن وراء التعريف بالإضافة و هي :

أولا– ألا يكون طريق إلى إحضار المراد في ذهن السامع سوى الإضافة[4]، و من أمثلة ذلك : غلام زيد حضر إذا كان المتكلم أو المخاطب لا يعرفان من طرق إحضاره سوى ذلك، و نقف هنا عند نقطتين :

---

[1] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص 124 .

[2] – الجرجاني محمد: الإشارات والتنبيهات، ص40

[3] – العصام: الأطول، ج1 ،ص314

[4] – السّكاكي: مفتاح العلوم،ص 186 .

1- لم يذكر القزويني هذا الاعتبار ، و علّل ذلك البابرتي[1] بأنّه تركه اعتمادا على ما ذكره في الموصولات و هو يقصد قول القزويني في الموصولات : (لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة)[2] و هذا غير مقبول لأنه يختص بالصلة فلا يمكن تعميمه اعتمادا على ذكاء القارئ، و أما السبكي[3] فعلّل ذلك بأن القزويني اكتفى عن ذكر ذلك بقوله: (لا يوجد طريق أخصر منهما) و هذا غير مقبول أيضا للفرق بين عدم وجود طريق أخصر ،و بين عدم وجود طريق غيرها أصلا، و قيل تركه إعراضا عنه لأنّه غير صحيح و ليس إلا تجويزا عقليا، فإن الإضافة تتضمن نسبة خبرية يصح جعلها صلة لموصول و رده[4] العصام بأن المصنف ترك غيره مما ذكره السّكاكي و هذا لا يدل على إعراضه عنه .

2- اعترض بأنّه يوجد طريق أخرى غير الإضافة لإحضار المسند إليه في ذهن السامع ، و أجيب بأنّ هذا تجويز عقلي لأنّ النسبة الإضافية ،تتضمن نسبة خبرية يمكن التعبير عنها بالموصول فيكون ثمة طريق أخرى ، فلو قلت: غلام زيد جاء، يمكن أن تقول : الغلام الذي لزيد جاء و دفع العصام هذا الاعتراض بأن النسبة الإضافية لاشتهارها و إلف المتكلم بها تكون حاضرة عنده، أمّا الموصول فيحتاج إلى إعمال و استخراج من النسبة الإضافية، فيصح قول البلاغيين: إنه لا طريق سواها إذ الإمكان لا ينافي نفي الشيء[5] .

و هذا الاعتبار من الاعتبارات التي أتعب البلاغيون أنفسهم بها و لا مدخل لها في البلاغة، فمن المعلوم أنّه عند عدم وجود طريق آخر يتعين هذا الطريق .

ثانيا– لأنّها أخصر طريق إلى إحضار المراد في ذهن السامع[6] و المقام مقام اختصار، و مثل البلاغيون بقول الشاعر :

هواي مع الركب اليمانين مصعد ** جنيب و جثماني بمكة موثق[7]

فقوله : هواي أي مهوي يريد حبيبه، و هو أخصر من قوله: الذي أهواه ، أو من أهوى و المقام يقتضي الاختصار لأن الشاعر قال ذلك و هو سجين عندما زارته محبوبته ثم تولت مسافرة و هذا يقتضي ضيق النفس الشعري و السآمة و الضجر، و لم يقيد القزويني كون المقام للاختصار و اشترط السبكي[1] التقييد .

---

[1] – البابرتي: شرح التلخيص، ص214

[2] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص115

[3] – السبكي: عروس الأفراح،ج1 ،ص308

[4] – العصام: الأطول، ج1 ،ص330

[5]– العصام: الأطول،ج1 ،ص330

[6] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 186 .

[7] – البيت لجعفر بن علْبة بن ربيعة الحارثي، والبيت منسوب له في السبكي،عروس الأفراح،ج1 ،ص 306 .

و اختلف في مراد السكاكي بأخصر طريق على قولين :

1- أن المراد أخصر كل ما يحضر لدى المتكلم أو المخاطب وقت الحديث ، لا أخصر طرق التعريف لأن أخصرها الضمير و هو رأي العصام[2] .

2- ظاهرة أخصر طرق التعريف ، و هذا لا يصح إلا مع الموصول ، فإن العلم و الإشارة و الضمير أخصر من الإضافة[3] .

و الأصوب في الجواب على ذلك أنّ أخصر طرق التعريف في إحضاره بالمفهوم الذي قصده المتكلم و هو إحضاره في ذهن السامع ملتبسا بالوصف لا احضاره في ذاته ، و بهذا تظهر أولية الاضافة ، فلو قال مثلا في البيت المتقدم : الذي أهواه ، أو من أهوى ، أو من أميل اليه ، كلن مفيدا لقصد السامع وهو أنّه مهوي له و لكن ليس بأخضر طريق فاستبعد الموصول ، و لو جاء بالاشارة وقال : هذه مع الركب اليمانين ،أو بالضمير فقال : هي مع الركب اليمانين ، أو أتى بعلمها فقال : هند مع الركب اليمانين لم يفد الوصف المراد الاّ أن يؤتي الوصف منفردا فيقول مثلا : هند محبوبتي مع الركب ... أو هذه محبوبتي مع الركب ... فلا يتحقق الاختصار المراد فاسبعد هذه الأشياء و لو أتى بالأداة لم يفد الوصف الاّ بواسطة الجار و المجرور فيقول : المحبوب لي ،فلا يكون أخطر طريق ، و هذا الجواب الذي حقّقه الشربيني[4] و الدسوقي[5] ،وفيه الاجابة الشافية .

ثالثا_لاغناء الاضافة عن التفصيل[6] ، وهذا الاعتبار لم يذكره القزويني في التلخيص ،و علّل السبكي ذلك بأنّه داخل تحت أخضر طريق ،فالاضافة تفيد الاختصار وتغني عن التعدد كما في قولك : قوم فلان أصحاب كرم ،فالاضافة تغني عن ذكرهم واحدا واحدا وتعدادهم ، وكان ينبغي أن يجعل هذا ضمن القسم السابق و جعلها السّيوطي كذلك[7] ،و اغناء الاضافة عن التفصيل له وجوه و أسباب :

1_ أن يكون التفصيل متعذرا[8] ،نحو قول الشاعر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ** أسود لها في غيل خفان أشبل[9]

---

[1] – السبكي: عروس الأفراح،ج1 ،ص306

[2] – العصام: الأطول،ج1 ،ص328

[3] – الدسوقي: حاشيته،ج1 ،ص628

[4] – الشربيني: فيض الفتاح، ج2 ،ص316

[5]– الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص628

[6] – القزويني: الإيضاح، ج1 ،ص 125 .

[7] – السيوطي: شرح عقود الجمان، ص19 .

[8] – السكاكي: مفتاح العلوم،ص 186 .

[9] – البيت لمروان بن أبي حفصة وهو أبو السمط مروان بن سلمان بن يحي بن أبي حفصة: ديوانه، تح حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط3 ، 1982، ص55 .

فقوله : بنو مطر مغن عن تعداد الأفراد لتعذر ذلك وصعوبته ،و نحو :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ** قبر ابن مارية الكريم المفضل[1]

و اتفق أهل الحق على كذا.

2_تعسر التفصيل[2] ، و لم يذكره السّكاكي و القزويني و يبدو أن ذلك اكتفاء بالسابق لتقاربهما و لكن فرق المغربي[3] بينهما بأن الأول مستحيل لا يمكن أما التعسر فممكن ولكن بصعوبة ، نحو : أهل القرية فعلوا كذا فإنّه ممكن ولكنه صعب متعسر .

3_ أن يكون في التفصيل سامة و ملل [4]، كقولك : جاء أصدقاء فلان، فانه لا تعسر و لا تعذر بتعدادهم و لكن خوفا من السامة و الملل و خاصة إذا كان العدد كثيرا، ولم يذكر القزويني و السّكاكي هذا السبب وكان على من ذكره أن يقيده بكون المقام مقام سامة وملل .

4_أن يكون في التصريح ذم أو إهانة و التصريح مستكره [5]، كقولك : علماء البلد مقصرون في إظهار الحق ،فانك لو عددتهم وذكرت أسماءهم و قلت : فلان وفلان ،لكان فيه تصريح بالذم ، وهذا الاعتبار ذكره التفتازاني و المغربي ، وهو الواضح من قول المغربي و المفهوم من كلام المطول ، ويبدو أن الدسوقي[6] فهم العكس وذكر أنّه يؤتى بالإضافة إذا كان القصد التصريح بالذم أو الإهانة كقولك : علماء البلد فعلوا كذا ، إذا كان الفعل قبيحا فعند التصريح بالاسم العلم لا يحدث مثل هذا الذم و اللوم،لأن الموجب للوم كونهم على علم وهو لا يتأتى إلا بالاضافة ، و الأولى ماذهب إليه المغربي فانك لو قلت مثلا : أهل البلد الفلاني جبناء ، لم يكن الذم كما لو صرحت بالاسم لأنه يحتمل التعميم و فيه شيء من الإخفاء .

5_أن يؤدي التفصيل إلى ترجيح لجهة دون وجه للترجيح[7] ، وذلك بأن يقتضي تقديم بعض الأفراد على بعض كأن تقول : توصل الى هذا الاكتشاف فلان و فلان و فلان ، فربما يؤدي للغيط و الحقد لأن كلا منهم يرغب أن يذكر أولا .

6_ خوفا من التصريح[8] : حيث يؤتى بالإضافة لأن فيها نوعا من الاخفاء و عدم التصريح بالاسم كقول الشاعر :

---

[1] – البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ص 365 .

[2] – التفتازاني: مختصر المعاني،ص 40 .

[3] – المغربي: مواهب الفتاح، ج1 ،ص223 .

[4] – ابن الناظم: المصباح، ص 108 .

[5] – التفتازاني: المطول، ص 234 .

[6] – الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص630 .

[7] – السّكاكي :مفتاح العلوم ،ص 186 .

[8] – الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص 630 .

قومي هم قتلوا أميم أخي ** فاذا رميت يصيبني سهمي[1]

فلو صرح بالاسم و قال فلان و فلان لأثار ضغينتهم و حقدهم عليه ، و هم قومه لا يستطيع ذلك معهم و قد مثل به السّكاكي و القزويني على الترجيح لجهة دون وجه للترجيح .

رابعا– أن تتضمن اعتبارا مجازيا لطيفا[2] ،وذلك بالاضافة لأدنى ملابسة و مثل البلاغيون بقول الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ** سهيل أذاعت غزلها في القرائب[3]

فسهيل بدل من كوكب، و يريد بالخرقاء المرأة الكسلى، فأضاف الكوكب للمراة الخرقاء و حصل بذلك نسبة سهيل اليهان و يقصد أنها كسلى تنام حتى يطلع سهيل، و سهيل يطلع في الشتاء و حينها تشتغل بالغزل و إعداد كسوة الشتاء، و منه قوله تعالى :﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠ ﴾ [النحل: 30] ، أضاف الدار للمتقين مع أنها لهم و لغيرهم لاختصاصهم بالنعيم الأكبر منها، و لم يذكر القزويني هذا الاعتبار .

خامسا– أن تتضمن الاضافة تعظيما أو تحقيرا[4] ، و يكون :

1– لشأن المضاف إليه، نحو: نبينا محمد، و عبدي حضر، يعظم نفسه بأن له عبدا، و صديق زيد لص يحقر شأن زيد بأنه يصادق لصا .

لشأن المضاف، نحو أمة محمد مرحومة، و عبد الخليفة قادم، و منه : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ ﴾ [الحجر: 42]، و من حق التحقير ولد الحجام قادم ، و قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩ ﴾ [المجادلة : 19] .

2– لشأن غيرهما نحو : عبد الخليفة زار فلانا ، و قائد الجيش يجالس فلانان و من التحقير : ولد الحجام يجالس فلانا .

و اعترض بأنّه يمكن تأدية ذلك بغير الإضافة ، فتقول مثلا: العبد الذي للسلطان زار فلانا، و أجيب بأنه لا تترجح الإضافة على غيرها بالتضمن المذكور إلا بشرط الاختصار و قيل لا يشترط اختصاص النكتة بما هي له أو أن تكون به أولى بل يكفي مجرد المناسبة بينهما[5] .

و قد اكتفى السّكاكي و القزويني بهذه الأغراض ناصيين على عدم الانحصار فيها و ذكر غيرهما دلالات أخرى و هي :

---

[1] – البيت بلا نسبة في السكاكي: مفتاح العلوم، ص 186 .

[2] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 187 .

[3] – البيت بلا نسبة في السكاكي: مفتاح العلوم، ص 187 .

[4] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 187 .

[5] – الدسوقي: حاشيته، ج1 ،ص629 .

أولا – لإخفاء المسند إليه عن غير المخاطب من السامعين[1]، نحو: صاحبك فعل كذا و صديقك تغير حاله .

ثانيا– للاستغراق و التعميم بأن يضاف إضافة هي من خواص الجنس دون الفرد[2]، نحو : خزامى الأرض طيبة الرائحة ، و فعل الله جميلن و مثل السيوطي بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: 63] ، أي كل أمر الله. و لم يذكر هذه الدلالة كثير من البلاغيين و قد تعجب السبكي من إهمال البلاغيين له و هي أداة من أدواته كأل.

ثالثا– أن تتضمن تحريضا على[3] :

1- الإكرام أو الإحسان نحو ك صديقك أتى إليك، و محبك بالباب ، و عبر عنه السيوطي بالترقيق[4] و ذكر أن السّكاكي ذكره و لم أعثر عليه في المفتاح.

2- الإذلال نحو : عدوك بالباب .

3- العطف نحو :﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ [البقرة: 233] .

رابعا– إن تتضمن استهزاء[5]،نحو قوله تعالى :﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: 27]

و بقي القول أنّ البلاغيين ذكروا هذه الأمور في باب التعريف، و الحقيقة أنّه لا مدخل للتعريف فيها ولا أثر ، و هي جارية في النكرة و المعرفة ، فلو قلت مثلا : صديق اللص يجالس زيدا ، و أنت تريد تحقير شأن زيد لا يختلف الأمر عن قولك : صديق لص يجالس زيدا بالتنكير ، و كقولك : موكب القائد مر من هنا، و موكب قائد مر من هنا، لتعظيم شأن المضاف، و قولك: عدو ببابك و عدو ببابك فظهر أنّه لا قيمة للتعريف فيها

ب – تعريف المسند :

يرى البلاغيون أن المسند يأتي معرفة لأمور هي :

أولا : لإفادة السامع حكما على أمر معلوم عنده بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم عنده بطريق من طرق التعريف[6] ، و له صورتان :

---

[1] – الدمنهوري: شرح الجوهر، ص60 .

[2] – السيوطي: الإتقان، ص 296 .

[3] – الطيبي: التبيان، ص 78 .

[4] – السيوطي: شرح عقود الجمان، ص19 .

[5] – التفتازاني: المطول، ص 234 .

[6] – السكاكي: مفتاح العلوم،ص 213 – 214 .

1- أن يتحد طريقا التعريف كقولك : الراكب هو المنطلق، و أخي صديقك، فالمسند و المسند إليه في الجملة الأولى معرفتان بالأداة و في الثانية بالإضافة .

2- أن يختلفا طريقا التعريف، نحو: المتنبي هو الشاعر ، و أنت الراكب، و زيد الماشي، فاختلفت طرق التعريف بين المسند و المسند إليه .

و قد يأتي لإفادة لازم الحكم و هو إفادة السامع إنّ المتكلم عالم بالحكم ، كقولك : زيد الراكب و أنت المثني علي لتعلم المخاطب انك تعلم ذلك .

ثانيا– لقصر المسند على المسند إليه[1] ، و ذلك عندما يكون المسند معرفا بلام الجنس، فتقول مثلا ك الله الخالق أو هو الخالق فتفيد قصر المسند على المسند إليه بأنه لا خالق غيره فالخلق مختص به و مقصور عليه و كقولك : زيد الأمير إذا لم يكن أمير سواه و عمرو القائد، و القصر نوعان[2] :

1- قصر حقيقي ، و ذلك في ما كان مطابقا للواقع نحو : الله الخالق لأنه لا خالق سواه حقيقة .

2- قصر مبالغة، بأن يكون خلاف الواقع و لكن تريد المبالغة في كمال معناه و اتصافه به حتى كأنّ الصفة لا توجد في سواه، كقولك : زيد الشجاع، و عمرو الكريم ، فتخرج الكلام في صورة توهم أن هذه الصفة لا توجد في سواه مبالغة في المدح أو الذم ، و هي تقابل الاستغراق المجازي عند النحويين . و القصر أيضا حقيقة أو مبالغة نوعان :

1- مطلق، أي غير مقيد بزمان و لا مكان و لا غيرهما نحو : خالد القائد و عمرو الشجاع.

2- مقيد أي محدد بزمان أو مكان أو صفة أو غيرهما نحو قول الشاعر :

هو الواهب المئة المصطفا ** ة إما مخاضا و إما عشارا [3]

فالشاعر يصف ممدوحه بالكرم و انه يهب المئة المصطفاة من الإبل ، و هو يقصر ذلك عليه، و لكن ليس إطلاقا بل حال كونها مخاضا أو عشارا .

و من أمثلة البلاغيين هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا أي في هذا الوقت فقط و أخالفهم في هذا المثال فليس المراد هنا تقييد الوفاء في هذا الوقت دون غيره بحيث يكون الممدوح وفيا في هذا الوقت فقط ، و إنّما المراد التعميم و الإطلاق بأنه وفي في كل وقت و حتى في هذا الوقت الذي ينعدم فيه الأوفياء غالبا، و إنّما خص هذا الوقت بالوفاء مبالغة في المدح.

و قد يعرف المسند بالأداة و لا يفيد القصر [4]كقول الشاعر :

---

[1] – الزملكاني: البرهان الكاشف، ص221 – 222 .

[2] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 138 .

[3] – البيت للأعشى في ديوانه، ص 51 .

[4] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 140 .

إذا قبح البكاء على قتيل ** رأيت بكاءك الحسن جميلا[1]

فالخنساء ترثي أخاها صخرا، و لا تريد أن تقول: إنّ الحسن الجميل محصور في بكائه لا حقيقة و لا مبالغة بحيث لا يتجاوزه إلى غيره، لأنّه لا يتحقق بإذا قبح البكاء ... كان بكاء مختصا بالحسنِ، فلا معنى للقصر و إنما المراد إخراجه من جنس بكاء غيره و إثبات الحسن له ، فهو في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكر.

و هذه الأنواع المفيدة للقصر حقيقة أو مبالغة في الجنس أو العهد لا يحسن العطف عليها بالفاء و نحوها، نحو : زيد المنطلق و عمرُو، و محمدُ الشجاعُ و زيدُ، بل يقال زيد و عمرو المنطلقان، و محمد و زيد الشجاعان.

و من المسائل التي تعرّض لها البلاغيون أثناء حديثهم عن التعريف المسند بالأداة الفرق بين الإخبار بالمعرفة و النكرة ، و عقد عبد القاهر الجرجاني[2] لها فصلا في دلائله ، و لها ثلاث صور :

- زيدٌ منطلقٌ .
- زيدٌ المنطلقُ .
- المنطلقُ زيدٌ .

يرى البلاغيون[3] أنّ الأولى تستخدم لمجرد الإخبار دون حصر أو تقييد ، فهي تقال لمن عرف زيدا و جهل انطلاقه فتفيده بأنه منطلق ، و امّا الجملة الثانية : (زيد المنطلق) فتقال لمن عرف زيدا و عرف أن انطلاقا حدث، و لكنّه لم يعلم أكان من زيد أم من غيره فتفيده أنّ زيدًا هو الذي انطلق لا غيره بناء على أن (ال) للعهد، و قد تفيد الحصر إذا كانت للجنس، و أما الصورة الثالثة فتقال لمن عرف أن انطلاقا حدث و لم يعرف أنه من زيد أو غيره فتفيده أن المنطلق هو زيد .

و تفيد الإضافة هذه المعاني أيضا، كقولك : زيدٌ أخوك ، و أخوك زيدٌ ، فالأولى لمن عرف زيدا و عرف لمن له أخا و لكنه لم يعرف أنّه زيد ، فتفيده أن زيدا هو أخوه،و الثانية لمن عرف أنّ له أخا و لكنه لم يعلم أنه زيد أو غيره فتفيده ذلك .

و هذا مبنيّ على قول النحويين في أنّه إذا كان المبتدأ و الخبر معرفتين فلا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ بل أيهما قدمت فهو المبتدأ، و قد خالف الرّازي[4] و عقد فصلا في نهاية الإيجاز لإبطال ذلك ، و ذكر أن المبتدأ

---

[1] – البيت للخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية :ديوانها، شرح وتح عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 ، 1985 ، ص82 .

[2] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز،ص 136 – 144 .

[3] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص213 – 214 .

[4] – الرازي: نهاية الإيجاز، ص 163 .

موصوف الخبر و الخبر صفة فما كان أولى في الوجود بأن يكون موصوفا فهو أولى بالابتداء، و ما كان أولى بالصفة فهو الخبر، فالذّات للابتداء و الصفة للخبر، فقولك : الله خالقنا و خالقنا الله، و محمّد نبينا و نبيّنا محمّد ، فإنّ الذات مبتدأ تقدمت أو تأخرت و الصفة خبر، غير أنّ البلاغيين[1] و يردون على ذلك بأنّ نحو : المنطلق زيد بتأويل الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد . فلا تتعين الخبرية لأحدهما و لا الابتداء لأحدهما ...

و بناء على رأي الرّازي تبطل الدلالات التي يستخرجها البلاغيون، و قد اعترض[2] بأنه لا صلة لها بالبلاغة ، و أن البلاغيين أجهدوا أنفسهم بالتفريق بينها، و الصحيح أنّها من البلاغة لما تحمله من دلالات تتعلق بالقصر و خاصة ما كان للمبالغة، فالبليغ يقدم و يؤخّر لأغراض يقصدها.

ثالثا – الإيهام أو العهد الوهمي أو التخيلي[3]، و لم يهتم البلاغيون به كثيرا مع أنّ عبد القاهر الجرجاني[4] تناوله في دلائله ، و تبعه الزملكاني[5] و العلوي[6] و مثلوا عليه بنحو : هو البطل المحامي و هو المتقى المرتجى، فليس التعريف للقصر كما في زيد المنطلقِ، و لا للمبالغة كما في هو الشجاع ، و لا لبيان أنه ظاهر في هذه الصفة كما في (بكاءَكَ الحسَنُ)، و لكن لأنّك تريد القول للمخاطب : هل سمعت بالبطل المحامي ؟

و هل حصّلت معنى هذه الصفة ؟ و كيف ينبغي أن يكون الشخص المستحق لها ؟

فإذا تصوّرت ذلك في عقلك و تخيّلتها فهي متمثلة في هذا الشخص المتحدّث عنه.

فاللّام كما يظهر عنده للحقيقة المعهودة من طريق الوهم و التخيل بأن تطلب من المخاطب تخيّل الصفة و تمثيلها، ثم تفيده أنّها متحققة بمن تتحدث عنه، و يزداد هذا المعنى وضوحا إذا كانت الصفة مجراة على موصوف نحو :

هو الرجل المشروك في جل ماله ** و لكنه بالخير و الحمد مفرد[7]

فليس المراد هنا القصر الحقيقي و لا المبالغة ، و لا بيان ظهوره فيها، و لكن تطلب من المخاطب أن يتخيّل شخصا لا يتميّز عن معارفه في ماله و أخذهم منه ما شاؤوا فإذا تخيلته و حصلت صورته فإنّه هذا الرجل الممدوح فانظر له بعين البصر .

---

[1] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 214 .

[2] – عيد: فلسفة البلاغة، ص73 .

[3] – الإيهام تعبير مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية، ص 121 .

[4] – الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 140 – 143 .

[5] – الزملكاني: البرهان الكاشف،ص 222 .

[6] – العلوي: كتاب الطراز،ج2 ،ص 23 .

[7] – لابن الرومي في ديوانه :ج2 ،ص 115 .

و يكثر في هذا القسم الإخبار بالذي نحو : أخوك الذي إن تدعه لملِمَّة يجبك، مرادك أن تقول : تخيّل و تصوّر ما هو الأخ الحقيقي و ما هي الأخوة فإذا تصورت ذلك فاعلم أن الأخ الحقيقي هو الذي إن...

وقد خفي فهم المراد منه على بعض المحدثين[1] و ذهبوا إلى أنّ المراد (بلوغ المسند إليه في الصفة و الكمال) مع أنّ عبد القاهر الجرجاني صرح بأنّ هذا ليس مرادا .

1 – التنكير :

كما هو الحال في التعريف ينطلق البلاغيون من مذهب جمهور النحويين في تناولهم للنكرة فهي ما دلّ على شيء لا بعينه[2] ،و قد وقف البلاغيون على مجموعة من الدلالات المستفادة من التنكير ، يقول الزملكاني : « قد يظنّ ظانّ أنّ المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى ، و يخفى عليه أنّ الابهام في مواطن خليق ، و أنّ سلوك الايضاح ليس بسلوك الطريق، خصوصا في موارد الوعد و الوعيد ، و المدح و الذّم، اللّذين من شأنهما التّشديد و علّة ذلك أن مطامح الفكر متعدّدة المصادر بتعدّد الموارد ، و النكرة متكثرة الأشخاص يتقاذف الذّهن من مطالعها إلى مغارها ، و ينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غارها ، فيحصل في النفس لها فخامة و تكتسي منها وسامة، و هذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنّها لواحد بعينه يثبت الذّهن عنده و يسكن إليه »[3] .

و قال في موضع آخر : قد يقفك التنكير و الابهام على التعريف و إفهام يعجز عنه تعريف العلم و يقصر عن صنيعه بيان القلم)[4].

2 – تنكير المسند إليه ،و ظائفه و دلالاته :

حدد البلاغيون مجموعة من الوظائف و الدلالات التي ينكر المسند إليه من أجلها، وهي :

أولا– الإفراد[5] ، أي لكون المقصود بالمسند إليه فرد غير معيّن من الأفراد التي يصدق عليها مفهوم الاسم النكرة ، فقد يكون واحدا، نحو رجل في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس: 20]، أو مثنى، نحو جاء رجلان، أي فرد مما يصدق عليه مفهوم المثنى و هو إثنان

---

[1] – عبدالرزاق حسن إسماعيل: النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية الأزهر، 1983 ، ص394 .

[2] – الزملكاني: كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الأنصاري، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن مطبعة العاني بغداد، ط 1،1964 ، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ص 50 .

[3] – الزملكاني: االبرهان، ص133 .

[4] – الزملكان: التبيان، ص52 .

[5] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 191 .

و قد يكون جمعا، نحو : جاء رجال، أي فرد مما يصدق عليه مفهوم الجمع و هو جماعة، من التنكير للإفراد قول الشاعر :

خيال لأم السلسبيل و دونها ** مسيرة شهر للبريد المذبذب [1]

فقد ذكر المرزوقي[2] أنّ تنكير الخيال لإرادة الوحدة و كأنّه كان يرى خيالها على هيئات مختلفة فاعتقد لاختلاف هيئته أنه عدّة خيالات لذا نكّر لإرادة واحد منها .

و اعترض بأنّ هذا أمر لغويّ لا مدخل له في البلاغة ، و أجاب المغربي[3] على هذا الاعتراض بأنّ المراد أن يؤتى بالنكرة للدّلالة على هذا المعنى و هو فرد غير معيّن لأنّ المقام لا يناسب غيره و جواب المغربي غير مقبول في رأيي لأنّ المقام إذا لم يناسب غيره تعيّن استعماله، و هذا أمر لغويّ يعرف باللغة لا البلاغة .

ثانيا– النّوعيّة[4] ،و يقصد بذلك الإفراد النّوعي ، أي الدلالة على نوع من أنواع اسم الجنس النكرة ، لأنّ التنكير كما يدل على الوحدة الشخصية يدل على الوحدة النّوعية ،و مثل القزويني بقوله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: 7].

تنكير غشاوة للدلالة على نوع من أنواع الأغشية غريب غير ما تعارف عليه الناس و هو غطاء التّعامي عن آيات الله تعالى و هو بذلك تابع للزمخشري[5] فيما ذهب إليه .

و مثل السّكّاكيّ بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ﴾ [النور: 45] و هو من غير باب المسند إليه، فالماء يراد به نوع مختص بتلك الدّابّة و هو النطفة، و كذلك دابّة يقصد بها كل أنواع الدّوابّ، و يحتمل الفردية أيضا أي كل فرد من افراد الدّوابّ من نطفة معينة و هي نطفة أبيه.

و من أمثلة ذلك قول الشاعر :

ذهب الرقاد فما يحسّ رقاد ** ممّا شجاك و نامت العوّاد[6]

ذكر المرزوقي[7] في شرح الحماسة أنّ الشاعر عرّف الرقاد أولا لإرادة الجنس ثم نكّره لإرادة نوع من الجنس كأنّه قال : ذهب النوم على اختلافه حتى لا يرى لنوع منه أثر مختص .

---

[1] – البيت للبعيث بن حريث بن جابر بن مسلمة الدؤلي شاعر محسن والبيت في المرزوقي، شرح ديوان الحماسة :ج1 ، ص 376 .

[2] – المرزوقي: شرح ديوان الحماسة،ج1 ،ص376 .

[3] – المغربي: مواهب الفتاح، ج1 ،ص224 .

[4] – القزويني: التلخيص، ص68 .

[5] – الزمخشري: الكشاف،ج1 ،ص93 .

[6] – البيت لعويف القوافي عوف بن معاوية بن عقبة بن حذيفة الفزاري :والبيت في المرزوقي، شرح الحماسة،ج1 ،ص 262 .

[7] – المرزوقي: شرح الحماسة،ج1 ،ص 262 – 263 .

و هذه الدلالة تكون بمعونة المقام و القرائن كما صرّح المغربي[1]، فليست قاعدة منضبطة .

ثالثا– التعظيم و التحقير[2] ، ينكّر المسند إليه ليدل على عظمة شأن مدلوله أو حقارته ، و وجه ذلك في الدلالة على الضّدّين أنّ الشيء في التّعظيم يكون من العظمة و علو المقدار بحيث لا يعرف كنهه ولا يبلغ مقداره و يكون في التحقير من الحقارة و دنو الشأن بحيث لا يلتفت إليه فلا يعرف فيكون مجهولا في جنسه على كلا التقديرين في كلتا الحالتين، و يمثل البلاغيون بقول الشاعر :

له حاجب عن كل أمر يشينه ** وليس له عن طالب العرف حاجب[3]

فالشاعر يصف ممدوحه بأنّ له حاجبا عظيما يمنعه من مساعدة من يطلبه معروفا فكيف بحاجب عظيم فالذّوق الرّفيع و الطبع السليم يقتضيان عند البلاغيين أن يكون الحاجب الأول للتعظيم و الثاني للتحقير، و مله قول الشاعر:

و الله مني جانب لا أضيعه ** و للهو مني و الخلاعة جانب[4]

فنكّر جانبا في الشطر الأول للتعظيم و في الثاني للتحقير ، ومن أمثلة السّكّاكي قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: 7] ، و سبق أنّ القزويني مثل بها على النوعية تبعا للزمخشري، و هي من بين الأمثلة التي خالف فيها السّكاكي الذي ذهب إلى أن تنكير غشاوة للتّعظيم و التّهويل، و يرى البابرتي[5] أنّ رأي السّكاكي أولى من القزويني لأن المقصود بيان بعد حالهم عن الإدراك، و هذا يحصل تامّا إذا كان المنظور إليه التّهويل و التّعظيم، و أمّا النّوعية فلا تكون مانعا من الإدراك منعا تاما.

و رجّح الشربيني[6] رأي القزويني فهو يرى أنّ جعله للتنويع أولى ليحدث التناسب بينه و بين تنكير عذاب لأنّ التنكير فيه للنوعية ، و أمّا التّعظيم فمستفاد من الوصف الصريح بعده، و قيل[7] إنّه لا تعارض بين الرأيين لأنّ الغشاوة العظيمة نوع من مطلق الغشاوة فتكون للتّعظيم و النّوعية في الوقت نفسه ، و من أمثلة التعظيم أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ [البقرة: 179]، و هي من الآيات

---

[1] – المغربي :مواهب الفتاح ،ج1 ،ص224 .

[2] – السكاكي :مفتاح العلوم، ص 194 .

[3] – البيت لابن أبي السمط حفيد مروان بن أبي حفصة في القزويني:الإيضاح، ج1 ، ص127 .

[4] – البيت بلا نسبة في السبكي: عروس الأفراح، ج1 ،ص 310 .

[5] – البابرتي: شرح التلخيص،ص217 .

[6] – الشربيني: فيض الفتاح، ج2 ،ص319 .

[7] – العصام: الأطول، ج1 ،ص332 .

التي توقف عندها المفسرون و البلاغيون[1] طويلا مبهورين بإعجازها ، و قالوا إن تنكير الحياة للتّعظيم ، و معنى الآية لكم في هذا الجنس من الحكم و هو القصاص حياة عظيمة لا يبلغ كنهها ، و ذلك لمنعه قتل جماعة بواحد كما هو شائع عند العرب ، و تحتمل أيضا النّوعية و يكون المعنى لكم :في هذا الجنس من الحكم نوع من الحياة و هي الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالقصاص فيسلم القاتل و المقتول ، و ذهب محمد بن علي الجرجاني[2] إلى أنّ الأولى كونها للتكثير لأنّ القصاص يستلزم بقاء كثير ممّن كان يمكن أن يقتلوا لولا القصاص ولا يستلزم التنويع أو التّعظيم ، و لزم[3] التنكير هنا لأنّ التعريف يقتضي أنّ الحياة في أصلها متسببة عن القصاص و ليس بصحيح، و إنّما المراد هنا الحياة في بعض الأوقات لا أصل الحياة ، و هي حياة مستأنفة بعد الهم بالقتل .

و من التنكير للتعظيم قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا ﴾ [البقرة: 25]، فنكّر الجنات و لم ينكر الأنهار.

لأنّه لا غرض في عظم الأنهار و سعتها خلافا للجنات[4]، و من غير باب المسند إليه قوله تعالى[5] : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة: 5]، فنكر هدى للتعظيم، و نحو قول الشاعر :

فلا و أبي الطّير المربّة بالضحى ** على خالد لقد وقعت على لحم[6]

فنكّر لحما للتّعظيم أي لقد وقعت على لحم أي لحم، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: 279] ،نكّر[7] كلمة حرب لإفادة التعظيم و التهويل، و يرى البلاغيون أنه أبلغ من حرب الله و رسوله، و الظاهر من كلام الزمخشري[8] أنها للتعظيم و النوعية و المعنى عنده فأذنوا بنوع من الحرب عظيم .

و من التعظيم قول الشاعر :

و أيقنت القبائل من جناب ** و عامر أن سيمنعها نصير[9]

---

[1] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 224 .

[2] – الجرجاني محمد: الإشارات والتنبيهات، ص43 .

[3] – ابن النقيب: مقدمة تفسيره، ص143 .

[4] – الزملكاني: البرهان الكاشف، ص 137 .

[5] – الزمخشري: الكشاف،ج1 ،ص 85 .

[6] – البيت لأبي كبير الهذلي في البغدادي :ج5 ،ص 75 .

[7] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 193 .

[8] – الزمخشري: الكشاف، ج1 ،ص349 .

[9] – البيت لهلال بن رزين الربابي أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد ، المرزوقي: شرح الحماسة،ج1 ، ص341 .

فقد ذكر المرزوقي أن تنكير نصير للتعظيم أي نصير من النصار كامل في معناه[1] .

رابعا– التّكثير و التّقليل[2] ، هذه الدلالة مبنية على ما قرره النحويون من أنّ النكرة قابلة للتكثير و التقليل و المعرفة غير قابلة لذلك، و وجه ذلك في الدلالة على الضدين أنّ الشيء يكون من الكثرة بحيث لا يعرف و لا يدرك كنهه و لا يحاط به فهو كالنكرة و أما في التقليل فهو من القلة بحيث لا يعرف و لا يلتفت إليه و لا يكاد يدرك ، و الفرق بين هذا و سابقه أنّ السابق يكون في الشأن و المقدار المعنوي ، أمّا هذا فيكون في الكميات و المقادير المادية .

و من أمثلة التكثير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعراف:113] فإنّ تنكير الأجر للتكثير، أي أجرا كثيرا كما قال الزمخشري[3] ، و نحو : إن له لغنما و إن له لإبلا يراد الكثرة و قيل[4] قد يكون التكثير مفهوما من إنّ لأنها تستخدم للدلالة على ذلك في نحو قولهم : إنّك لتصوم ، أي كثيرا و يدل على ذلك أنه لو قال : له إبل و له غنم، لخلت الجملة من الدلالة على الكثرة.

و من أمثلة التقليل قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة: 72] ، أي رضوان قليل من الله أعظم من ذلك كله .

خامسا– أن يمنع من التعريف مانع[5]، و لم يذكره القزويني و مثاله :

إذا سئمت مهنده يمين ** لطول الحمل بدّله شمالا[6]

فلم يقل يمينه و نكر لئلا يكون فيه تصريح بنسبة السآمة للممدوح ، و هذه الفائدة من البلاغة لأن مقتضى الظاهر في البيت أن يعرف بالإضافة لأنّه معروف معهود، غير أن الشاعر عدل عن الظاهر و نكر من أجل هذه العلة .

سادسا– ألا يعرف المتكلم أو السامع من حقيقة المراد إلاّ ذلك القدر من النكرة ، ولا يوجد طريق لتعريفه[7] ، و لم يذكره القزويني ، و من أمثلته أن تقول : جاء رجل عندي و عندي رجل، إذا كنت لا

---

[1] – المرزوقي: شرح الحماسة، ج1 ، ص341 .
[2] – الجرجاني محمد: الإشارات والتنبيهات، ص 43 .
[3] – الزمخشري: الكشاف، ج2 ،ص131 .
[4] – البابرتي: شرح التلخيص، ص218 .
[5] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 192 .
[6] – البيت للمعري في سقط الزند، ص 27 .
[7] – السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 192 – 194.

تعرف منه غير ذلك، و هذا ليس من البلاغة و أصاب القزويني حين أهمله، فإنّ عدم وجود طريق سواها يقتضي الإتيان بها و لا بلاغة في ذلك.

سابعا – التجاهل[1] ، و هو أن تتظاهر بأنّك لا تعرف من المراد إلّا ذلك القدر استهزاء و تهكما كأن تكون تعرف شخصا أتاك، ثم يسأل سائل عنه فتقول : ما جاء إلاّ حيوان، و منه من غير باب مسند إليه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۞ ﴾ [سبأ: 7] قالوا (رجل)[2] بالتنكير استهزاء به و هو مشهور عندهم يعرفونه حق اليقين .

ثامنا– الإخفاء على السامع لسبب ما[3] ، إمّا خوفا من المقصود، و إمّا رغبة في عدم معرفة المخاطب له، كأن يزورك شخص و لا تريد أن يعرفه أحد فإذا سألك سائل عنه تقول : زارني رجل و لم يذكر هذه الدّلالة أكثر البلاغيين مع أنها من البلاغة في الصميم .

و قد تعرّض عبد القاهر الجرجاني[4] للتنكير و لم يتمحل تمحل سائر البلاغيين المقننين، و إنّما عرض له من حيث الذوق الرفيع و الطبع السليم، و عرض نماذج للتنكير يظهر فيها أثره في أنس النفس به و تقبل الذوق له ، كقول الشاعر :

تنقل في خلقي سؤدد ** سماحا مرجى و بأسا مهيبا[5]

فقد توقف عند تنكير سؤدد و رأى أنه يروقه السامع، لأن الذوق يقبله، و الطبع يأنسه و كقول الشاعر :

فلو إذ نبا دهر و أنكر صاحب ** و سلط أعداء و غاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة ** و لكن مقادير جرت و أمور[6]

قال : إن تنكير دهر و ما بعده (صاحب و أعداء و نصير و نجوة و مقادير و أمور) يكسوه رونقا و طلاوة و حسنا و حلاوة .

---

[1] – السيوطي: والإتقان، ص294 .

[2] – الزمخشري: الكشاف،3 ،ص580 .

[3] – الدمنهوري: شرح الجوهر،ص 61 .

[4] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص ص 68- 69 – 72 .

[5] – البيت للبحتري في ديوانه :ج1 ،ص 47 .

[6] – البيتان لإبراهيم الصولي، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول: الأغاني، إعداد مكتب تح دار إحياء التراث، طبعة محققة على تسع نسخ مخطوطة ومصححة، دار إحياء التراث بيروت، ط1، 1994 ، ج 10 ،ص276 .

كما راقه[1] تنكير الرماح في قول الشاعر :

و لقد أغتدي يدافع ركني ** أحوذي ذو ميعة إضريج

سلهب شرجب كأن رماحا ** حملته و في السراة دموج[2]

فالشاعر يصف فرسه بالسرعة و القوة ، و يصف أقدامه بالطول كأنّها رماح .

و يبدو أنّ الحسن الذي راق الإمام الذواقة مرده للابهام في التنكير الذي يفسح المجال أمام الفكر و الخيال ليتأمل المرء ما يتأمل و يتخيل ما يتخيل من المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ .

3 – تنكير المسند، وظائفه و دلالاته :

يرى البلاغيون ان تنكير المسند للدلالات التالية :

أولا– لإفادة عدم الحصر و العهد[3]، لأن التعريف يفيد العهد في نحو : أخوك زيد و صاحبك المنطلق، تقول ذلك لمن كان بينك و بينه عهد، فإذا أردت عدم إفادة العهد نكرت لأنّ النكرة تدل على غير معين و غير معهود فتقول : صاحبك منطلق ، و سعيد جالس ، و أمّا عدم الحصر فلأنّه قد يستفاد من التعريف، نحو : زيد المنطلق، و محمد الكاتب، وإذا أردت عدم الحصر قلت:زيد منطلق، ومحمد شاعر،تريدا لإخبار فقط دون حصر أو عهد، واعترض بأنّ هذا الأمر يمكن أن يتحقق في المعارف نحو:

إذا قبح البكاء على قتيل ** رأيت بكاءك الحسن الجميل

فلا تفيد الحصر أو العهد وأجيب بأنّه لا يشترط اختصاص النكتة بما هي له،فلا يجب انعكاسها بحيث إذا عدم المسبب تنعدم، فعدم الحصر جائز مع التعريف والتنكير كما أنّه في التعريف على خلاف الأصل[4] .

ثانيا– التعظيم والتحقير[5]،ووجه ذلك في الدلالة على الضدين أنّه بلغ من العظمة مقدارا لا يكاد يعرف ولا يقادر قدره، ومع التحقير يكون بلغ من الحقارة قدرا لا يكاد يعرف به فيكون مجهولا، ومن أمثلة التنكير للتعظيم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة :2]،أي هدى أي هدى لا يبلغ

---

[1] – الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص.72

[2] – البيتان لأبي دوادٍ جارية بنِ الحجاج حذاقٍ الإيادي : الأغاني، ج 16 ،ص520 .

[3] – السكاكي: مفتاح العلوم،ص 211 .

[4] – الدسوقي: حاشيته، ج2 ،ص237

[5] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 212 .

كنهه،ومثل السّكّاكي بقوله تعالى:﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [الحج: 1]،ويبدو أنّ التعظيم مستفاد في هذه الآية من مجموعة أمور بمعونة السياق:بالتنكير الذي يعطي ضربا من الإبهام ، وبالوصف (عظيم) المفيد للتعظيم صراحة، وبلفظه شيء لأنها لفظة مبهمة تستعمل لكل ما يحتملها من موجود ومعدوم، وهذه الأمور تعطي مجالا للفكر إن ينطلق ليتخيل ما يتخيل من عظمة لأمر الساعة.

ومن أمثلة التحقير قولهم: ما زيد شيئا، وقيل أن التحقير مستفاد من نفي الشيئية في هذا المثال[1].

ثالثا– لحكاية المنكر[2]،والحكاية أن ينقل المتكلم كلام غيره مع إبقائه على صورته، ومن هنا ينقل النكرة على حالها وان كان عالما بجهة التعريف كأن يقول شخص ما عندي رجل، فتقول:الذي عندك رجل،وهذا لا يكون فيه بلاغة إلا إذا حمل على ما ذهب إليه الشربيني[3] من أنّ البليغ يبقي ذلك على صورته من التنكير لإفادة ما أراده المتكلم من التعظيم أو التحقير أو غيرهما، وهذا الاعتبار لم يذكره القز ويني ويبدو انه نظر إلى عدم فائدته البلاغية،والصحيح انّ هذا القسم من البلاغة بناء على رأي الشر بيني ويمكن أن يحمل عليه قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ ﴾ [سبأ:7] ،حيث نكّر كلمة (رجل) حكاية لقول المشركين المستهزئين،وذلك للدلالة على قصدهم وهو التجاهل والاستهزاء.

رابعا– إذا كان المسند إليه نكرة فإنّه يجب كون المسند نكرة[4]،فإنّه لا يوجد في كلام العرب مسند إليه نكرة ومسند معرفة، فلا تقول شاعر المتنبي ،وجالس محمد، وذاهب علي ،وهذا لا مدخل له في البلاغة وليس بفائدة مترتبة على التنكير، فلا وجه لذكر البلاغيين له، وقد أصاب القز ويني حين أهمله.

الدراسة في سورة سبأ:

أوّلاً: التقديم والتأخير

للجملة العربية أنماطٌ مثالية حدَّدها علماء النحو، أي أنَّ لكلِّ مفردةٍ مكانها المعهود الذي ينبغي أن تكون فيه، وهذا الترتيب مستنبطٌ من استقرائهم للنظم العربي، لكن . أحيانا . يخرج النظم عن هذه الأنماط المثالية فتتبادل المفردات مواقعها؛ لذلك نجد معظم مباحث النحاة مذيَّلةً بمبحث يتحدَّث التقديم والتأخير، ورصدُ النحاةِ لهذه الظاهرة على سبيل صحّة الأسلوب وخطئه، لا على سبيل تتبع مواطن الجمال والقبح فيه، ومن حيث ينتهي

[1] – المغربي: مواهب الفتاح، ج1 ،ص352 .
[2] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 210 .
[3] – الشربيني: فيض الفتاح،ج3 ،ص107 .
[4] – السكاكي: مفتاح العلوم، ص 210 .

عمل النحوي يبدأ عمل البلاغي، حيث يعمد إلى التأمُّلِ فيما تُثيرُهُ هذه الإنزياحات من إشعاعات فنيةٍ وجمالية ويربطها مع سياق المقام ليحكم عليها: أ وافقت مقتضى الحال فأصابت كبد الهدف المنشود من النظم أم فقدت المسار الصحيح فضلَّت طريقها فَضَلَّ معها المعنى المقصود ؟

ومن هذا المنعطف نعلم بأن ليس كل تقديمٍ وتأخير صحيحاً . في نظر البلاغي . وإن كان التقديم والتأخير صحيحا في نظر النحوي ، وبتعبيرٍ آخر: فإنَّ ما صحَّ بلاغيَّاً صحَّ نحويَّاً، ولا ينعكس، وحسب القاعدة التي سرنا عليها فإنَّ البلاغة تبحث عن المخالف للمعهود؛ لترى سبب خروجه عن هذا المعهود، ومن أبرز ميادين هذا الباب هو باب التقديم والتأخير، فتقديم ما حقُّه التأخير، وتأخير ما حقُّه التقديم، يجب أن يكونَ وراءه سبب وجيه يؤهِّلُه أن يرتقيَ سُلَّمَ الذوق الرفيع، والنسج البديع، الذي معه تنشرح النفوس، وتُضاءُ البصائر بنور البيان يقول عبد القاهر الجرجاني عن هذا الباب: " هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان " [1].

وقد قسّم البلاغيون التقديم والتأخير إلى ثلاثة أقسام هي[2]:

أ – تقديم المسند إليه.

ب – تقديم المسند.

ج – تقديم متعلِّقات الفعل.

ونأتي الآن إلى تطبيقات هذا الباب في سورة سبأ:

✓ **تقديم المسند إليه:** المسند إليه في الأصل يكون متقدِّماً على المسند؛ لأنه محكومُ عليه، والمسند بمثابة الحكم له، لكن إن كان هذا التقديم ينطوي على نكت ولطائف سيكون له مكان في مباحث علم البلاغة، وقد تحقَّق ذلك عندنا في ثلاثة مواضع هي:

1 / ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3]

تحدَّثنا عن هذه الآية، في موضوع الاستفهام، ولا نُريد أن نُطيل الوقفةَ معها هنا، فقط نُشير إلى أنَّ الموقف هنا لما كان موقف حساب وعقاب، أراد هؤلاء أن يدرؤوا عن أنفسِهم كلَّ ما من شأنهِ أن يُرديهم في قعر الجحيم، لذا استخدموا هذه الصيغة في ردَّ الكلام الموجَّه إليهم: أ نحن صددناكُم عن الهُدى ؟ الذي يُفيد

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ،ص 106 .

[2] – أحمد بن مصطفى المراغي: علوم البلاغة ص 101.

[3] – سورة سبأ :الآية 32 .

تخصيص المسند إليه بالمسند، فعلى قدر شدة التصاق الحكم بالمسند إليه في مثل هكذا مواضع، يكون انفِكاكُهُ عنه إن جاء في سياق النفي، ولما كان السياق هنا سياق استفهام إنكاري، كان في قوَّة النفي، كما يقول ابن عاشور: " وَأَتَى بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ قَبْلَ الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ فِي سِيَاقِ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ الَّذِي هُوَ فِي قُوَّةِ النَّفْيِ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ عَلَى طَرِيقَةِ: مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا "[1]، فجاء النظم على أفخم ما يكون حيث جمع بين الاستنكار الذي لا يتحقق بالنفي المجرَّد، ونفي الاختصاص الحاصل من صيغة الاستنكار.

2 / ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

وهذه الآية أيضاً مرَّت علينا في موضوع الإسناد الخبري، والآن ننظر إليها من زاويةٍ أخرى، وهي زاوية التخصيص الحاصل بتقدم المسند إليه (هو) على المسند الفعلي (يخلفه)، وبما أنَّ الموضعَ هنا موضعُ حثٍّ على الإنفاق، كان لا بُدَّ من زرع بذور القوَّةِ فيهِ والتأكيد على حسن الجزاء الذي ينتظر المنفقين، فجاء النظم بتقديم المسند إليه، على المسند الفعلي، وهذا يفيد العنايةَ والتخصيص؛ لأنَّه من باب تقدّم الفاعل (في الحقيقة) على الفعل، فحقُّ الفاعل التأخر عن فعله ولا يتقدَّم عليه إلاَّ لمزيَةٍ يريد المتكلِّمُ إثارتها وهي هنا (التخصيص)؛ لأنّ المخاطب لما يعلم أنَّ الذي يُخلِفُ ما يُنْفَق هو الله، سيكون ذلك حافِزاً له على المسارعة في صنع هذا المعروف ومن أكرمُ من الله وأبرُّ، وهو خيرُ الرَّازقين ؟.

3 / ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾[3].

تحقق في هذه الآية الكريمة دلالة التخصيص كذلك من خلال تقدُّم المسند إليه (ربِّي) على المسند الفعلي (يقذف)، وهذا . كما هو معلوم . يُفيد الاختصاص والاهتمام، يقول ابن عاشور: " وَتَقْدِيمِ الْمسند إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الِاخْتِصَاصِ دُونَ التَّقَوِّي لِأَنَّ تَقَوِّيَ الْجُمْلَةِ حَصَلَ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ. وَهَذَا الِاخْتِصَاصُ بِاعْتِبَارِ مَا فِي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ مِنْ مَعْنَى: النَّاصِرِ لِي دُونَكُمْ فَمَاذَا يَنْفَعُكُمُ اعْتِزَازُكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ " [4]

✓ **تقديم المُسند:** هو حكم يُسند إلى المسند إليه؛ لذا حقّه التأخير، فإذا تقدَّم كان ذلك انزياحا يحمل في طيَّاته مبرِّرات تقدُّمِهِ، فإذا فقد هذه المبرِّرات، كان تقدُّمه ضرباً من العبث والفساد، يذهب بروح المعنى، ويُخمدُ جذوة الفكرة، ولنأخذ هذه النَّماذِجَ من سورة سبأ:

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 22مج، ص 206 .

[2] - سورة سبأ : الآية 39 .

[3] – سورة سبأ : الآية 48.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 238.

1 / ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی لَهُۥ مَا فِی ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِی ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِی ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١ ﴾[1]

لقد جاءت طريقة النظم عجيبة في هذه الآية الكريمة، حيث افتُتحت السورة بصيغة المسند إليه ثم المسند (الحمد لله) على الترتيب الطبيعي، لما كان الحمد هنا في الحياة الدُّنيا، في حين تغير النظم بتقديم المسند على المسند إليه في قوله: (وله الحمد) لما كان ذلك في الآخرة، وسرُّ ذلك يبيِّنُهُ لنا ابن عاشور في هذه اللطيفة: " وَفِي هَذَا التَّحْمِيدِ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ الْغَرَضِ مِنَ السُّورَةِ. وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، أَيْ لَا حَمْدَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَهُ، فَلَا تَتَوَجَّهُ النُّفُوسُ إِلَى حَمْدِ غَيْرِهِ لِأَنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ فِي عَالَمِ الْحَقِّ فَلَا تَلْتَبِسُ عَلَيْهِمُ الصُّوَرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ جُمْلَةَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَإِنِ اقْتَضَتْ قَصْرَ الْحَمْدِ عَلَيْهِ تَعَالَى قَصْرًا مَجَازِيًّا لِلْمُبَالِغَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سورةِ الْفَاتِحَةِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ حَمْدَ غَيْرِ اللَّهِ لِلِاعْتِدَادِ بِأَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ، فَلَمَّا شَاعَ ذَلِكَ فِي جُمْلَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَأُرِيدَ إِفَادَةُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ حَقِيقَةً غُيِّرَتْ صِيغَةُ الْحَمْدِ الْمَأْلُوفَةِ إِلَى صِيغَةِ (لَهُ الْحَمْدُ) لِهَذَا الِاعْتِبَارِ "[2]، فتقديم المسند هنا لإفادة الحصر، أي أنَّ الحمدَ مقصور عليه . **سبحانه** . في ذلك الموطن، وهذا متأتٍ من طبيعة معنى الملكيَّة المرتبطة بـ (لام) الملك المتصلة بضمير الجلالة (له)، فلمَّا تقدَّمت صار لها الاهتمام؛ فكان حصر الحمد به أقوى لهذين الاعتبارين.

2 / ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾[3].

3 / ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥ ﴾[4].

في الآيتين الكريمتين تقدَّم المسند (لهم) على المسند إليهما (مغفرة) و (عذاب) على التوالي، كذلك لإفادة معنى الحصر والقصر، فكلُّ واحدٍ من هذين الصنفين مقدّم، فأهل المغفرة مقدَّمون في الخير، وأهل العذاب مُقَّدمون في الشرِّ، وتقدّم كل منهما إقتضى تقدّم المسند على المسند إليه لإفادة حصر الثواب والعقاب بكل منهما، وهذا ما يقتضيه الحال في هذا المقام.

ومواضع تقديم المسند كثيرة نكتفي بتحليل ما سبق، ونورد الباقي من غير تعليق:

4 / ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝١٩ ﴾[5].

5 / ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾[6].

---

[1] – سورة سبأ : الآية 1 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 136.

[3] – سورة سبأ :الآية 4 .

[4] – سورة سبأ :الآية 5 .

[5] – سورة سبأ : الآية 19 .

[6] – سورة سبأ : الآية 21 .

6 / ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

7 / ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

8 /﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

✓ **تقديم متعلّقات الفعل**: علمنا فيما مضى تقدم المسند إليه والمسند، ولكن قد يقع التقدّم في غير هذين العنصرين الأساسيين، مثل متعلقات الفعل كالمفعول به، والحال، والجار والمجرور، والظرف وغير ذلك، وأمثلته في سورة سبأ هي:

1 / ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾[4].

لما كان المقام هنا ذكر المنن التي أنعم الله بها على داوود . **عليه السلام** . اقتضى المقام تبيين عظمة هذا الفضل، فالمتفضل هو الله، وفضلُه . **سبحانه** . لا حصر له؛ لذا قدّم الجارّ والمجرور على المفعول (فضلا)؛ لتشريفه وتفخيمه، وذكر أبو السعود دلالة أخرى حقّقها هذا التقديم حين قال: " (مِنَّا) لتأكيد فخامتِه الذَّاتية بفخامته الإضافيّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[5]، وتقديمه على المفعول الصَّريح للاهتمام بالمقدم والتشويقِ إلى المؤخّر فإنَّ ما حقُّه التقديم إذا أُخِّر تبقى النَّفس مترقبة له، فإذا وردها يتمكَّن عندها فضل تمكّن "[6].

2 / ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[7].

اختلف أهل التفسير والنحاة في إعراب كلمة (كَآفَّة) الواردة في هذه الآية، فمنهم من ذهب إلى أنَّها حال من كاف الخطاب في قوله (أَرْسَلْنَاك)، ومنهم من قال إنَّها حالٌ من (لِّلنَّاس)، وشنَّع الزمخشري على من ذهب إلى الرأي الثاني على اعتبار أن الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور [8]، فإذا اعتبرنا الرأي الثاني صحيحاً سنلمح اهتماماً بقضيَّة عالميَّة الرسالة التي جاء بها الرسول . **صلى الله عليه وسلَّم** .، فلمَّا كان الاهتمام بهذا

---

[1] – سورة سبأ : الآية 22 .

[2] – سورة سبأ : الآية 30 .

[3] – سورة سبأ : الآية 37 .

[4] – سورة سبأ: الآية 10 .

[5] – سورة الكهف : الآية 65 .

[6] – تفسير أبي السعود ، ج7 ص 124 .

[7] – سورة سبأ : الآية 28 .

[8] – الزمخشري: الكشاف ، ج3 ،ص 583 .

الاتجاه؛ قدّم الحال على صاحبها لتحقيق الهدف المنشود، يقول ابن عاشور: " وَقَدَّمَ الْحَالَ عَلَى صَاحِبِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِهَا لِأَنَّهَا تَجْمَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِسَالَتِهِ كُلِّهِمْ "[1].

3 / ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2].

الآية الكريمة تتحدّث عن الذين يسعون في آيات الله بالصدّ عن سماعها، والطعن فيها وغير ذلك، فلمَّا كان هذا الجرم عظيماً، كان التخويف من اقترافه مهولا ومخيفا؛ لذا نرى الجار والمجرور (في العذاب) مقدّم على المتعلّق به (محضرون)، وهذا التقديم أفاد دلالة لم يكن ليفيدها وهو متأخّر، حيث تحقّقت دلالة تعجيل المساء لأنّ كلمة (مُحۡضَرُونَ) لاتدلّ على العذاب إن قُدِّمت، فالناس كلّهم محضرون في ذلك اليوم، برّهم وفاجرُهم ولكن لما تقدَّمت ظرفيَّة العذاب، صار الخوف أعظم، والوجل أشدُّ وأقوى، والله تعالى أعلم.

4 / ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

5 / ﴿ دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[4].

6 / ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[5].

هذه الآيات روعي في تقديم المتعلّقات فيها مسألة الفاصلة كما ذكر ابن عاشور: « وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ عَلَى يَعْبُدُونَ لِلِاهْتِمَامِ وَالرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ »[6].

ثانياً: الحذف والذكر

الحذف:

الناس يعبرون عن مشاعرهم وأغراضهم كلّ بلغته، وعادة ما يكون المنطوق أو المكتوب هو الدّالّ على المكنون وراء الضمير، وما هذه الكلمات الظاهرة إلاّ ترجمة لهذه المشاعر والأغراض الخفيّة، ويبرز هنا دور الكلمة ودلالتها في السّياق، ولكن لو كانت الأفكار لا تتحقق إلاّ إذا وضعنا أمام كل معنى كلمة، لكبّلت اللغة بقيود تتابع الكلمات، واحتيج للتعبير عن معنًى بسيط إلى كلام كثير يثقل كاهل النَّص، ويذهب برونق الفكرة، فضلا عمَّا يحقّقه الوضوح من سآمة تقتل الإبداع، وتوئد روعة التأمّل في كشف المعنى؛ لذلك مالت اللغات كافّة إلى

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص189 .

[2] – سورة سبأ : الآية 38 .

[3] – سورة سبأ : الآية 40 .

[4] – سورة سبأ : الآية 41.

[5] – سورة سبأ : الآية 42.

[6] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، مج 22 ،ص 222– 225.

الحذف تخفيفا عن كاهل اللغة، واستحسانا لوقع الألفاظ في كشف المخفي، وللغة العربيَّة القِدْحُ المعلَّى من ذلك ما دفع النحوي ابن جنّي لعقد فصل في كتابه (الخصائص) سمّاه (من شجاعة العربية) وقال: « اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف » [1]، والحذف فيه من المزايا التي يعجز الكلام عن وصفها؛ لما يحقّقه من لمسات فنيّة تنأى بك عن حمأة المباشرة والوضوح وتمنح المتلقي فرصة لكشف المعنى بكدِّ ذهنه، وإعمال فكره،كأنَّه ينظر إلى الفكرة من وراء غلالة رقيقة، يكمّل ما خفي منها بما بان فتحصل بذلك اللذة التي ترتقي باللغة إلى سماء الفنيّة التي تطمح اللغات للوصولِ إليها، يقول عبد القاهر الجرجاني عنه: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأَمر، شبيه بالسِّحْر، فإنك ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطقْ، وأَتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبن »[2] والحذف لا يكون محمودا على الإجمال إلاّ إذا دلَ عليه دليل من قرينة مقاليّة أو حاليّة تسعف المتلقي، ليهتدي بضوئها إلى المعنى المنشود، أمَّا إذا فقد الحذف شروطه فإنّه ينقلب وبالاً، وإغلاقاً، يضيعُ معه المعنى، وتختفي تحت رُكامه الفكرة، ويفقدُ فنِّيَّته المرجوّة، يقول ابن جنِّيّ: « قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته »[3].

ومثلما أنّ للتقديم مواضِع، فإنَّ للحذف كذلك مواضع وهي:

✓ **حذف المسند إليه:** تمثّل لنا في سورة سبأ في ثلاثة مواضع هي:

1 / ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

الآية تتحدّث عن سبأ في مسكنها وعيشها الهنيء، ويذكر الله إنعامه عليهم، وجاء قوله ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ تذييلا لهذا المعنى، ولما كان المسند إليه معلوما بقرينة السياق، كان حذف من كمال النظم، وروعة الإيجاز فحذف من الجملة الأولى المسند إليه (بلدتُكُم)؛ لدلالة (مسكنهم)، ومن الثانية (ربُّكُم) لدلالة كلمة (ربِّكُم) المتقدّمة، يقول الزمخشري: « يعنى: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره » [5]، ولو ذكرا في السياق لكان فيهما ثقلا، والقرآن مُنزَّهٌ عن ذلك، ويعلّل البلاغيّون مثل هذا الحذف بـ (الاحتراز عن العبث بذكره)، وذلك حين يكون المحذوف معلوما من السياق، ويسمي

---

[1] – ابن جني :الخصائص ، ج2 ص 362 .

[2] – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 146 .

[3] – ابن جني : الخصائص ،ج 2 ص 362 .

[4] – سورة سبأ : الآية 15 .

[5] – الزمخشري :الكشاف ،ج 3 ص575.

عبد القاهر الجرجاني هذا النوع من الحذف بالقطع والاستئناف حيث يقول: « ومن المواضع التي يطَّرد فيها حذف المبتدأ، "القطع الأول، ويَستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوْا في أكثر الأمر بخبَر من غير مبتدأ » [1].

2 / ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2].

(علاَّمُ) خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره (هو) على أحد وجوه ثلاثة هو أقواها، فالآية الكريمة تتحدّث عن الله . **عزَّ وجلَّ** . وجاء التذييل بالحديث عن الله فاكتفى السياق بذكر المسند، لدلالة كلمة (ربي) على المسند إليه.

✓ **حذف المسند**: ورد هذا الحذف في سورة هود في موضع واحد كذلك، في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ [3].

اللهُ يوجِّهُ رسولَه . **صلى اللهُ عليه وسلم** . لطرح سؤال على المنكرين لدعوته، عمَّن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ، ثمَّ يُجيبُ هو عن نفس السؤال بقوله: (اللهُ)، فلمّا ورد لفظ الرزق في صيغة السؤال، استغنى عن ذكره في الجواب؛ لأنّ السياق هنا لا يحتمل ذكره إلاّ على سبيل الحشو والإطالة، وحاشا كلام الله أن يلتبس بشيء من ذلك، ولو كان المقام هنا مقام توكيد لهذه المسألة، لكان وروده يدعم ويقوّي هذا الاتجاه ولكنّهم لم يكونوا ينكرون هذه القضية فانتفت الحاجة إلى التأكيد كما ذكرنا ذلك في موضوع توكيد الإسناد الخبري .

✓ **حذف متعلقات الفعل**: تمثل لنا هذا المسلك في مواضع من سورة سبأ نذكرها:

1 / ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ ﴾ [4].

حذف المفعول به (دروعا) الموصوف، وأبقى قرينته الدالّة عليهِ، وهي صفته (سابغاتٍ) يقول ابن عاشور: « وسابِغاتٍ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ لِظُهُورِهِ مِنَ الْمَقَامِ إِذْ شَاعَ وَصْفُ الدُّرُوعِ بِالسَّابِغَاتِ وَالسَّوَابِغِ حَتَّى اسْتَغْنَوْا عِنْدَ ذِكْرِ هَذَا الْوَصْفِ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْصُوفِ » [5].

2 /﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [6].

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ، ص 147.

[2] – سورة سبأ : الآية 48.

[3] – سورة سبأ : الآية 24 .

[4] – سورة سبأ : الآية 10 -11 .

[5] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص156 – 157 .

[6] – سورة سبأ : الآية 22 .

ورد في الآية حذفين متتاليين جاءا على أبدع ما يكون، فـ (زعم) من الأفعال التي تتعدَّى إلى مفعولين، إلاَّ أنَّنا لا نجد هذين المفعولين في السياق، لِنرَ ما يقوله الزمخشريّ في هذا الحذف: « فإن قلت: أين مفعولا زعم ؟ «قلت»: أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول. وأمّا الثاني فلا يخلو إمّا أن يكون من دون اللّه أو لا يَمْلِكُونَ أو محذوفا فلا يصح الأول، لأنّ قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلاما، ولا الثاني؛ لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم، وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد ؟ فبقى أن يكون محذوفا تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله:

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً﴾ [1] استخفافا، لطول الموصول لصلته، وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون اللّه والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما، فإذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين[2].

3 / ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [3].

حذف مفعول (يعلمون)؛ للقرينة المقاليّة الواردة قبل الفعل، وهي كلمتا (بشيراً ونذيراً)، " أَيْ لَا يَعْلَمُونَ مَا بَشَّرْتَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا أَنْذَرْتَ بِهِ الْكَافِرِينَ، أَيْ يَحْسَبُونَ الْبِشَارَةَ وَالنِّذَارَةَ غَيْرَ صَادِقَتَيْنِ "[4]، ونرى كذلك أنَ الحذف جاء مراعاة للفاصلة في هذا المقطع من السورة؛ لأنّ سورة سبأ جاءت على عدّة فواصل واحدة منها النون المسبوقة بحرف لين والله . تعالى . أعلم.

4 / ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [5].

وكذلك حذف ظرف (يستقدِمون)؛ لقرينة كلمة (تستأخرون) الذي نصب كلمة (ساعة) ظرفا له وبدلالة التضاد الحاصل بين (يستقدمون) و(يستأخرون) علمنا أنّ معمولهما واحد من حيث المعنى، وهو (ساعةً) والتقدير: لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ساعة، وجاء الحذف لداعيين هما: وجود قرينة تدلّ على المحذوف فيكون ذكره معها ضرب من الحشو والقرآن منزَّه عن ذلك مع عدم المبرِّر للذكر هنا، أعني مقتضى الحال، والثاني: مراعاة الفاصلة والله أعلم.

---

[1] – سورة الفرقان : الآية 41 .

[2] – الزمخشري :الكشاف ،ج 3 ، ص 579.

[3] – سورة سبأ :الآية 28 .

[4] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج 22 ،ص199 .

[5] – سورة سبأ : الآية 30 .

5 / ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وهذه الآية كسابقتها حذف مفعولا (يقدر) و (يعلمون)، الأوَّل لدلالة (يبسط) الذي نصب (الرزق) مفعولا له، وبقرينة التضاد الحاصل بين (يبسط) و (يقدر) علمنا المحذوف، وهو (الرزق)، وسبب حذف مفعول (يعلمون) هو نفس سبب حذف (يعلمون) في الآية 28.

6 / ((قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ))[2].

حذف الموصوف وأبقى صفته دالّة عليه، على عادتهم في حذف الموصوف وإبقاء الصفة، وقد ذكر ابن عاشور أوجها لهذا الحذف وأجاد بقوله: « وَ "واحدة" صفة لِمحذوف يدلّ عليه الْمقام وَيَفْرِضُهُ السَّامِعُ نَحْوَ: بِخَصْلَةٍ، أَوْ بِقَضِيَّةٍ، أَوْ بِكَلِمَةٍ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ تَقْلِيلُهَا تَقْرِيبًا لِلْأَفْهَامِ، وَاخْتِصَارًا فِي الِاسْتِدْلَالِ، وَإِيجَازًا فِي نَظْمِ الْكَلَامِ، وَاسْتِنْزَالًا لِطَائِرِ نُفُورِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ » [3].

الذكر:

مثلما يكون للحذف فنيَّةٌ وجمال، يكون للذكر كذلك، بيد أنَ مواطن فنيَّة الذكر تكون قليلة إذا ما قورِنت بمواطن فنيَّة الحذف، وبما أنّ الذكر هو الأصل في نظم الكلام؛ صار العدول عنه لقرينة فنيةً وجمالا، ولكن قد تتوفر القرينة، ومع هذا يكون الذكر، وهذا أيضاً لقرينة ترجّحُ وجوده حتَّى يدخل في فضاء الفنيّة التي مناط الحكم على النظم بكونِه بليغا أو لا، أمّا إذا لم تتوفّر القرينة على أفضلية وجود الذكر، صار وجوده عبئا ثقيلا وحجر عثرةٍ يعيق انسيابية وصول الفكرة إلى المتلقي، وبالتالي سيفقد النظم فنيّته التي تميزه عن الدلالة الوضعيّة التي لا رصيد لها في عالم البلاغة، وقد ذكر البلاغيّون جملة أسباب تجعل هذا الضرب من فنون البلاغة لازما في النظم منها: الإحتياط لضعف التعويل على القرينة، للتنبيه على غباوة السامع، لزيادة الإيضاحِ والتقرير، أو لإظهار تعظيمه، أو إهانتِه، أو لتبرُّكٍ بذكرِه، أو للتلذُّذ به، أو لكون الخبر عام النسبة إلى كُلّ مسند إليه، والمراد تخصيصه ولغير ذلك من الأسباب[4].

وقد تمثلّ هذا النوع من فنون البلاغة في عدَّة مواطن من سورة سبأ، نذكر منها:

- ✓ فعل الأمر (قُلْ) فقد ورد خمس عشرة مرّة في السورة، وأحيانا كثيرة يتوالى في سياقٍ واحد يمكن في غير القرآن حذفه، ولكن حينها لا يحقّق ما يحقّقُه ذكره نحو قوله تعالى:

---

[1] – سورة سبأ : الآية 36 .

[2] – سورة سبأ : الآية 46 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ، مج 22، ص 232.

[4] – السّكاكي: مفتاح العلوم ، ص 177.

1 / ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۖ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [1].

لقد تحدَّثنا عن هذه الآيات سابقاً، وقلنا إنَّها لما كانت تتحدَّث عن تأصيل أمور تتعلّق بتوحيد الله، كان مقتضى الحال أن ترفد بمزيد عناية وتوكيد، وكان للذّكر في هذا المقام مزيةٌ تجسّدت من خلال إعادة ذكر لفظ (قل) خمس مرَّات، يقول ابن عاشور عن هذه الآيات: " أُعِيدَ الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ رَابِعَ مَرَّةٍ لِمَزِيدِ الِاهْتِمَامِ وَهُوَ رُجُوع إِلَى مهيع الِاحْتِجَاجَ عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ فَهُوَ كَالنَّتِيجَةِ لِجُمْلَةِ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ " [2].

2 / ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣ ﴾ [3].

في هذا الموطن أيضا تكرّر فعل القول مرّتين في ظرف واحد افتتحت به هذه الآية، وبما أنّهما مستعملان لظرف واحد، وأن القول الثاني معطوف على الأوَّل، كان حذف الثاني لا يخلّ بالمعنى الأساس، ولكن ستفوت دلالة التفظيع من كلا القولين المستوحاة من إعادة ذكر فعل القول؛ لذا فمقتضى الحال أن يُعاد لفظ (قالوا) لهذا الملمح، يقول ابن عاشور: " وَأَتْبَعُوا وَصْفَ التَّالِي بِوَصْفِ الْمتلوّ بِأَنَّهُ كَذِبٌ مُفْتَرًى وَإِعَادَةُ فِعْلِ القَوْل للاهتمام بحكاية قَوْلهم لفظاعته وَكَذَلِكَ إِعَادَة فعل الْقَوْلِ إِعَادَةٌ ثَابِتَةٌ لِلِاهْتِمَامِ بِكُلِّ قَوْلٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ الْغَرِيبَيْنِ تَشْنِيعًا لَهُمَا فِي نَفْسِ السَّامِعِينَ فَجُمْلَةُ وَقالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ قالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ، فَالْفِعْلَانِ مُشْتَرِكَانِ فِي الظَّرْفِ " [4]، ومن خلال هذه الإلتفاتات الرَّائعة يظهر إعجاز القرآن بنظمه، ودقةِ تعبيره، بمراعاة مقتضى الحال.

ثالثا: الفصل والوصل

هذا مبحث دقيق المسلك، بعيد المرمى، له الفضل في القدرة على الربط بين الجمل، ومنه إلى فَهم المعنى ولا يتأتَّى ذلك إلاّ لمن دقّ تأمله، ورهُف حِسّه، وربط هذين المفهومين بعلم المعاني،هو ربط موفّق؛ لما فيهما من بعدٍ دلاليٍّ، تلطُفُ فيه الملاحظة، وينبني عليه الحكم، وجلّ مادّة تفسير كتاب الله الكريم مبنيّة على الفصل

[1] – سورة سبأ : الآية 24 –27 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، مج 22 ،ص 196 .

[3] – سورة سبأ : الآية 43 .

[4] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ، مج22، ص226.

والوصل، فبهما تُربط الأفكار، وتكتمل المعاني، وتحدّد الأحكام، فكم من الاختلافات حصلت في أحكام، مرجعها إلى الاختلاف في فهم الوصل والفصل؛ ومن هنا تكمن أهميّته.

أمّا دور البلاغة في تناول هذين المفهومين فيستجلي في رصد دقّتهما في الاستخدام، من حيث تناغُمهما مع مقتض الحال، وتسجيلِ مواطنِ القوّة والضّعف في تحقيقِ المعنى المنشود، مع تأثير ذلك على النفوس السويَّة فيكون لموطن الفصل أو الوصل إشعاع كريم، ولمسة حانية إنْ وافقا المقام المناسب لهما، وظلمة محيّرة في منعطفات المسير إن خالفا المقام.

وننطلقُ الآن لرصد شيء من هذه المواطن في سورة سبأ:

نأخذ موضعا واحدا تمثّل فيه هذا المسلك تمثلا واضحا، وحقّق فيه الوصل دون الفصل نكتة لطيفة ما كنا لنعرِفها لولا هذا النظم، وهو قوله تعالى:

1 / ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

تحدَّث المفسِّرون عن هذه الآيات، وسبب وصل القولين الأولين، وفصل القول الأخير باستخدام حرف العطف الواو (وقال)، حيث أنَّ العطف هنا حقَّق لنا معنًى مغايراً عن معنى الكلام لو جاء بغير عطف، حقيقة لا يمكن إدراك هذا الفارق بمجرّد قراءة أولية للآيات، حتَّى تعاد أكثر من مرّة، ويكدّ فيها الذهن، وربما ينقضي الوقت ولا يدرك الفرق، يقول الزمخشري: « وقيل وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ؟ قلت: لأن الذين استضعفوا مرّ أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف، ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين، فعطف على كلامهم الأوّل »[2]، نلاحظ أنّ الزمخشري اعتبر المحاورة الأولى بين المستضعفين والمستكبرين كالكلام الواحد كلامٌ وردّ عليه، فلمّا عاد الكلام إلى المستضعفين كأنها بدأت جولة جديدة؛ ومن هنا كان العطف بالواو على الجولة الأولى.

و أورد الآلوسي رأيين في هذه المسألة: « و لما كان هذا القول رجوعا منهم إلى الكلام دون قول المستكبرين (أنحن صددناكم) فإنه ابتداء كلام وقع جوابا للاعتراض عليهم جيء بالعاطف هاهنا ولم يجيء به هناك على ما اختاره بعضهم، وقيل: إن النكتة في ذلك أنه لما حكي قول المستضعفين بعد قوله تعالى :

---

[1] – سورة سبأ : الآية 31 –33.

[2] – الزمخشري : الكشاف ، ج 3 ،ص 585.

﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ كان مظنة إن يقال: فماذا قال الذين استكبروا للذين استضعفوا وهل كان بين الفريقين تراجع ؟ فقيل: قال الذين استكبروا كذا، وقال الذين استضعفوا كذا فأخرج مجموع القولين مخرج الجواب وعطف بعض الجواب على بعض فتدبر »[1].

وقد أشار ابن عاشور إلى لطيفة عجيبة، ونكتة ظريفة، تكشف عن دقّة نظره، وسعة علمه، حيث قال: « لَمْ تَجْرِ حِكَايَةُ هَذَا الْقَوْلِ عَلَى طَرِيقَةِ حِكَايَةِ الْمُقَاوَلَاتِ الَّتِي تُحْكَى بِدُونِ عَطْفٍ عَلَى حُسْنِ الِاسْتِعْمَالِ فِي حِكَايَةِ الْمُقَاوَلَاتِ كَمَا اسْتَقْرَيْنَاهُ مِن اسْتِعْمَالِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ وَقَدَّمْنَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2]، فَجِيءَ بِحَرْفِ الْعَطْفِ فِي حِكَايَةِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَعَ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ جَاوَبُوا بِهَا قَوْلَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ الْآيَةَ لِنُكْتَةٍ دَقِيقَةٍ، وَهِيَ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَقَالَةَ الْمُسْتَضْعَفِينَ هَذِهِ هِيَ فِي الْمَعْنَى تَكْمِلَةٌ لِمَقَالَتِهِمْ المحكية بقوله: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ تَنْبِيها على أَن مقالتهم تَلَقَّفَهَا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا فَابْتَدَرُوهَا بِالْجَوَابِ لِلْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُنَالِكَ بِحَيْثُ لَوِ انْتَظَرُوا تَمام كَلَامهم و ابلعوهم رِيقَهُمْ لَحَصَلَ مَا فِيهِ إِبْطَالُ كَلَامِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ قَاطَعُوا كَلَامَهُمْ مِنْ فَرْطِ الْجَزَعِ أَنْ يُؤَاخَذُوا بِمَا يَقُولُهُ الْمُسْتَضْعَفُونَ.

وَحُكِيَ قَوْلُهُمْ هَذَا بِفعل الْمَاضِي لِمُزَاوَجَةِ كَلَامِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِأَنَّ قَوْلَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ تَكْمِلَةً لِقَوْلِهِمُ الَّذِي قَاطَعَهُ الْمُسْتَكْبِرُونَ، انْقَلَبَ جَوَابًا عَنْ تَبَرُّؤِ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا صَدُّوا الْمُسْتَضْعَفِينَ عَنِ الْهُدَى، فَصَارَ لِقَوْلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مَوْقِعَانِ يَقْتَضِي أَحَدُ الْمَوْقِعَيْنِ عَطْفَهُ بِالْوَاوِ، وَيَقْتَضِي الْمَوْقِعُ الْآخَرُ قَرْنَهُ بِحَرْفِ بَلْ وَبِزِيَادَةِ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ. وَأَصْلُ الْكَلَامِ: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ إِذْ تَأْمُرُونَنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ الخ. فَلَمَّا قَاطَعَهُ الْمُسْتَكْبِرُونَ بِكَلَامِهِمْ أُقْحِمَ فِي كَلَامِ الْمُسْتَضْعَفِينَ حَرْفُ بَلْ إِبْطَالًا لِقَوْلِ الْمُسْتَكْبِرِينَ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَبِذَلِكَ أَفَادَ تَكْمِلَةَ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَالْجَوَابَ عَنْ تَبَرُّؤِ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَلَوْ لَمْ يَعْطِفْ بِالْوَاوِ لَمَا أَفَادَ إِلَّا أَنَّهُ جَوَابٌ عَنْ كَلَامِ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَطْ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ الْإِيجَازِ.»[3].

[1] – الآلوسي روح المعاني : مج 11 ،ص 320 .

[2] – سورة البقرة :الآية 30 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22، ص 207 . 208 .

رابعا: الإيجاز والإطناب

هذه المفردات الثلاثة لها مدلولاتها في علوم البلاغة، وبما أنَّ لكل مقام مقالا . كما قيل . صار نظم الكلام نابعا من طبيعة المقام، فأحيانا يكون بسط الكلام والإسهاب هو الدواء للداء، وأحيانا يكون الاختصار و الإقصار أبلغ في الإيصال، وأنجع في المقال، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حتى أن أغلبهم حصر البلاغة في باب الإيجاز والإطناب، كما ورد عن أحد الأعراب حين سُئل عن البلاغة فقال: « الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل » [1]، وكذلك قول معاوية . **رضي الله عنه** . لصحَار بن عياش العبدي [2]: ما تعدُّون البلاغة فيكم ؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز ؟ قال: أن تُجيب فلا تُبطئ، وتقول قول فلا تُخطئ، وهذا ابن المقفَّع "سئل ما البلاغة ؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل.

فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة[3]، فلكلٍ من الإيجاز والإطناب مقامات تقتضيهما، فمقامات الإيجاز: الحكم والأمثال، ومقامات الإطناب: كالمدح والفخر والوعظ وغير ذلك، وما يحسن فيه الإيجاز لا يحسن فيه الإطناب، والعكس صحيح، يقول الجاحظ: « وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها. والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقلّ مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة.» [4].

الإيجاز:

عرّفوه بتعريفات عديدة، منها: " هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط " [5] وقالوا: " هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه. " [6]، وقالوا كذلك: " هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها " [7]، وأخيراً قالوا عن البلاغة هي: " إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى " [1]، وهذا هو عين الإيجاز.

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين ، ص 17 .

[2] – صحار بن عياش (أو عباس) بن شراحيل بن منقذ العبديّ،صحابيٌّ من بني عبد القيس، يُنظر في ترجمته : الإكمال لشمس الدين إبي المحاسن الدمشقي ،ص 201 .

[3] – الجاحظ : البيان والتيين ، 114.

[4] – الجاحظ: الحيوان ، ص322.

[5] – السكاكي:مفتاح العلوم ،ص 277 .

[6] – ابن الأثير :المثل السائر ،ج 2 ،ص 212.

[7] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي:جواهر البلاغة ،ص 197.

فالملاحظ على هذه التعريفات أنَّها تتفقُ جميعُها في قلة الألفاظ وزيادة المعاني، أمَّا إذا اختزلت الألفاظ واختلّ المعنى، فلا يسمّى ذلك إيجازا بل يسمّى إخلالا؛ لأن شرط الإيجاز عدم إخلاله بالمعنى المقصود مع قلة الألفاظ، وينقسم إلى نوعين، هما:

أ – إيجاز قصر: هو تضمين الكلمات القليلة معان كثيرة، من غير أن يكون هناك حذف، وقد تجسّد هذا الضرب من فنون البلاغة في موضع واحد من سورة سبأ، ولم تشر إليه التفاسير التي اطَّلعنا عليها، وهو قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [2]، فهذه الآية جاءت في معرض الحديث عن مملكة سبأ التي أبادها الله بسبب كفر أهلها، وعنادهم، بعد الإنعام عليهم بنِعَمٍ لا تعدّ ولا تحصى، فبعد أن ذكر موجبات إهلاكهم التي تجاوزت الحدود كان ينبغي أن يأتي العقاب موافقا لإجرامهم، ولكنَّنا نرى السياق القرآني اكتفى بأن يقول: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾، من غير تفصيل في دقائق طريقة الإهلاك، مما يجعلنا نتخيَّل وخامة هذه الإبادة، بحيث يتحوّل أهلُها من واقع ملموس، إلى أحاديث تدور على الألسُن والصفحات تتناقلُها الأجيال عبر مسيرة التاريخ الطويلة، يذكرون أخبارهم للتندُّر والعبرة، فذهبوا مذهب الأمثال، وهذا مصداق المثل الجاري على لسان العرب: " تفرَّقوا أيادي سبأٍ " [3]، فأيُّ إيجاز بعد هذا الإيجاز، فنحن هنا لا نلمح حذفا في الكلام، ومع هذا نرى غزارة معنى، فهذا هو إيجاز الحذف، يقول ابن عاشور: « وَمَعْنَى فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ جَعَلْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْجَنَّاتِ وَفِي بُحْبُوحَةِ الْعَيْشِ أَحَادِيثَ، أَيْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَصَارَ وُجُودُهُمْ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقِصَصِ وَأَبَادَهُمُ اللَّهُ حِينَ تَفَرَّقُوا بَعْدَ سَيْلِ الْعَرِمِ فَكَانَ ذَلِكَ مُسْرِعًا فِيهِمْ بِالْفَنَاءِ بِالتَّغَرُّبِ فِي الْأَرْضِ وَالْفَاقَةِ وَتَسَلُّطِ الْعَوَادِي عَلَيْهِمْ فِي الطرقات كَمَا ستعلمه. وَفِعْلُ الْجَعْلِ يَقْتَضِي تَغْيِيرًا وَلَمَّا عَلَقَ بِذَوَاتِهِمُ انْقَلَبَتْ مِنْ ذَوَاتٍ مُشَاهَدَةٍ إِلَى كَوْنِهَا أَخْبَارًا مَسْمُوعَةً. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ هَلَكُوا وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِمْ. وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: دَخَلُوا فِي خَبَرِ كَانَ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَحَادِيث لَا يَخْلُو مِنْهَا أَحَدٌ وَلَا جَمَاعَةٌ.» [4].

ب – إيجاز حذف: هو ما كان الإيجاز فيه عائد إلى الحذف، لا إلى دلالة المعنى، وتحدث البلاغيون عن أنواع من هذا الحذف:

---

[1] – ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص 242 .

[2] – سورة سبأ :الآية 19 .

[3] – الزمخشري :المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 8 ، 1987 ،ج2 ،ص88.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، مج 22 ،ص 178 .

- **حذف جزء من الكلمة (حرف أو أكثر)**: وتحقق هذا في قوله تعالى من سورة سبأ:﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1] فكلمة (نكير) مضافة إلى ياء المتكلّم، وحذفت هذه الياء تخفيفا كما قال المفسّرون، فبذلك تحقّق الإيجاز بحيث لم يتغير المعنى بحذف هذا الجزء.
- **حذف كلمة أو أكثر**: وتحقّق هذا الحذف في مواطن كثيرة من سورة سبأ، نذكر منها، حذف القول وبقاء المقول، وهذا من مقامات الإيجاز، نحو قوله تعالى:

1 /﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾. [2]

جملة ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾، مقول قولٍ محذوف تقديرُه: (قلنا)، أو (قائلين)، يقول ابن عاشور: « وَجُمْلَةُ يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ مَقُولُ قَوْلٍ مَحْذُوفٌ، وَحَذْفُ الْقَوْلِ اسْتِعْمَالٌ شَائِعٌ، وَفِعْلُ الْقَوْلِ الْمَحْذُوفِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا لِجُمْلَةِ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا » [3].

2 / ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [4].

نحن الآن أمام مشهد من مشاهد يوم القيامة، أنفاس محبوسة تنتظر مصيرها، وهذا المشهد صاغته آية جاءت بصيغة الشرط والجزاء، ولكنّنا هنا لا نلمح الجزاء (جواب الشرط)، وحذف هذا الجزء المهم من الكلام يجعل النفس تذهب في معرفتِهِ كُلَّ مذهب، وبالتالي الحذف هنا أدّى وظيفة التهويل التي لا تتحقّق إلا به « أُرْدِفَتْ حِكَايَاتُ أَقْوَالِهِمْ وَكُفْرَانِهِمْ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ أَصْنَافِهَا بِذِكْرِ جَزَائِهِمْ وَتَصْوِيرِ فَظَاعَتِهِ بِمَا فِي قَوْلِهِ: وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ الْآيَةَ مِنَ الْإِبْهَامِ الْمُفِيدِ لِلتَّهْوِيلِ... وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ لِلتَّهْوِيلِ وَهُوَ حَذْفٌ شَائِعٌ. وَتَقْدِيرُهُ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَجَبًا. » [5]، وبهذا تحقّق لنا الإيجاز الذي يتناسب ومقتضى الحال، ومثل ذلك قولُه تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [6].

---

[1] – سورة سبأ : الآية 45 .

[2] – سورة سبأ : الآية 10 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 156 .

[4] – سورة سبأ :الآية 31 .

[5] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22، ص 203 .

[6] – سورة سبأ :الآية 51 .

3 / ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1].

سنترك التعليق على هذه الآيةِ كلَّهُ لابن عاشور الذي علَّق فأجاد: « جَاءَ تَفْصِيلُ بَعْضِ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَأَنَّ الَّذِينَ يَرْجُونَ أَنْ يُشَفَّعَ فِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ مِمَّنْ هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يَشْفَعَ وَهُمْ فِي فَزَعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ أَنْ لَا يُؤْذَنَ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ، فَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَشْفَعَ زَالَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَاسْتَبْشَرُوا إِذْ أَنَّهُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِ الَّذِينَ قُبِلَتِ الشَّفَاعَةُ فِيهِمْ، أَي وأيس المحرومون مِنْ قَبُولِ الشَّفَاعَةِ فِيهِمْ. وَهَذَا مِنَ الْحَذْفِ الْمُسَمَّى بِالِاكْتِفَاءِ اكْتِفَاءً بِذِكْرِ الشَّيْءِ عَنْ ذِكْرِ نَظِيرِهِ أَوْ ضِدِّهِ، وَحُسْنُهُ هُنَا أَنَّهُ اقْتِصَارٌ عَلَى مَا يَسُرُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ.

وَقَدْ طُوِيَتْ جُمَلٌ مِنْ وَرَاءِ حَتَّى، وَالتَّقْدِيرُ: إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَيَوْمَئِذٍ يَبْقَى النَّاسُ مُرْتَقِبِينَ الْإِذْنَ لِمَنْ يَشْفَعُ، فَزِعِينَ مِنْ أَنْ لَا يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ زَمَنًا يَنْتَهِي بِوَقْتِ زَوَالِ الْفَزَعِ عَنْ قُلُوبِهِمْ حِينَ يُؤْذَنُ لِلشَّافِعِينَ بِأَنْ يَشْفَعُوا، وَهُوَ إِيجَازُ حَذْفٍ.» [2]

الإطناب:

عرَّفه علماء البلاغة بأنَّهُ: « زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد " [3]، ومن خلال التعريف نتبيَّن حقيقةَ هذا اللون البلاغي، فهو إذن زيادةٌ في الألفاظ، بشرط أن تُحقِّقَ فائدةً جديدةً، لا من قبيل فائدة الترادف التي تحقِّق فائدة ولكنها فائدة لغوية تدور في فلك المعنى الأساس، من غير تكرار في اللفظ كالتي تستخدم للتوكيد اللفظي، وهذه الأمور . مجتمعةً . هي التي تسوِّغُ الانبساط في الحديث، وإن زاد اللفظ عن المعنى أمَّا إذا تخلَّف شرطُه فسينقلب الإطناب حشواً وتطويلاً، تضيع في ثناياه فرصة التقاط الفكرة، وفنيَّة العبارة، والآن نأتي إلى سورة سبأ لنرى ما تحقّق فيها من هذا الضرب ضروب البلاغة:

1 / ﴿ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾. [4]

تذكر الآية أهل سبأ بعد أن بدَّل الله حالهم من النعمة إلى النقمة، حيث أصبح بدل تلك الأشجار اليانعة الثمار، الكثيرة الظلال، أشجار مجمة الثمار، عديمة النفع إلاَّ السدر فإنّه أَكْثرها ظِلًّا وأنفعها لِأَنَّهُ يُغْسَلُ بِوَرَقِهِ مع الْماء فينظف وفِيه رائحة حسنة، إلاّ أنّ وجوده لا قيمة له؛ لأنَّه قليلٌ، فلَّما أراد أن يؤكِّد قلَّته ذكر قلمة (قليل) التي جاء ذكرُها هنا إطناباً؛ لأنَّ القلَّة مفهومة من لفظ (شيء) التي تدلُّ على هذا المعنى، يقول

---

[1] – سورة سبأ :الآية 23 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22، ص 189.

[3] – العلوي: الطراز ، ص 123 .

[4] – سورة سبأ :الآية 16 .

ابن عاشور: « وَزِيدَ تَقْلِيلُهُ قِلَّةً بِذِكْرِ كَلِمَةِ شَيْءٍ الْمُؤْذِنَةِ فِي ذَاتِهَا بِالْقِلَّةِ. يُقَالُ: شَيْءٌ مِنْ كَذَا، إِذَا كَانَ قَلِيلًا »[1] وهذا من إطناب الإيغال، الذي معناه ختم الكلام بما يفيد فائدة يتمّ المعنى بدونها[2].

2 / ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

الآية تتحدّث عن تكذيب الأمم السابقة للرسل، والمقام هنا مقام تسلية للرسول – **صلى الله عليه وسلم** – وتهديدٍ لمن يلي هذه الأمم بأنَّه قد تكون عاقبتُهم كعاقبة من سبقهم، فاقتضى ذلك إطناباً، ذكر الآلوسي في هذه الآية رأيًا، مفادُه أن التكذيب الأوَّل هو صفة ملازمة لهم، وهو مطلق الكذب، والتكذيب الثاني مقيد، وهو تكذيب الرسل؛ لذا فالفاء في (فكذَّبوا) سببيَّة، وهذا من عطف المقيَّد على المطلق،[4] وهذا من مقامات الإطناب، ذكر الخاص بعد العام.

كذلك جملة (وما بلغوا معشار ما آتيناهم)، جاءت معترضةً بين المتعاطفين (المقيد على المطلق) وهذا الاعتراض يُعد . أيضاً . من مقامات الإطناب، وفصَّل ابن عاشور بقوله: « فَجُمْلَتَا فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فِي قُوَّةِ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مُفَرَّعَةٍ عَلَى جُمْلَةِ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَالتَّقْدِيرُ: وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكيف كَانَ نكيري عَلَى تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ جُمْلَةُ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَقْصُودًا مِنْهَا تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ ابْتِدَاءً جُعِلَتْ مَقْصُورَةً عَلَى ذَلِكَ اهْتِمَامًا بِذَلِكَ الْغَرَضِ وَانْتِصَارًا مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ خَصَّتْ عِبْرَةَ تَسَبُّبِ التَّكْذِيبِ فِي الْعِقَابِ بِجُمْلَةٍ تَخُصُّهَا تَهْوِيلًا لِلتَّكْذِيبِ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِطْنَابِ، فَصَادَفَ أَنْ كَانَ مَضْمُونُ الْجُمْلَتَيْنِ مُتَّحِدًا اتِّحَادَ السَّبَبِ لِمُسَبَّبَيْنِ أَوِ الْعِلَّةِ لِمَعْلُولَيْنِ كَعِلَّةِ السَّرِقَةِ لِلْقَطْعِ وَالْغُرْمِ. وَبُنِيَ النَّظْمُ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الشَّيِّقِ تَجَنُّبًا لِثِقَلِ إِعَادَةِ الْجُمْلَةِ إِعَادَةً سَاذِجَةً فَفُرِّعَتِ الثَّانِيَةُ عَلَى الْأُولَى.... أَوْ فَرَّعَ لِلتَّكْذِيبِ الْخَاصِّ عَلَى التَّكْذِيبِ الَّذِي هُوَ سَجِيَّتُهُمُ الْعَامَّةُ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي فِي مَعْنَى: وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ »[5].

3 / ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[6].

بعد أن ذكر الله على لسان المؤمنين حوارهم مع الكافرين الذي تضمن مسألة الفتح، أي الحكم والفصل بالحقّ، ذُيِّلت الآية بقولهم: (وهو الفتاح العليم)، وهذا التذييل يتضمن المعنى الذي تضَّمنته الجملة قبله، وهذا من مقامات الإطناب، كما أشار إليه البلاغيون، والتذييل:« عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22 ، ص 171.

[2] – البسيوني: علم المعاني ، ج2 ، ص 262 .

[3] – سورة سبأ :الآية 45 .

[4] – الآلوسي : روح المعاني ،ج 11 ص 327.

[5] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 230 .

[6] – سورة سبأ :الآية 26 .

لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام »[1]، وذكر ابن عاشور أنَّ « جُمْلَةُ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ تَذْيِيلٌ بِوَصْفِهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الْحُكْمِ وَقُوَّتِهِ وَإِحَاطَةِ الْعِلْمِ، وَبِذَلِكَ كَانَ تَذْيِيلًا لِجُمْلَةِ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ الْمُتَضَمِّنَةِ حُكْمًا جُزْئِيًّا فَذَيَّلَ بِوَصْفٍ كُلِّيٍّ. وَإِنَّمَا أَتْبَعَ الْفَتَّاحُ بِ الْعَلِيمُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ حُكْمَهُ عَدْلٌ مَحْضٌ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ لَا تَخُفُّ بِحُكْمِهِ أَسْبَابُ الْخَطَأ والجور الناشئة عَنِ الْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَاتِّبَاعِ الضَّعْفِ النَّفْسَانِيِّ النَّاشِئِ عَنِ الْجَهْلِ بالأحوال والعواقب»[2]

ومثل هذه الآية في احتوائها على التذييل، الآية التي استشهد بها البلاغيون في موضوع التذييل، قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[3]، وقد آثرنا أن نأتي بنماذج جديدة؛ تحقيقاً لأكبر فائدة ممكنة.

خامسا: التعريف والتنكير

ظاهرتان نحويَّتان، واتصالُهما بعلم النحو أشدُ من اتصالِهما بعلم البلاغة؛ لأن مجالهما في علم النحو أوسع منه في علم البلاغة؛ ولشدَّة ارتباطِ هذين المصطلحين في أذهان الناس بعلم النحو والتعريف هو ما دلَّ على معيَّن، والتنكير بعكسه، ما دلَّ على غير المعيَّن، والمعارف هي: المعرَّف بـ (أل)، والأعلام، والضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمضاف إلى هذه الأصناف الخمسة.

أما دور البلاغة في هذين المصطلحين فيكمن . كما هو شأن البلاغة . في رصد الإشعاعات المتولِّدة عن موضع كُلِّ استخدام لهما، فبلاغة المعاني لا تنظر إلى التركيب نظرةً عابرةً، من دون أن تُحدِّدَ مواطن القوة والضعف الكامن وراء كلِّ موضع من مواضع الكلمات الواردة في التركيب، ثُمَّ تسجيل جهة الفنيَّة، وأين تحقَّقت هذه الجهة ؟ في التقديم والتأخير أم في الحذف والذكر أم في الاستفهام، أم في التعريف والتنكير..أم..أم ؟ فموطن رفعة النص يكمن في زاويةٍ من زوايا التركيب

والفضل يعود لجهةٍ واحدة، وإذا بالغنا فلجهتين، ونادراً ما يكون لأكثر.

نأتي إلى التطبيقات في سورة سبأ:

1 / ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾[4].

افتتحت السورة بكلمة الحمد؛ ثناءً على الله فلمَّا كانت ملكية السموات والأرض وما فيهما عائدةً له . **سبحانه** . وأنَّه هو خالقُها ومُدبِّرُها؛ اقتضى ذلك أن يكون الحمدُ مشتملاً على كمال الثناء؛ فجاء به مُعرَّفاً بـ (أل) الجنسيَّة، التي تستغرق جميع أوصاف ذلك الجنس المعرَّفة له، فلا يخرج عنها شيءٌ، كقوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ

[1] – العلوي : الطراز ،ص 61 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 195 .

[3] – سورة سبأ : الآية 17 .

[4] – سورة سبأ :الآية 1.

ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[1] ، أي: كلّ ما يصحّ أن يطلق عليه وصف إنسان، يقول ابن عطيَّة: « الألف واللام في الْحَمْدُ لاستغراق الجنس، أي الْحَمْدُ على تنوعه هو لِلَّهِ تعالى من جميع جهات الفكرة »[2].

2 / ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ ﴾[3].

نلاحظ في هذه الآية أنَّ الذين كفروا من قريش يُخبرون عن شخص الرسول . **صلى الله عليه وسلم .** بلفظ (رجل)، على الرغم من أنَّه من أشرف بيوت مكّة نسبا، وشهرة، ومكانة؛ ولكن لما كان المقام هنا مقام صدّ عن سبيل الله، وتثبيط الناس عن اللإتحاق بركب المؤمنين بهذه الرسالة الجديدة توسّلوا بكلّ ما من شأنه أن يُحقّق هذه الغاية، من الألفاظ والمعاني، واستخدام لفظة (رجل) فيها من الإبهام، ومظنة التهمة، والتهميش ما فيها، مما قد يُنجحُ من حملتهم الإعلامية ضد الرسول . **صلى الله عليه وسلَّم** .؛ فاستخدام لفظة (رجل) منكراً، له مدلوله داخل هذا السياق، يقول الزمخشري: " فإن قلت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم، فما معنى قوله: ﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ ﴾ [سبأ: 7]، فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول. قلت: كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره."[4]. وعلَّق السكَّاكي: «كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنّه رجل ما »[5].

3 / ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗا ﴾[6].

تحدثنا عن هذه الآية في أكثر من مناسبة، وهنا سننظر إليها من زاوية التنكير الذي جاءت عليه لفظة (فضلاً)، لقد أنعم اللهُ على داوود . **عليه السلام** . بِأنعُمٍ كثيرةٍ، قد يضيق المقام بتعدادها لذا جاءت لفظة (فضلاً) الدالَّة على هذه النعم بصيغة المنكَّر الذي يُفيد التعميم، وذكر أبو السعود بأنَّ تنكير لفظة (فضلاً) لإفادة التفخيم[7]، ويقول ابن عاشور: « وَتَنْكِيرُ (فَضْلًا) لِتَعْظِيمِهِ وَهُوَ فَضْلُ النُّبُوءَةِ وَفَضْلُ الْمُلْكِ، وَفَضْلُ الْعِنَايَةِ بِإِصْلَاحِ الْأُمَّةِ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ بِالْعَدْلِ، وَفَضْلُ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَرْبِ، وَفَضْلُ سَعَةِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وَفَضْلُ إِغْنَائِهِ

---

[1] – سورة النساء :الآية 28 .

[2] – ابن عطيَّة : المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ج 4 ،ص404 .

[3] – سورة سبأ :الآية 7 .

[4] – الزمخشري: الكشاف ،ج 3،ص 570.

[5] – السّكاكي: مفتاح العلوم ،ص 192

[6] – سورة سبأ :الآية 10 .

[7] – يُنظر تفسير أبي السعود ،ج 7 ،ص 124 .

عَنِ النَّاسِ بِمَا أُلْهِمَهُ مِنْ صُنْعِ دُرُوعِ الْحَدِيدِ، وَفَضْلُ إِيتَائِهِ الزَّبُورَ، وَإِيتَائِهِ حُسْنَ الصَّوْتِ، وَطُولَ الْعُمْرِ فِي الصَّلَاحِ وَغَيْرُ ذَلِكَ »[1].

4 / ﴿ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[2].

ذكر ابن عاشور بأنَّ « تَنْكِيرُ بَلْدَةٌ لِلتَّعْظِيمِ... وَعَدَلَ عَنْ إِضَافَةِ بَلْدَةٌ إِلَى ضَمِيرِهِمْ لِتَكُونَ الْجُمْلَةُ خَفِيفَةً عَلَى اللِّسَانِ فَتَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْمَثَلِ... وَتَنْكِيرُ رَبٌّ لِلتَّعْظِيمِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفُ الْخَبَرِ عَلَى وِزَانِ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَرَبٌّ لَكُمْ، أَيْ رَبُّكُمْ غَفُورٌ. وَالْعُدُولُ عَنْ إِضَافَةِ رَبٌّ لِضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى تَنْكِيرِ رَبٌّ وَتَقْدِيرُ لَامِ الِاخْتِصَاصِ لِقَصْدِ تَشْرِيفِهِمْ بِهَذَا الِاخْتِصَاصِ وَلِتَكُونَ الْجُمْلَةُ عَلَى وِزَانِ الَّتِي قَبْلَهَا طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ وَلِتَحْصُلَ الْمُزَاوَجَةُ بَيْنَ الْفِقْرَتَيْنِ فَتُسَيَّرَا مَسِيرَ الْمَثَلِ.»[3] ، ونحن نميل إلى ما ذهب إليه الزمخشري، من أنَّ (بلدة) و (ربٌّ) هما خبران لمبتدأين محذوفين، والتقدير: بلدتُكم بلدةٌ طيبة، وربُّكم ربٌّ غفور[4]، ولو ذُكِر المبتدءان لما كان لهذا التركيب مزية وما كان للتنكير هنا دورٌ يتجاوز الإخبار، ولكن بحذف المبتدأين برز دورُ التنكير الذي دلَّ . كما هو واضح . على التعظيم والتفخيم.

5 / ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

سأل الكافرون عن موعد البعث والنشور، فأُجيبوا، ولكن ليس ردّا على سؤالهم، بل تقريرٌ لما أنكروه- وتأكيدٌ لما تجاهلوه، ثمَّ جاء الجواب بصيغة التنكير (ميعادُ يومٍ)، مما يجعل النفس في وجلٍ وترقُّب في انتظار هذا اليوم؛ لأنَّ تأثيرَ المجهول على النفوس عظيم، كما تُلمَحُ دلالة التعظيم لهذا اليوم، بما تحملُه صفة الإبهام والتنكير فتجعل النفس تذهب في تصوُّرِهِ كُلَّ مذهب، كما يقول شخص لِآخر: أنت لك شأنٌ ستعرِفُهُ يوماً ما. قال ابن عاشور: « وَخُولِفَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ فِي الْجَوَابِ مِنَ الْإِتْيَانِ بِضَمِيرِ الْوَعْدِ الْوَاقِعِ فِي كَلَامِهِمْ إِلَى الْإِتْيَانِ بِاسْمٍ ظَاهِرٍ وَهُوَ مِيعادُ يَوْمٍ لِمَا فِي هَذَا الِاسْمِ النَّكِرَةِ مِنَ الْإِبْهَامِ الَّذِي يُوَجِّهُ نُفُوسَ السَّامِعِينَ إِلَى كُلِّ وَجْهٍ مُمْكِنٍ فِي مَحْمَلِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ يَوْمُ الْبَعْثِ أَوْ يَوْمًا آخَرَ يَحِلُّ فِيهِ عَذَاب على أيمة الْكُفْرِ وَزُعَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ يَوْمُ بَدْرٍ وَلَعَلَّ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ هُمْ أَصْحَابُ مَقَالَةِ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وَأَفَادَ تَنْكِيرُ يَوْمٍ تَهْوِيلًا وَتَعْظِيمًا بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ.»[6].

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج 22 ،ص 155- 156.

[2] – سورة سبأ :الآية 15 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 168.

[4] – الزمخشري: الكشاف ،ج 3 ،ص 575 .

[5] – سورة سبأ :الآية 29 . 30 .

[6] – محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،مج 22 ،ص 200.

خاتمـــــة

خاتمـــــــة

بعد هذا العرض المتواضع لبلاغة المعاني في سورة سبأ بما قد يكون فيه من هفوات وزلات توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

- أكثر الأساليب استخداما ، أسلوب الاستفهام وهذا طبيعي ، لأنّ ما أرسل به الله تعالى ليس ظاهرا للعامة لذلك كان محط استفهام.
- ورد الاستفهام الحقيقي في سورة سبأ في موضع واحد، وخرج عن هذا المعنى إلى معاني أخرى في عدّة مواضع من السورة.
- أكثر أضرب الخبر التي وردت في السورة، الضرب الابتدائي لأنّ من ألقي إليه الخبر كان خالي الذّهن.
- كثرت معاني الأمر ذات دلالات مختلفة منها ما يدل على الأمر الحقيقي ،ومنها ما يخرج إلى دلالات أخرى وهذا يرجع لطبيعة توجيه الله نبيه – **صلى الله عليه وسلم –** لينفّذ مقولها.
- ورد أسلوب النداء في السورة في مواضع قليلة.
- ورد التّقديم والتّأخير في عدّة مواضع من السورة كتقديم المسند وتقديم المسند إليه وتقديم متعلّقات الفعل.
- ورد في السورة عدّة مواضع للحذف والذكر كحذف متعلّقات الفعل.
- قلة وجود نماذج من الإيجاز والإطناب في السورة.

أهم التوصيات :

- نوصي كل الدارسين بالوقوف على الاستشهاد بالقرآن الكريم، خاصة في المجال البلاغي.
- كما نوصي بدراسة علم المعاني لدقة هذا العالم لما فيه من فائدة يجنيها الباحث من ذلك ولأنّ أغلب الدراسات الحديثة متجهة إلى علم البيان.

سورة سبـــأ

سـورة سبـأ

بسم الله الرحمان الرحيم

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی لَهُۥ مَا فِی ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِی ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِی ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِیمُ ٱلۡخَبِیرُ ﴿١﴾ یَعۡلَمُ
مَا یَلِجُ فِی ٱلۡأَرۡضِ وَمَا یَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا یَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاۤءِ وَمَا یَعۡرُجُ فِیهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِیمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِینَ كَفَرُوا۟ لَا تَأۡتِینَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّی لَتَأۡتِیَنَّكُمۡ عَـٰلِمِ ٱلۡغَیۡبِۖ لَا یَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ فِی
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِی ٱلۡأَرۡضِ وَلَاۤ أَصۡغَرُ مِن ذَ ٰلِكَ وَلَاۤ أَكۡبَرُ إِلَّا فِی كِتَـٰبٍ مُّبِینٍ ﴿٣﴾ لِّیَجۡزِیَ ٱلَّذِینَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِیمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِینَ سَعَوۡ فِیٓ ءَایَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِینَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِیمٌ ﴿٥﴾ وَیَرَى ٱلَّذِینَ أُوتُوا۟ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِیٓ أُنزِلَ إِلَیۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ
وَیَهۡدِیٓ إِلَىٰ صِرَ ٰطِ ٱلۡعَزِیزِ ٱلۡحَمِیدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِینَ كَفَرُوا۟ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ یُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ
مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِی خَلۡقٍ جَدِیدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِینَ لَا یُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِی
ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلۡبَعِیدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ یَرَوۡا۟ إِلَىٰ مَا بَیۡنَ أَیۡدِیهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَاۤءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ
نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَیۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاۤءِۚ إِنَّ فِی ذَ ٰلِكَ لَـَٔایَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِیبٍ ﴿٩﴾ ۞
وَلَقَدۡ ءَاتَیۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلًاۖ یَـٰجِبَالُ أَوِّبِی مَعَهُۥ وَٱلطَّیۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِیدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرۡ فِی
ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُوا۟ صَـٰلِحًاۖ إِنِّی بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِیرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَیۡمَـٰنَ ٱلرِّیحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌۖ وَأَسَلۡنَا
لَهُۥ عَیۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن یَعۡمَلُ بَیۡنَ یَدَیۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن یَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ
ٱلسَّعِیرِ ﴿١٢﴾ یَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا یَشَاۤءُ مِن مَّحَـٰرِیبَ وَتَمَـٰثِیلَ وَجِفَانٍ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِیَـٰتٍۚ ٱعۡمَلُوۤا۟ ءَالَ
دَاوُۥدَ شُكۡرًاۚ وَقَلِیلٌ مِّنۡ عِبَادِیَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَیۡنَا عَلَیۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦۤ إِلَّا دَاۤبَّةُ
ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَیَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُوا۟ یَعۡلَمُونَ ٱلۡغَیۡبَ مَا لَبِثُوا۟ فِی ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِینِ
﴿١٤﴾ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٍ فِی مَسۡكَنِهِمۡ ءَایَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن یَمِینٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلۡدَةٌ
طَیِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُوا۟ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَیۡهِمۡ سَیۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَـٰهُم بِجَنَّتَیۡهِمۡ جَنَّتَیۡنِ ذَوَاتَیۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ
وَأَثۡلٍ وَشَیۡءٍ مِّن سِدۡرٍ قَلِیلٍ ﴿١٦﴾ ذَ ٰلِكَ جَزَیۡنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلۡ نُجَـٰزِیٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلۡنَا بَیۡنَهُمۡ
وَبَیۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِی بَـٰرَكۡنَا فِیهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرۡنَا فِیهَا ٱلسَّیۡرَۖ سِیرُوا۟ فِیهَا لَیَالِیَ وَأَیَّامًا ءَامِنِینَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟

سـورة سبـأ

رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ
صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ
عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٢١﴾
قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا
لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ
عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا
كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن
كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ
يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَـٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَـٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ
أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَـٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحٗا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ
جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي
ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن
شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ

سـورة سبـأ

كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم
مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ
ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا
كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن
تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ
شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ
إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ
فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ
كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ
بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ ﴿٥٤﴾

صدق الله العظيم

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أ – القرآن الكريم

ب – التفاسير :

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي،بيروت ط3، 1407هـ.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزاجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش،دار الكتب المصّرية ،القاهرة، ط2، 1964.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي: مفاتيح الغيب المسّمى بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط3، 1420هـ .
- أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمان بن تمام بن عطية الآندلسي المحاربي: المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية،بيروت ط1 ،1422هـ.
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن ،دار الشروق، بيروت،القاهرة، ط17، 1421هـ.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، و السبع المعاني تحقيق علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1415هـ.
- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر تونس، 1984.
- وهيبة الزيحلي: التفسر المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر ،دمشق، ط10، 2009 .

ج – المصادر و المراجع الأخرى:

- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.
- بكري شيخ أمين: البلاغة" العربية" في ثوبها الجديد علم المعاني.
- جمال الدين بن هشام :مغني اللبيب: تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق ط6 1985.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السّكاكي الخوازمي الحنفي أبو يعقوب: مفتاح العلوم ،دار الكتب العلمية ، بيروت،،لبنان،ط2، 1987.
- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ،مكتبة الأنجلو المصرية،ط 6، 1978م.
- إبراهيم حسن إبراهيم : أسرار النداء في لفة القرآن الكريم،مطبعة الفجالة، القاهرة، مصر، د.ط. 1978م.
- إبراهيم عبود السامرائي : الأساليب الإنشائية في العربية النمط و الاستعمال، دار المنهاج،ط1، 2008م.
- ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده: ج1.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة 1997.
- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد: المقتضب تحقيق عبد الخالق عظيمة، دار الكتب المصري القاهرة،ط3، 1914.
- أبو الفتح عثمان بن جني :الخصائص،الهئية المصرية العامة،للكتاب،ط4.
- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب : إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف،مصر 1997م.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني :دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر أبي فهد ،دار المدني ،بجدّة، ط3، 1992.
- أبو بكر محمد بن سهل بن سرّاج : الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتالي، مؤسسة الرسالة،د.ط د.س.
- أبو عمر عثمان ابن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الأسنائي ابن الحاجب: الكافية في النحو: شرحه الرضي الأستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط.
- أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة وأسرار العربية تحقيق عبد الرّزاق المهدي، دار أحياء التراث العربي، ط1 1422ه 2008م.
- أبو هلال العسكري :الصناعتين ،تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية بيروت،1419ه.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.
- أحمد بن فارس :في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1 1418ه-1997م
- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرةط1، 1929ه 2008م.
- أحمد مصطفي المراغي : علوم البلاغة البيان المعاني البديع ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط3،1993.
- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج العروس وصحاح العربية، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت،لبنان،1404ه.
- الأنباري: أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت ، ط 1993.
- البدري، علي:بحوث المطابقة لمقتضى الحال، مطبعة السعادة القاهرة، ط 2،1984.
- الجاحظ :الحيوان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424ه.
- الخطيب القزويني :في علوم البلاغة المعان والبيان والبديع ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2003م-1424ه.

قائمة المصادر والمراجع

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين ،تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان ط1،2003م .
- الرماني: رسالة الحدود، تحقيق ابراهيم السمرائي ،دار الفكر عمان، 1982.
- الزركشي :البرهان في علوم القرآن: ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العلمية، الحلبي، ط 1 1376هـ-1957م.
- الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق محمد محمد عبد المقصود و حسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري القاهرة، ط 1، 2001.
- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية،د.ط، صيدا ،بيروت، د.س.
- السيّد جعفر السيّد باقر الحسين: أساليب المعاني في القرآن ،مؤسسة بونسان ،كتاب. ط1 ، 1427هـ.
- الشريف الجرجاني علي بن محمد: التعريفات،مكتبة لبنان، ناشرون د.ط،2000م.
- الشريف الكوفي، أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد: البيان في شرح اللمع، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمار، الأردن، ط 1، 2002.
- الفراء: معاني القرآن، تحقيق أحمد نجاتي و محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980.
- القاموس المحيط: أبو طاهر يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان،ط8، 1426هـ-2005م
- القزويني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة،دار الفكر العربي،ط1،1906.
- المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966-1979 ص 186.
- أمين عبد الغني: النحو الكافي، دار التوفقية للتراث، القاهرة مصر، د.ط،د. س.
- إنعام فوّال عكاوّي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط 2، 1417هـ 1996م.
- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي: أبو النقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق عدنان درويش،محمد المصري، مؤسسة الرسالة ،بيروت، د.ط .
- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط2 د .س.
- بسيوني عبد الفتاح : علم المعاني دارسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة ،القاهرة، د.ط، د.س.
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: توفيق الفيل ،مكتبة الآداب القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

- بهجت عبد الواحد الشيخي: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز ،مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ط،2001م،1422.
- تحقيق نعيم زرزور: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- جمال الدين بن منظور: لسان العرب تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون ،دار صاد ببيروت،ط1 .
- حميد آدم ثويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ،دار المناهج، عمان، الأردن، ط1، 2007.
- عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط3، 1974م.
- عبد الرحمان بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2011م.
- عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن أحمد، أبو الفتح العباسي :معاهد التنصيص على الشواهد التلخيص ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت.
- عبد السّلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي دار الجيل ، بيروت، ط3 ،د.س.
- عبد العزيز بن علي العربي :البلاغة المسيرة ،دار بن حزم، ط2، 1432هـ -2011م.
- عبد العزيز عتيق :علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة،ط1، 1427-2006م.
- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1430هـ 2009م.
- عبد الله بن يوسف الجديع: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، مؤسسة الريان،بيروت،لبنان. ط3 2007م
- عبد المتعال الصعيدي :بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة ومطبعة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.
- عبد المتعالي الصعيدي :البلاغة العالية علم المعاني، مكتبة الآداب ومطبعتها الجاميز، ط2، 1411هـ 1991م.
- عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، د. ط، د.س.
- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، عالم الكتب،القاهرة، ط2، 2005.
- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب ،تحقيق عبد السّلام محمد هارون ،مكتبة الخالجي،القاهر، ط9 1988.
- فاصل صالح السامرائي :الجملة العربية تأليفها وأقسامها ،دار الفكر عمان، الأردن ،ط3، 1430هـ-2009م.
- فصول البلاغة والنقد الأدبي، مجموعة من العلماء مكتبة الفلاح الكويت ، ط 1، 1403هـ، 1983م.
- فضل حسن عبّاس :البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،جامعة اليرموك،الأردن ط1،ط2 ،ط3.ط4.

قائمة المصادر والمراجع

- كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعني في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان ،ط1، 2006.
- مجمع اللغة العربية : معجم المعاني الجامع المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية،ط1، 2004 م.
- محمد أحمد قاسم : علوم البلاغة البديع البيان المعاني ،المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس ، بيروت لبنان د. ط د.س.
- محمد أحمد محي الدين: علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني،المؤسسة الحديثة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2002.
- محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ،دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،ط1 1424هـ. 2003م .
- محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين، دار النهضة مصر،1981م .
- محمد فارس: النّداء في اللغة العربية والقرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
- محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهيبة ، القاهرة ، ط4 1916 هـ ، 1996 م.
- محمد نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية،دار الفرقان،بيروت،لبنان.ط1، 1980.
- محمود مطرجي: النحو وتطبيقاته ، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر ط1، 2000
- مختار عطية: التقديم و التأخير ومباحث التراكيب، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية.
- مصطفى العلاييني : جامع الدروس العربية، تحقيق علي سليمان بشارة، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1 2010م
- منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم،دراسة في الأسلوب ط 8، 1997م.
- مهدي بن محمد صالح بن حسن آل زايد دهام المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه،دار الرائد العربي بيروت، لبنان، ط 2، 1986م.
- مؤسسة عبد الحفيظ البساط لتجليد وتصنيع الكتاب: المعجم الوجيز، ،بيروت لبنان.
- ناجي مجيد عبد الحمي: الأسس النفسية للأساليب البلاغية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ط1 ، 1984.
- نصر الله بن محمد بن محمد خيار الدين بن الأثير: المثل السائر.
- هادي نهر: نحو الخليل من خلال معجمه، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، د. ط،2006.
- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي: الطرّاز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب النموذجية ،بيروت د.ط.

قائمة المصادر والمراجع

- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسري الموصلي ابن يعيش شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1، 1422هـ.
- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية المعاني البيان للبديع ،دار الميسر ،عمان الأردن ،ط1 2007.
- مجلة حوليات التراث النداء عند النحويين و البلاغيين مبارك تريكي، المركز الجامعي المدية مستغانم الجزائر 2007.
- الخطاب والسياق في لسانيات التراث: عبد الوهاب صديقي،مجلة جذور، عدد 40 يناير2015 السعودية.
- مقاصد صورة سبأ www.islamweb.net.

الفهـــرس

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ
التمهيد	5
الفصل الأول الفصل الأول: الخبر والإنشاء	
المبحث الأول : الأسلوب الخبري	13
مفهوم الخبر	13
أضرب الخبر	15
أغراض الخبر	16
دراسة الأسلوب الخبري في سورة سبأ	19
المبحث الثاني : الأسلوب الإنشائي	25
القسم الأول : الإنشاء الطلبي	25
المطلب الأول : الاستفهام و النداء	25
أولا :الاستفهام	25
مفهوم الاستفهام	25
أدوات الاستفهام	27
أغراض الاستفهام	28
ثانيا : النداء	32
مفهوم النداء	32
أدوات النداء	35
أغراض النداء و دلالاته	36
المطلب الثاني : الأمر و النهي	41
أولا : الأمر	41
مفهوم الأمر	41
صيغ الأمر	43
الأغراض المجازية للأمر	44
ثانيا : النهي	47
مفهوم النهي	47
صيغ النهي	48

فهرس الموضوعات

أغراض النهي المجازية	50
المطلب الثالث : التمني	51
مفهوم التمني	51
أدوات التمني	53
القسم الثاني : الإنشاء غير الطلبي	56
مفهوم الإنشاء غير الطلبي	56
دلالة صيغ الإنشاء غير الطلبي	57
دراسة الأسلوب الإنشائي في سورة سبأ	58
الفصل الثاني : الجملة و أحوالها	
مفهوم الجملة	72
المبحث الأول : التقديم و التأخير	75
أولا: مفهوم التقديم و التأخير	75
أهمية التقديم و التأخير	76
أغراض التقديم و التأخير	78
المبحث الثاني: الحذف و الذكر	82
المطلب الأول : الحذف	82
مفهوم الحذف	82
أنواع المحذوفات	84
صور الحذف	84
حذف متعلقات الفعل	88
المطلب الثاني : الذكر	91
مفهوم الذكر	91
المبحث الثالث: الفصل و الوصل	96
مفهوم الفصل و الوصل	97
مواضع الفصل	98
مواضع الوصل	99
بلاغة الوصل	101

فهرس الموضوعات

أدوات الوصل	101
أدوات الفصل	104
المبحث الرابع : الإيجاز و الإطناب و المساواة	105
المطلب الأول : الإيجاز	105
مفهوم الإيجاز	105
أقسام الإيجاز	106
المطلب الثاني : الإطناب	107
مفهوم الإطناب	107
أقسام الإطناب	107
المساواة	112
المبحث الخامس : التعريف و التنكير	113
مدخل	113
مفهوم التعريف و التنكير	114
التعريف و التنكير عند البلاغيين	117
أولا :التعريف	117
الضمائر وظائفها و دلالاتها	118
العلم و وظائفه و دلالاته	121
أسماء الإشارة وظائفها و دلالتها	126
الموصول وظائفه و دلالاته	130
المعرف بأداة وظائفه و دلالاته	139
المعرف بالإضافة وظائفه و دلالاته	142
تعريف المسند	147
ثانيا: التنكير	151
التنكير المسند إليه وظائفه و دلالاته	151
تنكير المسند وظائفه و دلالاته	157
الدراسة في سورة سبأ	158
خاتمة	180

فهرس الموضوعات

سورة سبأ	182
قائمة المصادر و المراجع	186
الفهرس	193